كتابك
Kitabook

مكتبة د. محمد باباعمي

لتحميل المزيد من المؤلفات
www.DrBabaammi.com

الأزمنة المهيمِنة والزمن الصِّبغة

كتابك
Kitabook

• عنوان الكتاب: الأزمنة المهيمنة والزمن الصِّبغة
• اسم المؤلف: د. محمد باباعمي
• الطبعة الأولى: 1438هـ - 2017م
• مقاس الكتاب: 160 × 240
• عدد الصفحات: 192
• رقم الإيداع: 2017-2688
• ردمك: ISBN 978-9947-817-98-6

محفوظة جميع الحقوق

Copyright © 2017 Kitabook

كتابك
Kitabook

Kitabook.net

Cité Ghaalloul, Bordj El Bahri, Alger Tél: 023.957.273 E-mail : Info@kitabook.net

الأزمنة المهيمِنة والزمن الصِّبغة

الأهداف، والغايات، والأولويات

دراسة مقارنة بالفكر الغربي

د. محمد باباعمي

كتابك
Kitabook

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدّمة

«إنَّك لا تسبح في النهر مرتين» مقولة فلسفية تُنسب إلى «هرقليطس»؛ وهو يريد من هذه الصورة الذهنية أن يعبِّر عن مبدأ من مبادئ «اللوغوس»، يقضي بكون «كلِّ شيء في سيلان دائم»، وليس ثمة ثبات ولا استقرار مطلق؛ لكن الحاجة اليوم إلى مبدأ جديدٍ، يرسم العلاقة بين «سيلان النهر» و«إرادة الإنسان»:

فهل النهر هو الذي يتحكَّم في وجهة السابح فيقهره؟

أم أنَّ للسابح إرادة يوجه بها حركته، ويفرض بها سكونه؟

ولقد ألَّف روجير سيو كتابا بعنوان «الزمن والنظام الاجتماعي»، وصاغ مفهوم «الأزمنة المهيمنة» (Les temps dominants) باعتبارها تعبيرا عن مسار التاريخ، فهي التي توجه حركة المجتمعات والأفراد؛ ويعرف سيو الزمن المهيمن بأنه «هو الزمن الأساسيُّ والقاعديُّ، عليه مدار الأزمنة الأخرى، فهو بمثابة قطب موجِّه ومنظِّم للبرنامج الزمنيِّ في جميع أشكاله»، ومن ثم فإنَّ النهر قاهر، والواقع متحكِّم، وما الإنسان سوى قشة تعلو سطح الماء، وتسير حيث التيار يسير.

وتأتي أهداف الإنسان خاضعة لأهداف المحيط، وغاياته كذلك، ثم تفرَض عليه أولويات تفقده حريته، وتؤسس حياته على مبدأ آلي ميكانيكي، ليس له فيه خيار؛ وتحت وطأة الأزمنة المهيمنة يفقد الإنسان خصوصيته، ويتلوَّن بلون عصره؛ فحين كان «الزمن الديني» هو المهيمن، كان الإنسان دينيَّ الزمن والحركة

والأهداف والغايات والأولويات؛ وحين تحوَّل الزمن إلى زمن صناعيٍّ، دخل بكلياته دواليب المعمل والمصنع، وانغمس في دوران الآلات؛ ثم حين تأسس عصر حضارة الفراغ ـ بتعبير دومزدييه ـ صار الإنسان يحوم حول وسائل المتعة والراحة والفراغ، بلا ضابط ولا قيد.

ويأتي هذا المؤلف، الذي أدافع فيه عن ميلاد علم جديد، هو علم «البرمجة الزمنية»، مكمِّلا لمؤلف سابق بعنوان «علم البرمجة الزمنية»، صادر عن نفس الدار؛ وهما في الأصل أطروحة علمية صغتها منذ سنين، ولا أزال أبني عليها خصائص منطلقاتي الحضارية، سواء في المجال النظري/ البحثي، أم في المجال العملي/ اليومي.

وقسمت المؤلف إلى ثلاثة فصول، هي: الأزمنة المهيمنة والزمن الصبغة، والأهداف والغايات، ثم الأولويات؛ أقدِّم لكل فصل بما يلي:

- **الأزمنة المهيمنة والزمن الصبغة:**

يبدو للوهلة الأولى أنَّ الجمع بين الدين ـ أيَّ دين كان ـ وبين التنظيم، الذي يتناسب مع التطوُّر والآلية، ضربٌ من التناقض.

فالبرمجة الزمنية باعتبارها صورة من صور التنظيم، وليدة فكرٍ غربيٍّ مصبوغ بعهد النهضة، يتَّسم باستبعاد الدين الذي كان معرقلا لحركته، ذلك «أنَّ الدين في النظر الغربيِّ لا يؤدِّي إلى التقدُّم»، فهو «شيءٌ، والضبط الاجتماعيُّ شيءٌ آخر».

وأوَّل مظهر من مظاهر المفارقة ـ في بحثنا هذا ـ تتمثَّل في الملاحظات الآتية:

- غياب الدين من الدراسات الزمنية، كعامل محدِّد وأساس.
- غياب البرمجة الزمنية كمنحًى عامٍّ للفكر، أو كعلم قائم بذاته من المؤلَّفات الدينية، والإسلامية على الخصوص.
- ظهور قيَم جديدة في المجتمع الغربيِّ: العمل، الفراغ، مجتمع الإعلام...
- غلبة التفكير الدينيِّ على المجتمعات المسلمة من جهة، وهيمنة الأسلوب

الغربيِّ في الممارسة اليومية، من جهة أخرى.

هذه المقدِّمات تدفعنا إلى البحث عن مكانة الدين في البرمجة الزمنية، وتفرض علينا أن ندرس ما يسمَّى **بالأزمنة المهيمِنة** (Les temps dominants)، سواء في "علم اجتماع الفراغ"، أو في "إدارة الوقت"، أو في "ميزانية الوقت"... أو في غيرها. ثمَّ نعرض بعض المحاولات لإحلال الدين مكانه من خلال الدراسات الإسلامية، مع ما يلاحظ لها أو عليها. وأخيرًا، نقدِّم مقترحًا لمفاهيم نراها بديلة في هذا الاتجاه.

- **الأهداف والغايات في علم البرمجة الزمنية:**

من الحِكم المتكرِّرة والصادقة قولهم: «إن لم تدرِ إلى أين تذهب، فلن يهمَّ أيُّ الطرق تسلك»، وينسب للفيلسوف الروماني سينيكا «Senecca» قوله: «عندما لا يعلمُ المرء لأيِّ ميناء هو متَّجه، فلن يستطيع أن يميِّز أيَّ ريح هي الريح الصحيحة؛ ولكن للأسف إنَّ هنالك كثيرين يقبلون أيَّ ريح ما دامت تهُبُّ».

تُجمِع الكتب التي أُلِّفت في «إدارة الوقت» أنَّ تحديد **الأهداف والغايات** هو أوَّل خطوة، فهو من أهمِّ مراحل البرمجة الزمنية، غير أنَّنا بتتبُّعنا للمراجع الغربية والعربية على السواء، وجدنا أنَّ ثمَّة إشكالا علميًّا يتمثَّل في الخلط بين **الأهداف والغايات**، وإنزال أحدهما مكان الآخر، في كثير من الأحيان. ورغم أنَّ الأمر قد يبدو بسيطا وبدهيًّا لأوَّل وهلة؛ إلَّا أنَّ المنهج العلميَّ يجرُّني لتعريف الأهداف والغايات، رفعا للبس والخلط:

فما هي **الأهداف** لغة واصطلاحا؟

وما هي **الغايات** لغة اصطلاحا؟

وما هي **الأهداف والغايات** في البرمجة الزمنية من خلال الفكر الغربيِّ أوَّلا؟ ومن خلال الفكر الإسلامي ثانيا؟

وما هي الفروق بينهما؟

وما هي الإيجابيات والسلبيات في كلٍّ منهما؟

هذه أسئلة تبني إشكال الفصل الثاني من هذا الكتاب، وأوَّل خطوة فيه هو التعريف، ذلك أنَّ الحكم على الشيء فرع عن تصوُّره، ولا يتمُّ التصوُّر إلَّا بإتقان الحدِّ والتعريف.

- **الأولويات في علم البرمجة الزمنية:**

في البدءِ لم يكن إنسان فوق الأرض، ولم تكن **أهداف** ولا **غايات**، كان هناك **نظام** يضبط إيقاع الحياة. ثم أنزِل آدم عليه السلام من جنَّة الخلد إلى سطح الأرض، التي أرادها الله له «مستقرًّا ومتاعًا إلى حين».

وهكذا امتلكت آدمَ الحيرةُ، و«غبط الحيوانات كلِّها، لِما أوتيت من مأكل ومأوى، ولِما أمنت من خوف. وازداد في قلبه الندم، حتى ملك عليه نفسه.

هنالك رفع يديه إلى السماء (الله) يتضرَّع، فاستجابت له السماء قائلة: اذهب أيُّها الرجل، فإنِّي أعطيتك عقلا ويدًا، وأعطيتك ترابا وزمانا»، فاطمأنَّ آدم عليه السلام وبنوه ردحا من الوقت، حتى بدأت الحياة تتعقَّد، والرغباتُ تكثر، ومصالح العباد تتشابك، وأعمارهم تقصر، وآمالهم تكبر...

وهكذا، إلى أن بلغ التعقيدُ مبلغَه، فاحتاج الإنسان إلى مساعدة، ولكنَّه استنكف عنها، إذ لم يتوجَّه هذه المرَّة إلى السماء، بل إلى عقله وباطنه، فاهتدى إلى شيء يعتقد أنَّه الحلُّ الأمثل لمعضلته، بعد طول بحث وتجريب، إنَّه ضبط «**الأولويات**» وترتيبها، والكفُّ عن الاستجابة للرغبات والطوارئ والضغوطات.

إنَّ الإنسان الغربيَّ قد وضع **غاياته**، وحدَّد **أهدافه** من الحياة، فاحتاج إلى مقياس أو مقاييس يرتِّب بها تلك الأهداف وفق الغايات، ذلك أنَّ الأهداف أصبحت كبيرة وكثيرة، وهو لا يقدر على الاستجابة لها كلِّها. من هنا، وفي هذه الظروف بالذات اكتُشفت **الأولويات** كفنٍّ وممارسة، مع بروز علم إدارة الوقت، خلال القرن الماضي.

أمَّا الإنسان الشرقيُّ، فكان بسبب ضعف مداركه ومستواه العلميِّ في مرحلة تبعيته واحتلاله، ولكونه ساكنا وخاملًا، يسكن خارج دائرة التاريخ، يرضى بالقليل، ويطمئنُّ إلى أهداف روتينية غريزية ضعيفة.. لم يجد الحاجة ملحَّة للبحث في **الأولويات**، بحثا عمليا مبتكرًا.

كلُّ هذا والفكر الإسلاميُّ قد بلور عبر تاريخه المتقدِّم علما ـ بل علوما ـ تعنى بالأهداف و**الأولويات**، بناء على الوحي وعلى بيان الوحي، لكنَّها بقيت رهن كتب الفقه، يجهلها المسلم المعاصر، بله المشرك والكافر.

تحت ظلِّ هذه الأطروحات نتساءل:

- ما هي **الأولويات**؟
- كيف يتعامل الفكر الغربيُّ مع **الأولويات**؟ وما هي نقاط قوَّته وضعه؟
- وكيف تعامل الفكر الإسلامي مع **الأولويات**؟ وما هي الإيجابيات والسلبيات؟
- وهل في الإمكان أن نقوم بعمل تأصيليٍّ في مجال **الأولويات**، يستقي من الفكر الإسلاميِّ عمقَه، ومن الفكر الغربيِّ المعاصر تخصُّصه؟ أم أنَّ ذلك ضرب من الخلط والتلفيق؟

للإجابة على هذه الأسئلة ألِّف الفصل الثالث من الكتاب، ومن هذه النقطة نبدأ المشوار...

د. محمد باباعمي

الجزائر رمضان 1438 / ماي 2017

الفصل الأول

الأزمنة المهيمِنة والزمن الصِّبغة

- **المبحث الأول** : الأزمنة المهيمنة في الفكر الغربي
- **المبحث الثاني** : الزمن الصبغة في الفكر الإسلامي

الأزمنة المهيمِنة
والزمن الصِّبغة

الفصل الأول

المبحث الأول

الأزمنة المهيمنة في الفكر الغربي

أولا إبعاد الدين (منشأ الأزمنة المهيمِنة):

هل من الممكن أن يوجَد مجتمع إنسانيٌّ بلا دين؟

وهل أثبت التاريخ وجود مثل هذا المجتمع، في أيِّ عصر من عصوره؟

يجيب «هنري برجسون» على هذا السؤال بالنفي، فيقول: «وُجدت وتوجد جماعات إنسانية من غير علوم وفنون وفلسفات، ولكنَّه لم توجد قطُّ جماعة إنسانية بغير دين»[1]. أمَّا العقَّاد فيستهلُّ كتابه «الفلسفة القرآنية» بهذه العبارة: «الدين لازمةٌ من لوازم الجماعات البشرية...»[2].

غير أنَّ الإنسان ـ عبر تاريخه ـ كثيرًا ما تنكَّر للدين، وادَّعى التحرُّر من قيوده، وأعلن صراحة أنَّ الإنسان يقوم وحده (*Man stand alone*)[3]، وأنَّه ليس في حاجة إلى إله، ولا إلى وحي ينظِّم حياته.

وما يلبث هذا التنكُّر يؤثِّر في مجرى حياته، فيحوِّل أيَّامه إلى **لهثٍ** متواصل

(1) رجا، عبد الحميد عرابي: **الكون والأرض والإنسان في القرآن العظيم**؛ دار الخير، دمشق، سورية، ط1: 1415هـ/1994م؛ ص304.

(2) العقاد، عبَّاس محمود: **الفلسفة القرآنية**؛ مكتبة رحاب، الجزائر، د.ت؛ ص6.

(3) عنوان كتاب لجوليان هيكسلي، **وقد ردَّ** عليه موريسون بكتابه: الإنسان لا يقوم وحده وترجم إلى العربية بعنوان مغاير. انظر ـ موريسون، كريسي: **العلم يدعو إلى الإيمان**؛ تر. محمود صالح الفلكي؛ مكتبة النهضة المصرية، مصر؛ ط2: 1955م.

وراء الشهوات: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[الأعراف: 176]، ثمَّ يتَّخذ ـ تبعا لذلك ـ إلها جديدا، هو الشهوة الجامحة ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[الجاثية: 23].

وما أن يؤلِّه الإنسان شهوتَه حتى يخيب ظنُّه، ويحسَّ بالاغتراب والقلق والاضطراب، فيبدأ رحلة جديدة في البحث عن الذات، وعن الاستقرار والطمأنينة «فالمأساة الحقيقية في الشعور بالاغتراب تقوم في أنَّ الناس مجبَرون على التكيُّف والانضباط وفق أعراف وقواعد اجتماعية كانوا هم لها خالقين»[1].

يحكي أحد الأطبَّاء الأمريكيين المعاصرين عن هذه الحال فيقول:

«وضعتُ مرَّة، وأنا شابٌّ، **جدولا** لطيِّبات الحياة المعترَف بها، فكتبتُ هذا **البيان** بالرغائب الدنيوية: الصحَّة، والحبُّ، والموهبة، والقوَّة، والثراء، والشهرة.

ثمَّ تقدَّمتُ بها في زهو لشيخ حكيم، فقال صديقي الشيخ: **جدولٌ** بديع، وهو موضوع على ترتيب لا بأس به، ولكن يبدو لي أنَّك أغفلتَ العنصر المهمَّ، الذي يعود **جدولك** بدونه عبثا لا يُطاق. وضربَ بالقلم على **الجدول** كلِّه، وكتب كلمتين: **سكينة النفس**. وقال: هذه هي **الهبة الإلهية** التي يدَّخرها الله لأصفيائه، وإنَّه ليُعطي الكثيرين الذكاء والصحَّة؛ والمالُ مبتذَلٌ، وليست الشهرة بنادرة؛ أمَّا سكينة القلب فإنَّه يمنحها بقدَر»[2].

جدول طيبات الحياة، وسكينة النفس

~~الصحَّة، والحبُّ، والموهبة، والقوَّة، والثراء، والشهرة~~

سكينة النفس

(1) مورفي، جون: **الهروب من الانفجار التكنولوجي للواقع**؛ تر. عصام عبد الحليم زكي؛ مجلَّة ديوجين (مصباح الفكر)، المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، واليونسكو، القاهرة (عدد 162/106: د.ت.) ص45.

(2) القرضاوي، يوسف: **الإيمان والحياة**؛ دار الشهاب، الجزائر، 1987م؛ ص93-94.

إنَّ هذه السكينة التي وصفها الشيخ الحكيم للشابِّ القلِق، يمكن اختصارها تحت عنوان بارز وواضح، هو: **الدين**.

غير أنَّ الإنسان الغربيَّ، عبر تاريخه اللَّاديني، لم يمنح مجالا بيِّنا للدين، لا في أفكاره وقراراته، ولا في وقته وحركته... بل إنَّ اثنين من كبار فلاسفة الفكر الماديِّ هما أبيقور «Epicurus»[1] في الأوَّلين، وهولباخ «Holbach»[2] في الآخِرين، قرَّرا أنَّ مبدأ الحياة الأساس يكمن في «السعي من أجل المتعة، والهرب من الألم»[3].

وإذا ما بحثنا عن أثر هذا الإلحاد في البرمجة الزمنية الغربية، وجدنا ـ بما لا يدع مجالا للريْب ـ في الولايات المتَّحدة الأمريكية[4]، وفي غيرها من الدول السائرة في نهجها «أنَّ الفلسفة هي الحجر الزاوية الذي يُبنى عليه الصرح الفكريُّ، والعلومُ هي الحجر الثاني، والتكنولوجيا هي الحجر الثالث. أمَّا الدين فلم يبق له نفس التأثير الذي كان في الماضي، وهو الآن ـ منذ أمد ـ منفصلٌ عن الحياة اليومية، منزوٍ في مجال خاصٍّ به:

وغير بعيد عن هذا قول دومازدييه «Dumazdier» الأب المؤسِّس لـ«علم

(1) أبيقور فيلسوف يونانيٌّ (270–341 ق.م) نقرأ في موسوعة (Bookshelf 99) مادَّة عن مذهب أبيقور، أنَّ أساس فلسفته هو: **اللذَّة**.

(2) بول هينري تيري، هولباخ (ت. 1203هـ/1789م): فيلسوف فرنسي من أصل ألماني، وهو ماديٌّ، تنبني فلسفته على الإلحاد، واعتبار الحاجة واللذَّة هما محور الحياة وهدفها. وكان في مواجهة مع الكنيسة.

(3) بيجوفيتش: **الإسلام بين الشرق والغرب**؛ ص80.

(4) يذكر الدكتور العلواني أن تعليم القيم أو الفضائل في أمريكا ممنوع ومحرَّم «وإذا أراد المدرِّس الحديث عن فضيلة ما، فليس له ذلك إلَّا في إطار الحديث عن حضارات بائدة وتقاليدها، وإذا ضُبط متلبِّسا بالحديث عن أخلاق أو قيم خارج هذا الإطار، فإنَّه يعرِّض نفسه للحساب. ويلجأ البعض إلى المدارس الكاثوليكية لحماية أبنائهم، فيكونون كالمستجير من الرمضاء بالنار، لوجود سلبيات من نوع آخر». العلواني، طه جابر (الدكتور): **الأزمة الفكرية ومناهج التغيير، الآفاق والمنطلقات**؛ سلسلة أبحاث علمية، رقم 12؛ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1: 1996م؛ ص17.

اجتماع الفراغ»: «إنَّ علم اجتماع الفراغ بحقٍّ ثورةٌ ثقافية غيَّرت كلِّية العلاقة بين الإنسان ونفسه، وبين الإنسان والآخرين، وبينه وبين بيئته»[1].

فمثل هذه الأحكام والآراء والتصرُّفات المبعدِة للدين، **والجاحدة للعلاقة بين الإنسان وربِّه**، أثَّرت سلبا على مسار العلوم الزمنية، وأبعدتها كلِّية عن دائرة الاستقرار والطمأنينة الحقيقيين، فبات البرنامج اليوميُّ شكلا بلا عمق، وجسمًا بلا روح.

ثانيا الأزمنة المهيمِنة في الفكر الغربيِّ:

الزمن المهيمِن (Le temps dominant) هو الزمن الأساسيُّ والقاعديُّ، عليه مدار الأزمنة الأخرى، فهو بمثابة قطب موجِّه ومنظِّم للبرنامج الزمنيِّ في جميع أشكاله[2].

ويضبط «روجير سيو» الخصائص التي يُعرف بها **الزمن المهيمن**، من بين الأزمنة التابعة له، في خمس خصائص بارزة[3]:

- **الخاصية الأولى**: الزمن المهيمِن هو **الأطول كمًّا** من غيره، في اليوم.
- **الخاصية الثانية**: الزمن المهيمِن هو الزمن الذي **يأوي القيم** المهيمِنة.
- **الخاصية الثالثة**: الزمن المهيمِن هو الذي **يميِّز الهيئات الاجتماعية** المهيمِنة.
- **الخاصية الرابعة**: الزمن المهيمِن يحدَّد من خلال **النتاج المهيمِن** للمجتمع، سواء أكان اقتصاديا، أم ثقافيا، أم روحيا.

(1) أحال روجير سيو إلى كتاب «الثورة الثقافية للزمن الحرِّ» ولم أتمكَّن من الحصول عليه، وانظر ـ J. Dumazdier, ***Vers une civilisation du loisir***, Essai 29, Ed. Seuil, 1962, pp117-141.

(2) Roger Sue, ***Temps et ordre social. Sociologie des temps sociaux,*** Ed. PUF, 1994, p.124.

(3) Ibid, pp126-135.

• **الخاصية الخامسة**: الزمن المهيمِن هو الزمن الذي يُعرف به مجتمع ما، بغضِّ النظر عن حقيقة الأمر (أي هو **زمن التمثيل الاجتماعي**).

الزمن الاجتماعي الكمِّي
الزمن الاجتماعي والقيم المهيمِنة
الزمن الاجتماعي والتصنيف الاجتماعي
الزمن الاجتماعي ونوعية النتاج المهيمِن
الزمن الاجتماعي والتمثيل الاجتماعي

خصائص الزمن المهيمِن

وهيمنة زمن ما بالنسبة لمجتمع معيَّن لا يعني أنَّه ملازم دائمٌ له، لا يتحوَّل ولا يتغيَّر عبر التاريخ؛ ولا أنَّ الأزمنة الأخرى تنعدم كليَّة فيه.

ولقد عرف الغرب منذ العصور الوسطى ثلاثة أزمنة مهيمِنة، هي:

- **الزمن الديني**: في العصور الوسطى.
- **زمن العمل**: من بداية عصر النهضة في القرن 17م، إلى أواخر القرن العشرين.
- **الزمن الحر**: في عصر ما بعد الحداثة، postmoderne[1].

◄ (أ) • **الزمن الديني: المهيمِن في العصور الوسطى**

في سنة 529م ـ أي قبل نحو أربعين سنة من ميلاد الرسول ﷺ سنة 571م ـ كان

(1) Roger Sue, ***Temps et ordre social***, p.124.

قانون الأدْيِرة في «سان بندكت»[1] يشير إلى أنَّ الحياة الريفية للمسيحيين تسير وفق إيقاع «حياة التأمُّل»، ولذلك «تبدأ الصلوات النُّسُكية في الفجر بصلوات الشكر، التي تمجِّد الربَّ في بداية اليوم الجديد، والتي كانت أيضا وقتا للاحتفال بالقُدَّاس الإلهيِّ؛ ثمَّ تجيء صلاة باكِر في أوَّل ساعة من النهار؛ ثم صلاة الساعة الثالثة، بعد ثلاث ساعات منها ـ توافق الساعة التاسعة صباحا ـ؛ ثمَّ صلاة الساعة السادسة ـ حوالي وقت الظهر ـ؛ ثمَّ صلاة الساعة التاسعة ـ توافق الساعة الثالثة بعد الظهر ـ؛ ثمَّ صلاة الغروب، عند غروب الشمس. وفي أوَّل ساعات الليل صلاة النوم؛ وبالإضافة إلى ذلك توجد صلاة نصف الليل، وهي ثلاث خدمات طوال ساعات الليل في الأديِرة»[2].

وهذا المثال لا نشكُّ أبدا في أنَّه يشمل جميع أوروبا، ولا يخصُّ ديرا دون آخر، ولا منطقة دون أخرى، ويلاحظ على الإيقاع المذكور أنَّه يشغل آناء الليل وأطراف النهار، فليس بين صلاة وصلاة وقت كافٍ للزراعة والعمل، وبخاصَّة إذا أخذنا بعين الاعتبار أنَّ صلاة النصارى لا تؤدَّى إلَّا في الكنائس[3]، فيكون

(1) «**مبادئ القديس بندكت**» هي أهم إنجازات هذا القديس الإيطالي (480-547)، وضعها كمبادئ داخلية للرهبان في ديره، ثم انتشرت في إيطاليا وأوروبا وخاصة في فرنسا وبافاريا بألمانيا.

(2) ريس، توماس: **تحليل ساعات العمل**؛ تر. أحمد عبد الفتاح؛ مجلَّة ديوجين (مصباح الفكر)، المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، واليونسكو، القاهرة (عدد 93/149: د.ت.) ص62.

(3) قال النبي ﷺ: «أعطيتُ خمسا لم يعطهنَّ أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا...» الحديث. رواه **البخاري؛ كتاب التيمم، باب قول الله تعالى فلم تجدوا ماء...**؛ ج1/ص128، رقم 328؛ بسند: «حدثنا محمد بن سنان هو العوقي قال حدثنا هشيم قال ح وحدثني سعيد بن النضر قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا سيار قال حدثنا يزيد هو ابن صهيب الفقير قال أخبرنا جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال:...».
وقال العراقي في شرح الحديث: «قيل إنَّ الأمم الماضية لم تكن الصلاة تباح لهم إلَّا في مواضع مخصوصة كالبيع، والكنائس». العراقي، الحافظ زين الدين عبد الرحمن بن الحسين (ت. 806هـ/1404م): **طرح التثريب في شرح التقريب**؛ (الأصلية: دار الفكر، بيروت) طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج2/ص105. أمَّا القرطبي فذكر الفرق بين الأمن والخوف، وقال: «كان من دينهم أنهم لا يصلون إلَّا في البيع والكنائس ما داموا على أمن، فإذا خافوا فقد أذن لهم أن يصلُّوا في بيوتهم» **الجامع**؛ ج8/ص372.

المتعبِّد مرتبطا ومقيَّدا بالصلاة مكانا وزمانا.

وفي مقارنة أجراها «ريس» بين الإيقاع اليهوديِّ ـ المسيحيِّ والإيقاع الإسلاميِّ قال: «يمكن أن نلاحظ أنَّ الفرق الرئيسيَّ بين التقاليد اليهودية والإسلامية هو غياب الصلاة في الساعة الثالثة من النهار (بعد الفجر) في الديانة الإسلامية. وبالمقارنة بالإيقاع المسيحيِّ فإنَّ الإيقاع الإسلاميَّ أكثر بساطة»[1].

ولقد انتقد القرآن الكريم هذه الممارسة في قوله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾[الحديد: 27].

ذكر البيضاوي أنَّ هذه الرهبانية «من **المجعولات**، وهي المبالغة في العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس»، ومن معاني ﴿مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ «ما تعبَّدناهم بها»[2]. فلم تتَّجه المسيحية المجرَّدة إلى التأثير في العالَم الخارجيِّ، ولا إلى شُغل اليوم بالحركة والإنتاج، ففي العهد القديم، الذي ترك بصماته على العهد الجديد، وعلى التاريخ المسيحيِّ كلِّه، اعتُبر «العمل لعنةً»[3]، وأمَّا في العهد الجديد، فنقرأ: «لا تهتمُّوا لمعيشتكم بشأن ما تأكلون وما تشربون، ولا لأجسادكم بشأن ما تكتسون... لا تهتمُّوا بأمر الغد، فإنَّ الغد يهتمُّ بأمر نفسه، يكفي كلَّ يوم ما فيه من سوء»[4].

ومن جهة أخرى، اعتقد اليونانيون القدماء أنَّ «العمل شيء مادِّيٌّ شيطانيٌّ (...) يجب أن يتجنَّبه الصفوة»[5]، وما الفكر الغربي في أغلب مظاهره إلاَّ وليد الفكر اليونانيِّ في صوره الإيجابية والسلبية على السواء.

(1) ريس: **تحليل ساعات العمل**؛ ص63.

(2) البيضاوي: **تفسير**؛ ج5/ص305.

(3) التورات: **الأصول؛ 3-2-2**. د.م.ن.

(4) مجهول: **الإنجيل كتاب الحياة؛ مستخرج من إنجيل متى**؛ د.نا.؛ ط6: 1998م؛ ص8-9، بعنوان: الله يعتني بنا.

(5) درويش والخولي: **أصول الترويح**؛ ص140.

◄ (ب) • زمن العمل: المهيمِن في عصر النهضة، وما بعده

نتيجة لهذا المنحى الدينيِّ الصرف، ولأسباب أخرى معقولة وغير معقولة، جاء ما يُسمَّى بعصر النهضة (renaissance)[1]، فاستبدل بالزمن الدينيِّ زمن العمل، ليصبح هو المهيمِن الجديد؛ واستبدل بالله الإنسان[2]، الذي صار هو المحور، وهو كلُّ شيء في الوجود، ولا شيء غيره[3].

ونتيجة لهذا التحوُّل في التاريخ، حاولت الحضارة الغربية المعاصرة تطبيقَ بعض الإجراءات غير الإنسانية على الإنسان مثل: «التنظيم (بمعناه الآلي)، والتجريد من الشخصية، والتكافؤ العامِّ، والتماثل...»[4]، وإذا ما استعرنا من التاريخ مصطلحاتِه فإنَّنا نقول: «إنَّ عصر النهضة يُعتبر تجديدًا وميلادًا ثانيا (renaissance) وإحياء لأسطورة نظامية مؤسَّساتية»[5].

ومن مظاهر هذا الإحياء تغيُّر البرنامج الزمنيِّ للإنسان الغربيِّ، ليصير العملُ ـ والعمل وحده ـ المحدِّد «للهيكل الزمنيِّ للأيَّام والأسابيع والسنين (...) وهو الذي يشرِّع مراحل الحياة الاجتماعية: التدريب، ثم العمل، ثم التقاعد»[6].

---

(1) Renaissance: النهضة، ويسمى بالإحياء كذلك، هو تجديد ثقافي حدث في أوروبا في القرنين 17-18 للميلاد، فأثَّر على جميع مناحي الفكر والحياة.

(2) يقول كورانسكو: «إنَّ الصورة الذهنية الجديدة تناقض وتبطل الإدراك الذهنيَّ الأوغسطينيِّ للزمان، ولكنَّها لا تنكر العناية الإلهية للتاريخ، إنها تعفي الله فحسب من هذه المسؤولية، بأن عهدت بقسمة الإنسان ونصيبِه إلى الإنسان نفسِه». كيورانسكو، ألكساندر: **شكل الزمان**؛ تر. إيهاب محمد حافظ؛ مجلَّة ديوجين (مصباح الفكر)، المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، واليونسكو، القاهرة (عدد 93/149: د.ت.)؛ ص16.

(3) J. D'Ormesson (de l'académie Française): ***Presque rien sur presque tout***, Ed. Gallimard, France, 1996, p.9.

(4) بيجوفيتش: **الإسلام بين الشرق والغرب**؛ ص64.

(5) كيورانسكو: **شكل الزمان**؛ ص14.

(6) هاردنج، ستيفن وهكسبورز، فرانس: **قيم العمل الجديدة، نظريا وعمليا**؛ تر. شريف بهلول؛ المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية (عدد 145: سبتمبر 1995م) ص93.

ولذلك «وأثناء الربع الثالث من القرن السابع عشر، كان اليوم (يوم العمل) في برلين يبدأ في الساعة الرابعة أو الخامسة (صباحا)، وينتهي بعد ذلك بأربع عشرة ساعة»[1].

ولا تزال هذه الهيمنة الزمنية للعمل في تناقص مستمرٍّ من عقد إلى عقد، ومن قرن إلى قرن، فلقد لاحظ أحد علماء الاجتماع أنَّ «متوسِّط أسبوع العمل بين الفلَّاحين في عام 1850 حوالي 120 ساعة (أي أكثر من 17 ساعة يوميا، بكلِّ أيام الأسبوع)؛ وهبط في عام 1900 إلى 60 ساعة؛ وسجَّل عام 1940، 44 ساعة؛ ووصل عام 1960 إلى 40 ساعة أسبوعيًّا»[2]، والنظام جار حاليا في بعض الشركات بنظام الـ 35 ساعة في الأسبوع[3]، وكذا بنظام الأربعة أيام[4] في الأسبوع (*The four-day week system*)[5]، وبنظام ثلاثة أيام في الأسبوع[6].

وبسبب هذا التقهقر المتتالي لساعات العمل في الغرب، هوى العملُ نفسُه في سلَّم القيم، وفقد مركزيَّتَه وهيمنتَه، لتحلَّ مكانه قيم أخرى، يمكن تسميتها بقيم الفراغ، وأمَّا الدين فلمَّا يستردَّ بعدُ مكانته في السلَّم، وإن كان في تصاعد متواصِل.

ويمكن الاستدلال على هذا الحكم بالإحصاء الذي أجرته «جماعة دراسة

(1) ريس: **تحليل ساعات العمل** (مقال)؛ ص65.

(2) محمد علي: **وقت الفراغ في المجتمع الحديث**؛ ص116، وانظر ـ درويش والحماحمي: **الترويح الرياضي في المجتمع المعاصر**؛ ص65-66. وبوظريفة: **الساعة البيولوجية**؛ ص13،

(3) موضوع تقلُّص ساعات العمل يعدُّ من المواضيع الأكثر انتشارا في وسائل الإعلام، في كامل دول العالَم الصناعي،«**ففي فرنسا، لا يمرُّ يوم دون أن يتصدَّر موضوع تخفيض عدد ساعات العمل واجهة إحدى وسائل الإعلام**

(4) يعرَّف يوم العمل الأمثل «***Optimum work day***» بأنَّه «يوم العمل الذي يكفل أكبر إنتاج ممكن بأقلِّ جهد، بدون أن يترك أثرا سيئا على العامل، مع الوصول إلى أقلِّ تكاليف معينة بالنسبة للوحدة المنتجة» بدوي: **معجم مصطلحات العمل**؛ ص164.

(5) بوظريفة: **نفس المرجع**؛ ص19.

(6) وانظر ـ درويش والخولي: **أصول الترويح**؛ ص145.

أنساق القيم الأوروبية» سنة 82/1981، ثمَّ سنة 1990 [1] (انظر الصفحة الموالية).

هذا الإحصاء أكَّد أنَّ العمل سجَّل المرتبة الثانية في عموم البلاد، ومن المحتمل أن يتدنَّى أكثر مع مرور الأعوام. أمَّا في ألمانيا، وبريطانيا، والدانمارك، وهولندا فيأتي العمل في الدرجة الرابعة بعد الأسرة، والأصدقاء، والمتعة.

والدين لا يحتلُّ الدرجة الأولى ضمن القيم في أيِّ دولة من هذه الدول الأوروبية.

البلد / القيمة	العمل	الأسرة	الأصدقاء	المتعة	الدين	السياسة
النرويج	3.68	3.9	3.6	3.4	2.3	2.5
السويد	3.62	3.8	3.7	3.5	3.0	2.4
إيطاليا	3.57	3.9	3.3	3.1	2.9	2.0
إسبانيا	3.56	3.8	3.4	3.2	2.6	1.8
أيرلندا	3.53	3.9	3.5	3.1	2.3	2.0
فرنسا	3.52	3.8	3.3	3.1	2.3	2.1
بلجيكا	3.46	3.8	3.4	3.2	2.3	1.9
هولندا	3.39	3.7	3.5	3.4	2.4	2.5
الدانمارك	3.39	3.9	3.5	3.4	2.1	2.4
أيرلندا الشمالية	3.29	3.9	3.5	3.1	2.9	2.1
البرتغال	3.29	3.6	3.0	3.9	2.6	2.9
بريطانيا	3.17	3.8	3.4	3.3	2.4	2.3
ألمانيا	3.09	3.6	3.2	3.2	2.3	2.4

• **سلَّم القياس من (1) إلى (4)، بحيث (4) = هامٌّ جدًّا، و (1) = غير هامٍّ**

مركزية العمل، وبقية القيم في أوروبا
82/1981، 1990م

(1) هاردنج وهكسبورز: **قيم العمل الجديدة** (مقال)؛ ص95

◄ (ج) • الزمن الحرُّ: المهيمِن في عصر ما بعد الحداثة

إنَّ «الانحطاط التاريخيِّ لزمن العمل»، حسب تعبير «سيو»[1]، شهد ميلاد **زمن مهيمِن** آخر، هو: **الزمن الحرُّ**؛ حتى عُرف هذا العصر بـ«عصر الترويح»[2]، فرغم أنَّ البعض لا يزال يرى أنَّ الترويح في خدمة العمل، إلَّا أنَّ البعض الآخر يرى «أنَّ **العمل** من الأهداف الرئيسة لتقديم بعض المصادر المالية للقيام **بالترويح**، إذ ينظر البعض إلى وظائفهم وأعمالهم على أنَّها (في المقام الأوَّل) مصدر كسب المال من أجل **المتعة** مع **الأصدقاء والأسرة**، أو ممارسات بعض **الهوايات** أو الأنشطة الرياضية»[3].

ويرى «دومازدييه» أنَّ البشرية متوجِّهة نحو حضارة الترويح، وأنَّ الترويح سيغيِّر جميع مناحي الحياة دون استثناء، فسيؤثِّر على: المجتمع[4]، وعلى العمل[5]، وعلى العائلة، وعلى الثقافة بأنواعها التقليدية والجديدة[6].

ولقد بدأ الترويح ـ كاستثمار للزمن الحرِّ ـ إيجابيًّا، غير أنَّه لم يحافظ دوما على إيجابيته ونفعه، بل إنَّ بعض أنواع الترويح السلبيِّ خرق أكبر المقدَّسات كالأسرة، والعمل؛ فتظهِر حالات الإدمان على التلفزيون ـ مثلا ـ أنَّ الإنسان المعاصر يصنع نظاما لحياته «يعتمد على إيقاع التلفزيون»[7]، بل إنَّ إيقاع حياة

(1) Sue, p.104.

(2) درويش والحماحمي: **الترويح الرياضي في المجتمع المعاصر**؛ ص76.

(3) عطيات: **أوقات الفراغ والترويح**؛ ص36. وانظر ـ محمد علي: **وقت الفراغ في المجتمع الحديث**؛ ص54.

(4) Dumazdier, pp15-127.

(5) Ibid, pp79-98.

(6) Ibid, pp129-252.

(7) لالي، كريستوف وروكاسين، أوليفيا: **التلفزيون كدواء مهدِّئ**؛ مجلَّة **الثقافة العالمية**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (عدد 89: جويلية 1998م) ص149.

الأسرة داخل المنزل يحدَّد على ضوء جدول البرامج التلفزيونية اليومية[1].

ثالثا نموذجان من الأزمنة المهيمنة في العلوم:

(أ) • الأزمنة المهيمِنة، و«ميزانية الوقت»:

المقرَّر أنَّ إحصائيات «ميزانية الوقت» التي اطَّلعنا عليها، في مجملها، لا تقيم الاعتبار اللائق للزمن الدينيِّ، وهذا كسبب لطفوِ زمن الترويح، وكنتيجة له في آن واحد؛ فيمكننا القول إنَّ الإحصاء والتصنيف رغم أنَّهما يبدوان محايدين، غير أنَّهما يتحوَّلان في كثير من الأحوال إلى عمليات غير محايدة البتَّة.

ففي إحصائية قام بها «بيوكر» لتحديد حجم وقت الفراغ في عمر الإنسان، في ثلاثة أجيال متعاقبة، توصَّل إلى الآتي[2]:

1. في سنة 1875م: كان متوسِّط عمر الإنسان 40 سنة، موزَّعة كالآتي:

..... %	من عمر الإنسان يقضيها في.....=	..... سنة(*)
5.6	من عمر الإنسان يقضيها في **المدرسة** =	2.2
26.0	من عمر الإنسان يقضيها في **العمل** =	10.4
60.5	من عمر الإنسان يقضيها في **الأكل والنوم** =	24.2
7.8	من عمر الإنسان يقضيها في **أوقات الفراغ** =	3.1

2. في سنة 1950م: كان متوسِّط عمر الإنسان 70 سنة، موزَّعة كالآتي:

(1) محمد علي: **وقت الفراغ في المجتمع الحديث**؛ ص184.

(2) عطيات: **أوقات الفراغ والترويح**؛ ص25.

(*) الإحصاء هنا يشير إلى السنة كاملة بليلها ونهارها. أي في السنة 365 يوما = 8760 ساعة.

%	من عمر الإنسان يقضيها في.....=	..... سنة
4	من عمر الإنسان يقضيها في المدرسة =	2.8
15.3	من عمر الإنسان يقضيها في العمل =	10.7
59.9	من عمر الإنسان يقضيها في الأكل والنوم =	41.9
20.7	من عمر الإنسان يقضيها في أوقات الفراغ =	14.5

3. في سنة 2000م[1]*: يصبح متوسِّط عمر الإنسان 75 سنة، وستوزَّع كالآتي:

%	من عمر الإنسان يقضيها في.....=	..... سنة
4.7	من عمر الإنسان يقضيها في المدرسة =	3.6
7.9	من عمر الإنسان يقضيها في العمل =	5.92
60.2	من عمر الإنسان يقضيها في الأكل والنوم =	45.15
27.1	من عمر الإنسان يقضيها في أوقات الفراغ =	20.32

إحصاء حجم الفراغ في عمر الإنسان في ثلاث مراحل تاريخية

في هذه الإحصائيات يلاحظ ـ إضافة إلى ما تقدَّم من غياب زمن العبادة ـ التناقص المستمرّ في زمن العمل، والتزايد المطَّرد في أوقات الفراغ، بنسب متعاكسة، وهذا الجدول الذي استنتجناه يبيِّن ما ذكرنا:

القيمة / السنة	العمل	الفراغ
1875	% 26.0	% 7.8
1950	% 15.3	% 20.7
2000	% 7.9	% 27.1

تلازم نسب انخفاض أوقات العمل وارتفاع أوقات الفراغ من سنة 1875 إلى 2000م

(1)* باعتبار أنَّ البحث أنجز قبل سنة 2000م.

(ب) • الأزمنة المهيمِنة، وإدارة الوقت:

هذا عن «ميزانية الوقت»، التي تعنى بالإحصاء، ونفس الشيء بالنسبة «لإدارة الوقت»، التي تهتمُّ بتقديم النصح والتوجيه، ويفترض فيها أن تعطي أمثل نموذج ممكن للبرمجة، غير أنَّ إبعاد الدين والقيم بات من المسلَّمات لدى التخصُّصات الزمنية، إلَّا ما شذَّ منها؛ ونستدلُّ على ذلك بعرض جدول واحد عنوانه: أين يذهب وقتك، من كتاب «**إدارة الوقت: المرشد الكامل للمديرين الذين يعانون من ضغط الوقت**»[1]:

النشاط اليومي من يوم الاثنين إلى يوم الجمعة	عدد الساعات	
	المحدَّدة	الفعلية
• نوم	8 سا	
• استحمام، ارتداء ملابس	½ سا	
• تناول الطعام	1.5 سا	
• تنقل	1.5 سا	
إجمالي الوقت المستخدم	**11.5 سا**	
• ساعات العمل	7 سا	
• فترة استراحة	½ سا	
• فترة انتظار	¼ سا	
• أغراض اجتماعية	¼ سا	
إجمالي وقت العمل	**8 سا**	
• مشاهدة التلفزيون	1 سا	
• أنشطة رياضية وصحية	½ سا	
• هواية، عمل منزلي... إلخ	1 سا	
• أنشطة عائلية واجتماعية	2 سا	
إجمالي أنشطة الفراغ/ الزمن الحرُّ	**4.5 سا**	
	24 سا	

أين يذهب وقتك؟

(1) ليستر؛ ص27.

من خلال هذا الجدول ـ كنموذج من بين العشرات ـ نصل إلى نتيجة مفادها أنَّ الغرب، ما بعد عصر الحداثة، بنى برنامجه الزمني على مثلَّث أحاديِّ الأبعاد، ركائزه الأساسية محدَّدة مسبقا. وهي: **النوم، العمل، والفراغ**[1].

مثلث البرنامج الزمني الغربي (يتغيّر اتجاهه، ولا تتبدّل طبيعته)

رابعا الأزمنة المهيمِنة، وحتمية الزمن الرابع:

رغم كلِّ ما تقدَّم، فإنَّ ثمَّة بشائر تدلُّ على حتمية البحث عن زمن رابع يرفع الأزمة الحقيقيَّة التي وقع ـ ويقع ـ فيها الغرب، جرَّاء اختلال ميزان التماثل بين القيم والأزمنة[2].

يقول صاحب مقال "تحليل ساعات العمل" في مجلَّة "مصباح الفكر": «إنَّ حدثا دنيويًّا، هو دولة الرفاه، قد ضاءل من وقت العمل، وأعاده إلى ما كان عليه قبل عصر الإصلاح، مع ساعات عمل يوميٍّ أقلَّ أيضا. وليس من المستحيل أن تساعد الأفكار الجديدة، التي ربَّما أتت من الشرق الأقصى[3] ـ يوما ـ العالَم الغربيَّ في التوفيق بين قيمه التقليدية المعاد اكتشافها، وبين ازدهار اقتصاده

(1) وانظر ـ محمد علي: **وقت الفراغ في المجتمع الحديث**؛ ص87.

(2) Sue, p.121.

(3) يلاحظ في مصطلح «الشرق الأقصى» نوعا من التعمية، وعدم التعبير بالضبط عن أيِّ ديانة أو أفكار يتحدَّث.

ونجاحه»[1].

ويذهب "روجير سيو" صاحب نظرية سوسيولوجية الزمن الاجتماعي أبعد من ذلك، فيبشِّر بعودة حتمية لما أسماه بالزمن المقدَّس ذلك أنَّ السِّمة الكمِّية للزمن الغربيِّ لم تعطه الإشباع الذي يبحث عنه، والذي لن يجده إلَّا في زمن كيفيٍّ متناسق مع النظام الاجتماعيِّ، ومتناغم مع طبيعة الإنسان وفطرته.

ونقرأ لـ"أنتوني روبنز" فقرات من كتابه، الذي تصدَّر قائمة المبيعات لمدَّة معتبرة، وكأنَّنا مع كتاب في الفكر الدينيِّ، وليس مع كتاب من كتب الإدارة المتخصِّصة. فممَّا نطالع قولَه: «لا بدَّ لنا من أن ندركَ بأنَّ توجيه حياتنا إنَّما تتحكَّم فيه **قيمُنا**، فهي القوى التي تقف أمامنا وتقودنا باستمرار لاتخاذ القرارات التي **تولِّد اتجاه حياتنا ومصائرها النهائية**؛ ولا يصحُّ هذا فحسب علينا كأفراد، بل وحتَّى كياننا كأمَّة كذلك، ولا شكَّ بأنَّ **القيم** التي حملها أجدادنا الأوائل، وتمسَّكوا بها، كانت هي التي قرَّرت مصائرهم»[2].

إلَّا أنَّنا سرعان ما نكتشف أنَّه لا يعني بالقيَم ما نعنيه، والاختلاف بيننا واضحٌ سواء في المصطلح أم في المقصد والغاية.

هذا عن فلسفة الزمن في الغرب، وعن سيرة الأزمنة المهيمنة في الحضارة الغربية، فماذا عن الفكر الإسلامي؟

هذا ما سنحاول استكشافه في المبحث التالي.

---

(1) ريس؛ ص76.

Sue, p.295.

(2) روبنز، أنتوني: **أيقظ قواك الخفية، كيف تتحكَّم فورا بمستقبلك الذهني والعاطفي، والجسماني والمالي**؛ تر. مكتبة جرير؛ سلسلة الكتب التي تصدرت قوائم المبيعات في العالم؛ مكتبة جرير، الرياض، ط1 (بالعربية): 2000م؛ ص370.

المبحث الثاني

الزمن الصبغة في الفكر الإسلامي

ممَّا عانى منه الفكر الإسلاميُّ عبر تاريخه الطويل، ولا يزال، إخضاعه عنوة لمقاييس لم توضع أساسا له، والحكمُ عليه بالسلب أو الإيجاب من خلالها[1]، ومن هذا القبيل التعاملُ مع الأزمنة الإسلامية بمداخل ومصطلحات ومناهج وُلدت من رحم الإنسان الغربيِّ، المتنكِّر عيانا للألوهية وللمصير، والمُعاني دوما من الانفصام بين الماديِّ والمعنويِّ، وبين الدنيويِّ والأخرويِّ.

فهل في الإمكان ـ مثلا ـ أن نتحدَّث عن الأزمنة المهيمِنة في الفكر الإسلاميِّ؟

إنَّ هذا ممكن، فقط عندما يحدث انحراف في الفكر الإسلاميِّ، وزيغ في تطبيقه، أمَّا في حالته الطبيعية فإنَّ هذا غير وارد البتَّة، ومن الخطأ والخطل الاعتقاد بوجودها.

فمن المناسب أن نظهِر بعض الانحرافات ـ في الفهم وفي العمل ـ التي تسبَّبت في نشأة أزمنة مهيمِنة وأخرى مختزلَة، لدى المسلمين قديما وحديثا، ثم نحاول تصحيح الصورة باعتماد النصوص القطعية والفهوم المستقيمة للفكر الإسلاميِّ.

(1) مثل الموجات التي أقحمت الفكر الإسلامي ضمن «الاشتراكية» أو «الديمقراطية»، وحاليا «العولمة»، محاولِة تطبيق أسسها عليه، وإخضاعه لمواضيعه ومناهجه.

أولا الأزمنة المهيمِنة في التاريخ الإسلامي (انحراف الفهم والعمل):

عقد الإمام الشاطبيُّ في "الاعتصام" فصلا[1] شيِّقًا في النهي عن الترهُّب والتبتُّل، ومجمل الأحاديث التي أوردها تفيد أنَّ ثلَّة من الصحابة رضوان الله عليهم أرادوا أن ينقطعوا للعبادة، وكرِهوا أمورا رأوها من الدنايا، مثل: النوم، والطعام، والنساء... وهم بفعلهم هذا قد أحدثوا زمنا مهيمِنا، على حساب الأزمنة الأخرى؛ غير أنَّ القرآن الكريم ما لبث أن صحَّح هذه المواقف، وبيَّن ذلك رسول الله ﷺ قولًا وفعلًا.

فلو لم يفعل لانجرَّ الفكر الإسلاميُّ إلى غلبة الزمن التعبُّدي، ولاختُزلت أزمنة العمل، والراحة، والنوم... ذلك أنَّ «الإسلام طريقة حياة، أكثر منه طريقة تفكير (...) وأنَّه فقط من خلال فهمنا لحياة الرسول ﷺ يعرِض الإسلامُ نفسَه كفلسفة عملية، أو **خطَّة شاملة للحياة كلِّها**»[2].

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٨٧ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾[المائدة: 87-88]، وقد رويت في سبب نزول هذه الآيات «أخبارٌ، جملتها تدور على معنى واحد، وهو تحريم ما أحلَّ الله من الطيِّبات تديُّنا أو شبه التديُّن، واللهُ نهى عن ذلك وجعله اعتداء، والله لا يحبُّ المعتدين. ثمَّ قرَّر الإباحة تقريرا زائدا على ما تقرَّر بقوله: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾»[3].

ومن جملة هذه الأخبار روايةٌ عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ الآية نزلت في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ «سألوا أزواج النبي ﷺ عن عمله في السرِّ، فقال

(1) الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (ت. 790هـ/1388م): **الاعتصام**؛ ضبطه وصحَّحه أحمد عبد الشافي؛ دار اشريفة، الجزائر، د.ت.ن.؛ ص238-241.

(2) بيجوفيتش: **الإسلام بين الشرق والغرب**؛ ص304.

(3) الشاطبي: **الاعتصام**؛ ص238.

بعضهم: لا أتزوَّج النساء، وقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش. فحمد الله وأثنى عليه، فقال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا؟ لكنيِّ أصلِّي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوَّج النساء، فمن رغب عن سنَّتي فليس مني...»[1].

وعلى هذا المنهج المتَّزن دأب صحابة رسول الله ﷺ، فكثيرا ما قوَّموا اعوجاجات ناتجة عن سوء الفهم في ممارسة العبادة، وعن المبالغة في ترك الطيِّبات تقرُّبا لله تعالى ـ في تقديرهم ـ، ومن ذلك ما روى عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: «آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أمَّ الدرداء متبذِّلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال: كلْ. قال: فإنِّي صائم. قال: ما أنا بآكل حتَّى تأكل. قال: فأكل. فلمَّا كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام. ثم ذهب يقوم، فقال: نم. فلمَّا كان من آخر الليل قال سلمان: قمْ الآن، فصلَّيا. فقال له سلمان: **إنَّ لربِّك عليك حقًّا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعطِ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه**. فأتى النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له، فقال: النبي ﷺ: **صدق سلمان**»[2].

(1) **رواه مسلم؛ كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة؛** ج2/ص1020، رقم 1401. بسند: «حدثني أبو بكر بن نافع العبدي، حدثنا بهز، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس **أنَّ نفرا**...».

(2) **رواه البخاري؛ كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع؛** ج2/ص694، رقم 1867؛ بسند: «حدثنا محمد بن بشار حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي ﷺ...».

وذُكر عن إسماعيل القاضي[1]، عن معقل[2]، أنَّه سأل ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال: «إنِّي حلفتُ أن لا أنام على فراشي سنة، فتلا عبد الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ...﴾ ادنُ وكفِّر عن يمينك، ونم على فراشِك»[3].

غير أنَّ الحديث الشريف لم يسلَم من فعل الوُضَّاع، الذين أضفَوْا مبالغات خطيرةً على حياة الرسول ﷺ، ومن جملة تلك المبالغات نفي الراحة عنه عليه السلام، وإظهاره بمظهر المنزوي والبعيد عن الناس، كلُّ وقته تعبُّد وصلاة، ليس له من يومه ساعات للعائلة والأصحاب، ولا للمرح والطيِّبات؛ ولقد جمعتُ العديد من الأحاديث من هذا القبيل، سأكتفي بإيراد حديث واحد رووه عن الحسن بن عليٍّ ـ كنموذج ـ جاء فيه: «سألتُ خالي هند بن أبي هالة[4]، وكان وصَّافًا، فقلتُ: صف لي منطق الرسول ﷺ. قال: كان الرسول ﷺ متواصل

(1) **إسماعيل القاضي**: شيخ الإسلام الحافظ أبو إسحاق بن إسحاق ابن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي (ت. 282هـ/895م) قال عنه السيوطي: «صاحب التصانيف، وشيخ المالكية بالعراق وعالمهم، شرح مذهب مالك واحتج له... وولي القضاء ببغداد» السيوطي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر (ت. 911هـ/1505م): **طبقات الحفاظ**؛ دار الكتب العلمية، بيروت؛ 1403هـ؛ ج1/ص279.

(2) **أبو علي معقل بن يسار المزني البصري**: صحابي من أهل بيعة الرضوان، روى أحاديث عن النبي ﷺ مات بالبصرة في أواخر خلافة معاوية. وانظر ترجمته في: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت. 748هـ/1347م): **سير أعلام النبلاء**؛ تح. شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي؛ مؤسسة الرسالة، بيروت؛ ط9: 1413هـ؛ ج2/ص576.

(3) الشاطبي: **الاعتصام**؛ ص240.

(4) **هند بن أبي هالة التميمي**: صحابي، وهو ربيب الرسول ﷺ، أمُّه خديجة، روى عنه الحسن بن علي وغيره في صفة النبي ﷺ. كان فصيحا بليغا، وصف النبي ﷺ فأتقن. وانظر ترجمته في: ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني الشافعي (ت. 852هـ/1448م): **الإصابة في تمييز الصحابة**؛ تح. علي بن محمد البجاوي؛ دار الجيل، بيروت؛ 1412هـ/1992م؛ ج6/ص557.

الأحزان، دائم الفكرة، ليست له راحة (...)»[1].

ثمَّ جاء العهد الأمويُّ (40-132هـ/ 661-750م) وحمل معه تبديلا وتغييرا، في شتَّى مجالات الحياة: الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والفكرية... ومن جملة التبديل إحلال **زمن المتعة والغناء، والمآكل والمشارب... كزمن مهيمن**، وإضعاف زمن التعبُّد بكلِّ الوسائل المتاحة[2].

ولقد أصبحت الأمَّة الإسلامية بفعل هذه السياسية «تميل إلى الراحة، والاسترخاء، والاهتمام بشؤون الدنيا، نتيجة الإغراءات الكبيرة، أو القسوة الشديدة التي مارسها الحكَّام في آن واحد. ومع مرور الزمن صار الشعور بالاسترخاء والاهتمام بالشؤون الشخصية ظاهرة سائدة»[3].

(1) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت. 279هـ/892م): **شمائل النبي** ﷺ؛ تح. ماهر ياسين فحل، مر. بشار عواد معروف؛ دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000م؛ حديث رقم 225، ص133 بسند: «حدثنا سفيان بن وكيع، قال: حدثنا جُميع ابن عمر بن عبد الرحمن العجلي، قال حدَّثني رجل من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله، عن ابن لأبي هالة، عن الحسن بن علي، قال: **سألت خالي**...». قال المحقِّق: «**إسناده ضعيف جدا**».
وروي في: ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت. 354هـ/965م): **الثقات**؛ مر. السيد شرف الدين أحمد؛ دار الفكر، بيروت؛ 1395هـ/1975م. ج2/ص145 بسند: «أخبرنا عمر بن سعيد بن سنان الطائي يخبر **بإسناد ليس له في القلب وقع** ثنا سفيان بن وكيع بن الجراح ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي أملاه علينا من كتابه ثنا رجل من بنى تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة يكنى أبا عبد الله عن بن لأبي هالة عن الحسن بن علي قال سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافا من حديث النبي ﷺ».
وروي بلفظه في: الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت. 807هـ/1404م): **مجمع الزوائد**؛ دار الريان للتراث ـ دار الكتاب العربي؛ القاهرة ـ بيروت؛ 1407هـ؛ ج8/ص273.

(2) باستثناء عهد الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز (حكم: 99-101هـ/718-720م)، قال عنه ابن كثير: «ويخرج منهم [من وصف بالهرج من الخلفاء] عمر بن عبد العزيز الذي أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه وعدّوه من الخلفاء الراشدين، وأجمع الناس قاطبة على عدله، وأن أيامه كانت من أعدل الأيام». ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي (ت. 774هـ/1372م): **البداية والنهاية**؛ مكتبة المعارف، بيروت؛ د.ت.ن؛ ج6/ص249.

(3) الشامي: **الزمن في حركة العاملين**؛ ص141.

وهذا يعني ـ بلُغة الزمن ـ تعطيل الزمن بمفهومه الإيجابيِّ، وعرقلة الإنتاج والعمل والإبداع...

وتدلُّ النصوص أنَّ معاوية بن أبي سفيان (ت. 60هـ/ 680م) استعمل فيما استعمل من الوسائل لتوطيد عرشه ـ بعد إبعاد عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من سدَّة الحكم ـ ما يمكن أن نعبِّر عنه بمصطلح "صناعة الفراغ"، أو "صناعة الترويح" من الوجهة السلبية لا الإيجابية، فلقد «كان بالمدينة على عهده طائفة من الشباب المترَف (...) يخشى أن تشرئبَّ أعناقهم إلى الخلافة، ويسوِّل لهم حبُّ الملك أن يكيدوا له، فقصرهم على سكن الحجاز، وحظر عليهم أن يغادروه إلَّا بإذنه. ورأى من الحزم أن يقيِّدهم بالإحسان، ويفيض عليهم جزيل العطاء، ففرض لهم رواتب ضخمة من بيت المال، كانت تتدفَّق عليهم من خزائن الشام، هذا إلى ما ورثوه من آبائهم الفاتحين من ثراء وافر، **ثمَّ هم بعد فارغون من العمل، متعطِّلون**»[1].

ولقد نبَّه عالم عن تجاوزات يزيد بن معاوية (ت. 64هـ/ 683م)، وأنَّ وقته استنزف في اللهو واللعب، وأدخل على الإسلام زمنا **مهيمنا** لا يقرِّه الشرع الحنيف، ولا يقبله العقل الحصيف، ففي شذرات الذهب أنَّ عماد الدين أبا الحسن الكيا الهراسي الشافعي[2] «سئل عن يزيد بن معاوية، فقال: إنَّه لم يكن من الصحابة؛ لأنَّه ولد في أيام عمر بن الخطاب ﷺ، وأمَّا قول السلف، ففيه لأحمد قولان: تلويح وتصريح، ولمالك فيه قولان: تلويح وتصريح، ولأبي حنيفة قولان: تلويح وتصريح. ولنا قول واحد: **تصريح دون التلويح، وكيف لا**

(1) صفوت، أحمد زكي: **عمر بن عبد العزيز**؛ سلسلة اقرأ، عدد 65؛ دار المعارف، مصر، 1948م؛ ص21.

(2) **الكيا الهراسي**: هو علي بن محمد بن علي شمس الإسلام عماد الدين أبو الحسن الطبري، المعروف بإلكيا الهراسي: تفقَّه ببلده ثم رحل إلى نيسابور قاصدا إمام الحرمين، وعمره ثماني عشرة سنة، فلازمه حتى برع في الفقه والأصول والخلاف. وطار اسمه في الآفاق. توفي في المحرم سنة أربع وخمسمائة وعمره أربع وخمسون سنة» انظر ترجمته في: أبو بكر بن أحمد ابن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (ت. 851هـ/1447م): **طبقات الشافعية**؛ تح. الحافظ عبد العليم خان؛ عالم الكتب، بيروت؛ 1407هـ. ج2/ص288.

يكون كذلك، وهو اللَّاعب بالنرد، والمتصيِّد بالفهود، ومدمن الخمر، وشعره في الخمر معلوم»[1].

ولم يكن العهد العباسي أحسن حالًا في هذا، إلَّا ما يُستثنى في بعض فتراته، «فلقد أسرف الأمراء في المأكل، فكان يُطبخ للرشيد كلَّ يوم ثلاثون لونا»[2]، والسؤال: كم سيشغل هو وحاشيته وأهل داره من الوقت في التمتُّع بهذه الأطايب؟ لا شكَّ أنَّ هذا يُحدث زمنا مهيمِنًا على حساب أزمنة أخرى.

وكان الناس في هذا العهد «يقضون أوقات فراغهم في سماع الحكايات القصيرة والنوادر، كما كانوا يتلهَّون داخل المنازل بالشطرنج ... وكذا النرد.. والرمي بالنشاب، والصيد بالبندق، ولعبة الجوكان، والصولجان، والجريد.. وسباق الخيل.. والكريكيت، والتنس، والصيد»[3].

وعرفت الأندلسُ بعد ذلك ازدهارا وعصورًا ذهبيَّة، ثم عرفت الرخاء والبذخ، حتى إذا أترف القوم وعفَوْا، آذن النذير بسقوطها، فأفل نجمها (سنة 897هـ/ 1492م)؛ فعوض أن يُستغلَّ الليل للنوم والأهل، أو يعمَّر بالعبادة والعلم، أو يشغل بالمرابطة على الثغور والتخطيط المستمرِّ، تحوَّل إلى فسحة للشهوات.. «يقضي المتآكلون الليلة يتناولون الطعام الشهيَّ، ويتلذَّذون بالخمرة المُحيِية، ويطربون للألحان العذبة، ويتحادثون ويتسامرون، ويقضي الطاهي الليلة يدور بين الفرُن، فيه يدخل الأخباز ينضجها، واللحوم يحمِّرها»[4].

---

(1) العكري، عبد الله بن أحمد الدمشقي (ت. 1089م/1678م): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**؛ دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.ن.؛ ج2/ص8-9؛ وانظر ـ ابن كثير: **البداية والنهاية**؛ ج6/ ص249 وما بعدها.

(2) حسن، إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام، السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**؛ مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط7: 1964م؛ ج2/ص424..

(3) **نفس المرجع**؛ ج2/ص444.

(4) الدبابي، سهام (الجامعة التونسية): **تهذيب المائدة في الأندلس؛ المجلة العربية للثقافة**، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس (عدد 27: السنة 14، ربيع الأول 1415هـ/سبتمبر 1994م) ص165

ولم يسلم التاريخ الإسلاميُّ من ترهُّب وإعراض عن الدنيا، ومبالغات في الصلاة والصوم... ممَّا أحلَّ **زمن التعبُّد كزمن مهيمِن** على غيره من الأزمنة؛ فيُحكى ـ مثلا ـ أنَّ المنصور بن زاذان[1] كان «خفيف القراءة، يقرأ القرآن كلَّه في صلاة الضحى، ويختم القرآن بين الأولى والعصر، ويختم في يوم مرَّتين، وكان يصلِّي الليل كلَّه. وقالت أمُّ ولده: كان يقوم هذا الليلَ فلا يضع جنبه، وما كان يأتيني إلَّا كما يأتي العصفور، ثم يغتسل، ثم يعود إلى مُصلَّاه، فلا ينام هذا الليلَ»[2].

فلو أنَّنا حاولنا وضع برنامج زمنيٍّ لهذا المتعبِّد، لَما وجدنا غير الصلاة وقراءة القرآن، في الليل والنهار، ولافتقدنا أزمنة لعبادات أخرى لها مكانتها في الإسلام، مثل: الاسترزاق، والأهل، ونفع العباد... إلخ.

والغريب أن نطالع كتابا بعنوان "مفتاح الفلاح"، يتضمَّن «أعمال اليوم طيلة 24 ساعة، يعيشها المؤمن مع ربِّه، من الدعاء والذكر والصلاة، اختارها العلَّامة الكبير الشيخ البهائي[3] من السنَّة النبويَّة الشريفة»[4]، ومن حياة أيمَّة الشيعة، من

---

(1) **منصور بن زاذان** (ت. 131هـ/749م): ولد في حياة ابن عمر، وروى الحديث، ترجم له الذهبي، ووثَّقه، ومن جملة ما قال عنه: «كان منصور بن زاذان يقرأ القرآن كلَّه في صلاة الضحى، وكان يختم القرآن من الأولى إلى العصر... كان يختم فيما بين المغرب والعشاء مرتين والثالثة إلى الطواسين، وكان يبل عمامته من دموع عينيه». وظاهر أنَّ هذا مخالف لِما قرَّره الفقهاء من عدد الختمات، ولما جاء به الشرع الحنيف.
وانظر ـ الذهبي: **سير أعلام النبلاء**؛ ج5/ص441-442.

(2) المقريزي، أحمد بن علي (ت. 845هـ/1441م): **مختصر قيام الليل وقيام رمضان للمروزي** (ت. 294هـ)؛ عالم الكتب، القاهرة، ط2: 1403هـ/1983م؛ ص28.

(3) **البهائي**: هو محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحارثي الهمداني. فقيه، محدِّث، لغويٌّ، رياضيٌّ. ترك جملة من التآليف في مختلف المواضيع. ولد في بعلبك سنة 953هـ/1546م، وتوفي في أصفهان سنة 1030هـ/1620م. وليس هو البهائي الذي تنسب إليه الفرقة البهائية. وانظر ـ بهاء الدين العاملي (ت. 1030هـ/1620م): **مفتاح الفلاح، برنامج الشيخ البهائي للعبادات اليومية**؛ مركز بقية الله الأعظم للدراسات والنشر، بيروت، ط1: 1999م؛ ص7-8.

(4) **نفس المرجع**؛ الواجهة.

لدن عليٍّ كرَّم الله وجهه، إلى الإمام الثاني عشر «الخلف الحجَّة»[1]. ولو أنَّ أحدًا التزم هذه الأعمال والأدعية جميعًا لاستغرقت جميع يومه وأكثر، ولَما أمكنه مغادرة مُصلَّاه طرفة عين، ولَما عرف ساعة من نوم أو راحة.

وضمن هذه المبالغات التي أضرَّت بالإسلام يروي رضا علوي قصَّة طريفة نُقلت عن الإمام جعفر الصادق[2]، قال:

" كان لرجل مسلم جار كافر، وكانا يتحدَّثان حول الإسلام أحيانا، ولم يزل المسلم يزيِّن الإسلام في نظر جاره الكافر حتى أسلم.. كان الوقت سحَرًا حينما سمع النصرانيُّ الحديثُ الإسلامِ قرْعًا على الباب، فتساءل:

- من الطارق؟

- أنا فلان، وعرَّف نفسه، فكان جاره المسلم..

قال: ما حاجتك في وقت كهذا؟

فناداه: أن توضَّأ بسرعة، وارتدِ ثيابك حتى نذهب إلى المسجد لأداء الصلاة.

توضَّأ الرجل النصرانيُّ الذي دخل الإسلام حديثا، وخرج مع رفيقه المسلم، ولأوَّل مرَّة في حياته دخل المسجد. كان الوقت يقترب من الفجر، فصلَّيا كثيرًا حتى حان وقت صلاة الصبح، فأدَّيا الفريضة، وانشغلا بالدعاء حتى أضاء الصبح العالَم بنوره، فأراد المسلم

(1) **نفس المرجع**؛ ص68.

(2) هو **الإمام أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر** (ت. 148هـ/765م): أحد الأيمة الشيعة الاثنا عشرية، سليل النبوة. بقيت آثاره في كتاب جمعه تلميذه جابر بن حباب في ألف ورقة. انظر ترجمته في: العكري: **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**؛ ج1/ص7، 200... وابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي (ت. 874هـ/1469م): **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**؛ المؤسسة المصرية العامة، مصر؛ د.ت.ن؛ ج2/ص8.

الجديد أن يذهب إلى منزله، فقال له رفيقه المسلم:

- إلى أين؟

- أريد أن أعود إلى منزلي، فقد أدَّينا فريضة الصلاة، ولم يعد لنا من عمل.

- فيمَ العجلة، لنقرأ تعقيبات الصلاة حتى بزوغ الشمس..

فاستجاب المسلم الجديد، ومكث مكانه، وانشغل بذكر الله حتى بزغت الشمس، فنهض ليذهب، فطلب صاحبُه منه أن يقرأ القرآن حتى يرتفع النهار، وأوصاه أن ينوي نية الصوم لذلك اليوم، وقال له: أنت تعلم كم هو ثواب الصوم وفضيلته!

ولَمَّا حان وقت الظهر، قال المسلم: اصبر قليلا، إذ لم يبق بينك وبين الظهر إلَّا قليلا. ثم أدَّى فريضة الظهر بعد دخول وقتها. وبعد أن أنهيا صلاة الظهر، قال المسلم لرفيقه: إنَّ صلاة العصر على وشك أن يحين وقتها، وفضيلتها أن تؤدَّى في وقتها..

وبعد صلاة العصر قال المسلم: لم يبق من النهار شيء، فأجبر رفيقه على البقاء حتى صلاة المغرب، وبعد صلاة المغرب أراد المسلم الجديد أن يغادر المسجد إلى بيته، فلم يوافق رفيقه المسلم، حيث قال له: لم يبق أمامنا غير فريضة واحدة وهي فريضة العشاء، فصلَّاها، وذهب إلى منزله..

وفي سحَر الليلة الثانية سمع بابه تُقرع، فسأل: من الطارق؟

- أنا جارك فلان، توضَّأ بسرعة، والبس ثيابك حتى نذهب معا إلى المسجد..

- أنا من دينك هذا قد استغنيتُ، اذهب وفتِّش عن شخص أكثر بطالة منِّي، يستطيع أن يقضي وقته في المسجد، أنا إنسان فقير، وصاحب

عيال، ويجب أن أعمل طلبا للرزق...[1]."

هذه القصَّة تعبِّر عن واقع مَن يجهل حقيقة الإسلام والدعوة إليه، ويهتمُّ بالشكل دون المحتوى، وبالكمِّ على حساب الكيف، ويغلِّب زمنا هو من الدين على أزمنة لا تقلُّ أهميَّة في الدين.. ناسيا أو جاهلا أنَّ أفضل العبادة ما كان وفق ما أراد الله تعالى، وسنَّ رسوله ﷺ القائل في مثل هذا المقام: «من رغب عن سنَّتي فليس منِّي»[2].

والحقُّ أنَّه «انشطرت وحدة الإسلام على يد أناس قصروا الإسلام على جانبه الدينيِّ المجرَّد، فأهدروا وحدته، وهي خاصيَّته التي ينفرد بها عن سائر الأديان. لقد اختزلوا الإسلام إلى دين مجرَّد، أو إلى صوفية، فتدهورت أحوال المسلمين»[3]، وفقد المسلمُ دوره الرياديَّ، وضيَّع شهوده الحضاريَّ في العالَم.

وإذا ما وصلنا إلى عصرنا صادفتنا تصرُّفاتٌ ـ فكرية وعملية ـ تلزُّ في قرَنٍ مع ما ذكرنا، فإضافة إلى التجاوزات التطبيقية التي تحمل الإفراط والتفريط، نشير إلى بعض المبالغات في كتب وُضعت أساسًا لتعلِّم الناس كيف يستثمرون أوقاتهم، وإعطاء هذه المبالغات ـ أو الحالات الشاذَّة في أقلِّ تقدير ـ هالةً من الاحترام والتقدير، فنورد مثلا واحدًا نقله صاحب "وقفات مع الوقت"، قال: «قيل لنافع: ما كان ابن عمرَ يصنع في منزله؟ قال: الوضوء لكلِّ صلاة، والمصحف فيما بينهما»، ويعلِّق المؤلِّف[4] على هذا فيقول: «وهكذا كان ابن عمر يستغلُّ وقته في

(1) رضا علوي: **كيف تستثمر وقتك**؛ ص58-60.

(2) تقدَّم تخريجه، انظر أعلاه ـ ص31.

(3) بيجوفيتش: **الإسلام بين الشرق والغرب**؛ ص287.

(4) عبد الإله: **وقفات مع الوقت**؛ ص13-14.

منزله استغلالا إيمانيًّا»[1].

ولم يسلم كتاب الشيخ أبي غدَّة القيِّم من بعض المبالغات[2]، التي لا تخدم المنهج الإسلاميَّ الأمثل في برمجة الوقت لدى المسلم المعاصر، وكنَّا نودُّ لو علَّق عليها وصوَّبها، وبخاصَّة أنَّه صار مرجعا في بعض هذه المبالغات للكثيرين ممن بعده. نذكر للتمثيل ما أورده عن طاشكبري زاده عن الحسن الشيباني، قال عنه: كان «لا ينام الليل، وكان يضع عنده دفاتره ـ يعني كتبا ـ فإذا ملَّ من نوع نظر في آخر، وكان يزيل نومه بالماء، ويقول: إنَّ النوم من الحرارة»[3]. وأكثر مبالغة من هذا ما نقله عن عبيد بن يعيش، أنَّه قال: «أقمت ثلاثين سنة ما أكلت بيدي بالليل، كانت أختي تلقِّمني، وأنا أكتب الحديث»[4].

(1) نعم كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكثر من قراءة القرآن والصوم، ولكننا ننزِّهه عن تضييع الأهل، وتضييع حقوق الأرحام، ولقد روي تقويم الموقف عن الرسول ﷺ؛ لو أنَّ المؤلِّف أورد جملة الأحاديث المروية في هذا التصحيح، وامتثال ابن عمر له، لكان أحسن. نذكر من بينها حديثا **رواه البخاري؛ كتاب فضائل القرآن، باب في كم يقرأ القرآن؛** ج4/ص1926، رقم 4765؛ بسند: «حدثنا موسى، حدثنا أبو عوانة عن مغيرة عن مجاهد عن عبد الله بن عمر قال: «أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كنته، فيسألها عن بعلها، فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا، ولم يفتش لنا كنفا منذ أتيناه. فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي عليه السلام، فقال: القني به. فلقيته بعدُ، فقال: كيف تصوم؟ قال: كلَّ يوم، قال: وكيف تختم؟ قال: كلَّ ليلة. قال: صم في كلِّ شهر ثلاثة، واقرإ القرآن في كلِّ شهر. قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: صم ثلاثة أيام في الجمعة، قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: أفطر يومين وصم يوما، قال قلت: أطيق أكثر من ذلك. قال: صم أفضل الصوم صوم داود، صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كلِّ سبع ليال مرَّة، فليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذاك أني كبرت وضعفت. فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار، والذي يقرؤه يعرضه من النهار، ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوَّى أفطر أياما، وأحصى، وصام مثلهن، كراهية أن يترك شيئا فارق النبي ﷺ عليه. قال أبو عبد الله وقال بعضهم: في ثلاث، وفي خمس، وأكثرهم على سبع».

(2) **قيمة الزمن عند العلماء؛** ص48، 71...

(3) **نفس المرجع؛** ص31.

(4) **نفس المرجع؛** ص32-33. راعى المؤلِّف زمن العالِم، ولم يعتبر زمن أخته التي كانت تشتغل بتلقيم أخيها الطعام.

ومن جملة الانحرافات في البرمجة الزمنية كذلك، ما نطالعه من كتب أُعِدَّت على نسق غربيٍّ المنطلق غربيِّ المصبِّ، فاستبعدت الدين والعبادة كلِّية من دائرة البحث والدراسة، ونورد كمثال لذلك الدكتورة عطيات في كتابها عن "الترويح وأوقات الفراغ"، فمن بين الأخطاء نذكر:

- لـمَّا اقترحت أنموذجا لبرنامج يوميٍّ لـمُعسكرٍ، بيَّنت فيه كلَّ التفاصيل الممكنة، حتى الدقيقة منها، ولم تُدرج ضمنها ـ ولو إشارة ـ العبادةَ، من صلاة أو مذاكرة للقرآن...[1].

- خَصَّصت الفصل الخامس من كتابها لأنواع أنشطة الترويح وتصنيفاتها، وبسطت القول في تعدادها، فأهملت كلية ما يعتبر ترويحا دينيا، مثل عمارة المساجد، أو حلقات الفقه والذكر...[2].

- في دراسة تحليل الوقت الميدانية، استعملت المؤلِّفة استمارة تسجيل الوقت، للتعرُّف على نوعية النشاط اليوميِّ الذي يمارسه الشباب، فأبعدت تمامًا ما يمتُّ إلى الدين بصلة، وكأنَّها تتعامل مع مجتمع غير مسلم[3].

ويذكر الأستاذ محادين باللفظ أنَّ «معظم الشباب في المجتمع العربيِّ حاضرًا، يعتقدون بضرورة تقسيم الوقت إلى: **وقت عمل، ووقت فراغ**، ولكنَّهم مع شديد الأسف لم يطبِّقوا هذه العملية المهمَّة على أنفسهم، أي أنَّهم لا يسيرون وفق جدول زمنيٍّ يحدِّد أوقات عملهم، وأوقات فراغهم وترويحهم»[4]، فأين هو **زمن العبادة من بين هذه الأزمنة المذكورة؟** وهل حقًّا الشباب العربيُّ كلُّه يغفل في برنامجه اليوميِّ أوقات الصلاة، وعمارة المساجد، والأعمال الخيرية والإيمانية الأخرى؟

(1) عطيات: **أوقات الفراغ والترويح**؛ ص73-74.

(2) **نفس المرجع**؛ ص53-81.

(3) **نفس المرجع**؛ ص170 وما بعدها.

(4) محادين: **استثمار الوقت**؛ ص27. بمطالعة الكتاب يتبين أنَّ محادين لم يعتبر زمن العبادة لا ضمن وقت العمل، ولا ضمن وقت الفراغ.

إنَّ هذه الانحرافات في الفكر لا تستثني انحرافات ميدانية في البرمجة الزمنية للمسلم المعاصر، فلو أنَّنا سألنا: ما هو البرنامج اليوميُّ للمسلم؟ هل لديه زمن مهيمِن وأزمنة مهيمَن عليها، أو مختزَلة؟... لَما استطعنا أن نجد الجواب الدقيق؛ ذلك أنَّ من أدواء العصر التي نعاني منها نحن المسلمين «أنَّنا لا نعرف قيمة الوقت، وأنَّا نضيِّع أوقاتنا سدًى، ونذهِب أعمارنا عبثا، لا نعرف لها قيمة»[1]، فتشتَّتت أحوال المسلمين بين انتمائهم الوراثيِّ لدينهم، وولائهم للثقافة الغربية التي تفرض نفسها عليهم في عقولهم وأجسامهم، وفي أمكنتهم وأزمنتهم، وكأنَّ الآية نزلت فيهم: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: 29][2].

بالإضافة إلى هذا التشتُّت الانتمائي، يعيش المسلمون اليوم انفصاما بين ما يصنِّفونه تحت خانة: "الدنيا"، وما يدرجونه تحت عنوان: "الآخرة". والحقُّ أنَّ الإسلام لا يعرف هذا التفريق بينهما، فلن يرضي المسلمون الله «ولن يخدموا الآخرة، إذا دخلوا المدرسة، أو الجامعة، أو المعمل، أو المصنع، أو المتجر وفي حسابهم أنهم الآن يعملون للأرض ويعملون للدنيا، وأنهم في لحظة أخرى حين يفرغون من عمل الأرض، سيعودون ـ إذا عادوا ـ إلى الله، فيعبدونه، ويتوجَّهون إليه.

كلَّا ليس ذلك من الإسلام! إنَّما الإسلام أن يأكلوا باسم الله، ويتزوَّجوا باسم الله، ويتعلَّموا باسم الله، وفي سبيل الله، ويعملوا، وينتجوا، ويتقووا، ويستعدوا.. في سبيل الله»[3].

(1) الطنطاوي، علي: **في سبيل الإصلاح**؛ دار الفكر الإسلامي، دمشق، ط1: 1378هـ/1959م؛ ص118.

(2) وانظر في المعاني الحضارية لهذه الآية: ـ العمري، أكرم ضياء: **الإسلام والوعي الحضاري**؛ دار المنار، جدة، السعودية، ط1. 1407هـ/1987م؛ ص69 ـ النجار، عبد المجيد: **الإيمان والعمران**؛ مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة (عدد 8: السنة 2، ذو الحجة 1417هـ/1997م) ص51-52.. ـ جودت، سعيد: **الإنسان حين يكون كلًّا وحين يكون عدلًا**؛ المطبعة العربية، غرداية، الجزائر؛ 1990م؛ كلُّه.

(3) قطب، محمَّد: **قبسات من الرسول** ﷺ؛ دار الشروق، بيروت، ط5: 1398هـ/1978م؛ ص24 .

فما الدنيا إلَّا مطيَّة الآخرة، وما الآخرة إلَّا ثمرة للدنيا، لا انفصام بينهما، ولا غَناء لواحدة عن الأخرى؛ فإمَّا أن تصلحا جميعا، وإمَّا أن تهلكا جميعا.

ثانيا بعض مبادرات التصحيح في الفكر الإسلامي:

ثمَّة مبادرات مشكورة لإحلال الدين مكانه في البرمجة الزمنية، وإعادة صياغة برنامج زمنيٍّ مؤسَّس على أرضية من العبادة المطلقة لله تعالى، بالاعتماد على النصوص الشرعية القطعية من قرآن كريم وسنَّة نبوية شريفة، مع الاستئناس بتجارِب العلماء عبر التاريخ الإسلاميِّ القديم والحديث.

هذا من جهة؛ ومن جهة ثانية، تتعامل بعض المحاولات الإحصائية مع المجتمع المسلم دون إقصاء لجانبه الدينيِّ ـ شأن غالبية الدراسات ـ، فتدرِج ضمن البحث الصلاةَ، وصلةَ الأرحام، وقراءة القرآن... إلخ.

ونذكر للتمثيل البحث الميدانيَّ الذي أجراه الدكتور محمَّد علي حول: "الشباب الجامعيِّ ووقت الفراغ"، في عدد من الجامعات المصريَّة، بلغ حجم العيِّنة 3870 مبحوثا، موزَّعين على كافَّة كليَّات الجامعة[1].

ومن جملة أسئلة الاستمارة أدرج الدكتور سؤالا عن «دُور العبادة ووقت الفراغ»، فتوصَّل من خلاله إلى نتيجة مفادها أنَّه «أصبحت دُور العبادة في وقتنا الحاضر منظَّمات تؤدِّي عددا من الوظائف الاجتماعية الهامَّة، فإلى جانب أنَّها أماكن لأداء العبادات والطقوس الدينيَّة، فهي أيضا مراكز تقدِّم الخدمات الاجتماعية والثقافية المختلفة...»[2].

أمَّا رضا علوي فقد أحصى ثلاثين نوعا من أنواع الترفيه الحلال، بكلِّ أنواعه: الرياضية، والفنية، والثقافية، وكان من بينها: «صلة الأرحام، ومشاهدة البرامج التلفزيونية الملتزمة، والاستماع إلى الأناشيد الإسلامية والابتهالات

(1) **وقت الفراغ في المجتمع الحديث**؛ ص22

(2) **نفس المرجع**؛ ص272.

الدينية...»[1].

ولا تخفى المبادرات الأخرى التي حاولت إعطاء البرمجة الزمنية بُعدًا إيمانيًّا وروحيًّا، فالدكتور عبد الستار نوير ـ مثلا ـ عدَّ العقيدة الصحيحة أوَّل أصل من الأصول النظرية الموجِّهة إلى «الإفادة من أوقات العمر، إلى أقصى حدٍّ ممكن»[2].

وأمَّا اعتبار الصلاة محورًا للبرمجة اليومية للمسلم، فقد نبَّه إليه بعض من المؤلِّفين للدراسات الإسلامية في "الوقت وأهميته"، نذكر من بينهم: القرضاوي[3]، وأبا غدَّة[4]، وكرزون[5]، والخالدي[6].

وعمومًا، تعدُّ هذه الأعمال باكورة، تُذكر فتشكر، ولها فضل السبق في دعوتها إلى إدراج العبادة والدين ضمن البرنامج اليوميِّ للمسلم المعاصر، غير أنَّه يلاحظ عليها أمور، منها:

- أنَّها لم ترق بعدُ إلى مستوى البحث المتخصِّص في البرمجة الزمنية.
- تفتقد مصطلحات خاصَّة ودقيقة.
- لا تنتظم تحت منهج مشترك واضح.
- لا تعتمد على قدر كاف من النصوص القرآنية والحديثية، فيما له علاقة بالبرمجة الزمنية.
- بعض هذه الدراسات مذهبيُّ النزعة، في اقتراحه للبرنامج اليوميِّ للمسلم.
- وبعضها الآخر خواطر غير دقيقة، في إدراج الدين مكانه من البرمجة.

(1) **كيف تستثمر أوقاتك**؛ ص83-84.

(2) **الوقت هو الحياة**؛ ص75 وما بعدها.

(3) **الوقت في حياة المسلم**؛ ص25-33.

(4) **قيمة الزمن عند العلماء**؛ ص10.

(5) **الشباب وأوقات الفراغ**؛ ص21-25.

(6) **الخطَّة البرَّاقة**؛ ص133-140.

وفي تقديرنا: إنَّ أكبر إشكالية في بحث تأصيليٍّ عن البرمجة الزمنية هي التي تحاول أن تجيب عن السؤال الآتي: **ما مكانة العبادة في البرمجة الزمنية من منظور إسلاميٍّ صحيح؟ وهل من مقترحات مؤصَّلة ودقيقة؟**

ثالثا الزمن الصبغة (محاولة تأصيلية):

في تحليلنا للأزمنة المهيمنة، بيَّنا الخصائص العامَّة التي تجعل زمنا ما مهيمِنا على غيره من الأزمنة، ولـمَّا حاولنا أن نجد زمنا في الفكر الإسلاميِّ ـ من خلال النصوص القطعية ـ يمكن أن نعدَّه زمنا مهيمِنا، لم نهتد.

ذلك أنَّ الخصائص الخمس المذكورة[1] لا تصدق على أيِّ زمن من الأزمنة المبسوطة في القرآن الكريم، والمفصَّلة في السنَّة النبويَّة الشريفة.

من هنا اقترحنا مصطلح "**الزمن الصبغة**" اقتباسا من قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾[البقرة: 138].

ومن خصائص هذا الزمن المقترح ما يلي:

1. **لا يعني وجوده انتفاء الأزمنة الأخرى**، فهو ملازم لكلِّ الأزمنة: من عمل، ونوم، وراحة... إلخ. أمَّا الزمن المهيمِن فيكون على حساب الأزمنة الأخرى كمًّا وكيفًا.
2. **هو زمن ضابط للمنهج والتوجُّه**، قبل أن يكون زمنا لموضوع معيَّن، أي هو زمن يحدِّد الوجهة ولا يعبِّر عن المحتوى في الدرجة الأولى. أمَّا الأزمنة المهيمنة فتدلُّ على المحتوى أساسا، ويقال: زمن العمل هو الزمن

(1) هذه الخصائص هي: **الخاصية الأولى**: الزمن المهيمِن هو **الأطول كمًّا** من غيره، في اليوم. **الخاصية الثانية**: الزمن المهيمِن هو الزمن الذي **يأوي القيم** المهيمِنة. **الخاصية الثالثة**: الزمن المهيمِن هو الذي **يميِّز الهيئات الاجتماعية** المهيمِنة. **الخاصية الرابعة**: الزمن المهيمِن يحدَّد من خلال **النتاج المهيمِن** للمجتمع، سواء أكان اقتصاديا، أم ثقافيا، أم روحيا. **الخاصية الخامسة**: الزمن المهيمِن هو الزمن الذي يُعرف به مجتمع ما، بغضِّ النظر عن حقيقة الأمر (أي هو **زمن التمثيل الاجتماعي**). انظر أعلاه ـ ص69-70.

المهيمن ـ مثلا ـ، إذا كان الزمن المخصَّص للعمل، والمحتوي له، هو المهيمِن.

3. **هو زمن كيفيٌّ** «qualitatif» في الأساس، ويكون كمِّيا «quantitatif» في بعض صوره. أمَّا الزمن المهيمن فهو كمِّيٌّ أساسا، وقد يكون كيفيًّا في بعض مظاهره[1].

4. إذا كان الزمن المهيمن من نتاج الإنسان والإنسان وحده، أو على الأقلِّ هو كذلك في اعتقاده وتقديره، فإنَّ «**الزمن الصبغة**» **من خالق الإنسان**، الذي أنشأه وضبط له أزمنته وأمكنته، فهو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[الأعلى: 2-3]، ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾[الرعد: 8]. والمصطلح القرآنيُّ لهذه الهداية الزمنية هو «الجعلُ»، ذلك أنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[الفرقان: 62] ، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾[غافر: 61].

و«الجعل» إذا نُسب في القرآن الكريم إلى الله تعالى، يعني «توجيه الشيء المخلوق إلى مهمَّته التي خُلق لها»[2]، وهو بعد الخلق في الترتيب الزمنيِّ.

5. **هو زمن واحد لا يتغيَّر بتغيُّر** الظروف والأحوال، ولا يتبدَّل بتبدُّل الأزمنة والأمكنة، ولا يتقلَّب بتقلُّب الأفكار والأمزجة، بل هو ثابت دائم، فإمَّا أن يكون أو لا يكون. هو المقياس ولا يقاس على غيره؛ بخلاف الأزمنة المهيمِنة؛ ولذلك فضَّلنا صيغة الإفراد على صيغة الجمع، فقلنا: «**الزمن الصبغة**».

---

(1) تحتَ عنوان «عودة زمن مقدَّس جديد» يقول «سيو»: «الخلل الذي يميز الزمن المعاصر، وبالتحديد الزمن الصناعي، هو كونه حوَّل الكيف إلى الكمِّ، واختزل مواصفات الزمن في بُعدها الكمِّي فقط، فجعله زمنا رياضيا، مجرَّدا، وعالميا».

Sue, p.292.

(2) الشعراوي: **تفسير**؛ قرص مدمج، رقم3، تفسير الآية 67، سورة يونس.

تعريف «الزمن الصبغة»:

«**الزمن الصبغة**» هو زمن العبادة، عندما تعني العبادة أشمل معانيها ومدلولاتها، لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: 56]، أي «ليخضعوا ويتذلَّلوا، ومعنى العبادة في اللغة التذلُّل والانقياد»[1]، وإدامة الفكر والذكر، وملازمة الصبر والشكر، مع كلِّ عمل يأتيه الإنسان طوعًا، أو يعترض له كرهًا، ليلًا أو نهارًا، سرًّا أو علانيَّة... ولا تقصر العبادة هنا على الأعمال التي تشغل حيِّزا زمنيًّا بارزا، مثل الصلاة وصلة الأرحام، لأنَّه لا يعقل أن يُؤمَر المسلم بقضاء يومه كلِّه في مصلَّاه ومسجده، أو متنقِّلا بين أهله ورحِمه. وحديث «الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[2] يركِّز هذا المعنى ويدعو إليه.

وفي الآية ـ التي استنبطنا منها مصطلح الصبغة ـ وردت العبادة بهذا المعنى الواسع: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا ... صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾[البقرة: 136-138].

ذكر المفسِّرون في سبب نزول هذه الآيات أنَّ «النصارى، إذا أرادت أن تنصِّر أطفالهم جعلتهم في ماء لهم، تزعم أنَّ ذلك تقديس، بمنزلة غسل الجنابة لأهل الإسلام، وأنَّه صبغة لهم في النصرانية»[3]، وهو ما يسمَّى بالتعميد.

وإنَّ من أنواع التعميد، في هذا العصر، فرضُ برنامج زمنيٍّ على الغير، بحيث لا يتلاءم مع مبادئه وقيمه، ولا مع فطرته وسكينته، والعبرة في فهم القرآن الكريم

(1) البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت. 516/1122م): **معالم التنزيل**؛ تح. خالد العك ومروان سوار؛ دار المعرفة، بيروت، ط2: 1407هـ/1987م؛ ج4/ص235.

(2) رواه **مسلم**؛ **كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها**؛ ج1/ص63، رقم 35؛ بسند: «حدثنا زهير بن حرب حدثنا جرير عن سهيل عن عبد الله بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: **الإيمان**...».

(3) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**؛ دار الفكر، بيروت، 1405هـ؛ ج1/ص570.

بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومن هنا جاء قوله تعالى تتمَّة: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾[البقرة: 139]. لكلٍّ عمله، ولكلٍّ منهجه وطريقته في إنزال ذلك العمل عند وقته المناسب له، فإنَّ «العالي الهمَّة مطلبه فوق مطلب العمَّال والعبَّاد، وأعلى منه، فهو يأنف أن يَنزل من سماء مطلبه العالي، إلى مجرَّد العمل والعبادة، دون السفر بالقلب إلى الله، ليتحصَّل له، ويفوز به، **فإنَّه طالبٌ لربِّه تعالى طلبا تامًّا بكلِّ معنى واعتبار، في عمله وعبادته، ومناجاته، ونومه ويقظته، وحركته وسكونه، وعزلته وخلطته، وسائر أحواله، فقد انصبغ قلبه بالتوجُّه إلى الله تعالى أيَّما صبغة**»[1].

ولقد اختلف المفسِّرون في معنى «الصبغة» في الآية المذكورة، فذهب ابن عباس، وقتادة، وأبو العالية، وعطية، والسدِّي إلى أنَّها: **الدين**. وذهب مجاهد وابن كثير إلى أنَّها: **الفطرة**[2]. والزمن الصبغة يعني تبعا: **الزمن الفطريَّ**[3]، الذي هو في أصل خلقة الإنسان، ويعني: **الزمن الدينيَّ التعبُّديَّ**، الذي هو لله كلّه، ليس فيه شِرْوَ نقير لغيره ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: 162-163].

وإذا ما استعملنا لغة الدراسات الزمنية، قلنا: إنَّ جملة الأعمال اليومية في حياة الناس، كما في «علم اجتماع الفراغ»، و«إدارة الوقت»، و«ميزانية الوقت»... يمكن اختصارها إلى ثلاثة أعمال: **النوم، والعمل، والفراغ**. فكلُّ الأبحاث تدور

(1) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت. 751هـ/1350م): **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**؛ تح. محمد حامد الفقي؛ دار الكتاب العربي، بيروت، ط2: 1393هـ/1973م؛ ج3/ص5.

(2) الطبري: **نفسه**.

(3) **الزمن الفطريُّ**: هو أكثر عمقا من الزمن البيولوجي، ذلك أنَّ الزمن البيولوجي مظهر من مظاهر الزمن الفطريِّ. وفي تقديرنا أنَّه يمكن البحث عن أزمنة فطرية أخرى إضافة إلى الزمن البيولوجي، وهذا دور علماء الأحياء المسلمين.

على هذه الأزمنة ولا تعدوها، ومن هنا جاءت الأزمنة المهيمنة التي أبدع في تحليلها وصياغتها صياغة منهجية، عالمُ الاجتماع: «روجير سيو».

فلو حاولنا ـ مبدئيا ـ أن نعدِّل هذه الثلاثية، حسب مبدأ «**الزمن الصبغة**» الذي اقترحناه، فإنَّنا نضيف إليها عنصرا رابعا، وهو: **زمن الشعائر**، ويعني زمن العبادة التي تشغل حيزا بارزا من الوقت في اليوم، وقد نسمِّيها بـ: **العبادة المؤقَّتة**. فتتحوَّل المعادلة إلى:

أعمال المسلم الزمنية (اليومية) =
الشعائر + العمل + النوم + الفراغ

غير أنَّ هذه المعادلة لـمَّا تكتمل بعد؛ لأنَّها لم تؤسَّس على البعد الإيمانيِّ الشامل، فهي كمِّية شكليَّة، أقرب ما تكون إلى معادلة **الأزمنة المهيمِنة** منها إلى معادلة «**الزمن الصبغة**»، وبالتالي لا تكتمل المعادلة إلَّا على هذا الشكل الرياضيِّ:

البرنامج الزمني = (الزمن الصبغة × زمن الشعائر) + (الزمن الصبغة × زمن العمل)
(الزمن الصبغة × زمن النوم) + (الزمن الصبغة × زمن الفراغ)

⇔

البرنامج الزمني = الزمن الصبغة × زمن (الشعائر + العمل + النوم + الفراغ)

رابعا مظاهر الزمن الصبغة:

يمكننا معرفة الزمن الصبغة من خلال تحليلنا للآيات القرآنية، وللأحاديث النبوية الشريفة، التي وردت فيها **المفاهيم العامَّة للبرمجة الزمنية كما عرَّفناها**؛ وعلى هذا يكون من مظاهر الزمن الصبغة:

1. **ما امتُدح فيه الكثرة من الأعمال في القرآن الكريم**: فالذكر هو العبادة الوحيدة التي امتدحَ الحقُّ تعالى الإكثار منها، في كامل القرآن الكريم[1]، يقول سبحانه وتعالى للرسول ﷺ: ﴿وَٱذۡكُرۡ رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾[آل عمران: 41]، ويأمر المؤمنين بما أُمر به الرسول الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾[الأحزاب: 41]، ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[الجمعة: 10].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال الرسول ﷺ: «أكثروا ذكر هادم اللذات، يعني الموت»[2]، وهذا باعتبار أنَّ الذكر لا يعني فقط النطق باللسان، وإنما يشمل حضور الذهن والوعي لدى القيام بأيِّ عمل، مهما كان نوعه.

يقول الإمام ابن كثير في هذا المعنى: «إنَّ الله تعالى لم يفرض عبادة إلَّا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإنَّ الله تعالى لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه، إلَّا مغلوبا على

(1) ولا يقصد بالذكر هنا جملة من الأقوال، يكرِّرها الذاكر بانتظام، دون وعي لبعدها ومحتواها وروحها، مع الحرص على اكتمال عدد معيَّن من الأذكار في يومه فقط...
يذكر آدم ميتز أنَّ هذا النوع من «الذكر الآلي» استحدث في القرن الرابع للهجرة. ميتز، آدم: **الحضارة الإسلامية، في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام**؛ تر. محمد عبد الهادي أبو ريدة؛ دار الكتاب العربي ـ مكتبة الخاجي، بيروت ـ القاهرة؛ ط4: 1387هـ/1967م؛ ج2/ص114.

(2) **رواه الترمذي؛ كتاب الزهد عن رسول الله، باب ما جاء في ذكر الموت**؛ ج4/ص553، رقم 2307؛ بسند: «حدثنا محمود بن غيلان حدثنا الفضل بن موسى عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: **أكثروا**...» قال أبو عيسى: «**هذا حديث حسن صحيح غريب**».

تركه»[1].

2. **ما استغرق جميع اليوم بصيغ الاستغراق الزمنية**: ومن هذه الصيغ:

«**بكرة وأصيلا**»، ومن هذه الأعمال التسبيحُ، الذي هو من أنواع الذكر، قال تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الإنسان: 25-23]. وقال لعامَّة المؤمنين: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[الفتح: 9].

«**بالليل والنهار**»: ومن ذلك الإنفاقُ، فقد امتدح الله المنفقين بقوله: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة: 274]، فالحقُّ سبحانه «استوعب زمن الإنفاق: **ليلا ونهارا**، واستوعب أيضا الكيفية التي يكون عليها: **سرًّا وعلانية**؛ ليشيع الإنفاق في كلِّ زمن بكلِّ هيئة»[2]، فالإنفاق ـ كما هو بيِّن ـ لا يستغرق زمنا معتبرًا من اليوم، ولكنَّه يحتاج إلى قلب ليِّن وجِل، وحبٍّ مداوم لفعل الخيرات.

3. **ما استغرق جميع حالات الإنسان في هيئته**: «قياما وقعودا وعلى الجنب»، ففي سورة آل عمران: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[آل عمران: 191]. «أي يذكرونه دائما على الحالات كلِّها: قائمين، وقاعدين، ومضطجعين»[3].

4. **زمن التفكُّر**: في خلق السماوات والأرض، وفي الأنفس، وفي بديع صنع الله تعالى، وفي المآل والمصير... إلخ، فإنَّ هذا الزمن لا يتحيَّز، بل يلازم الإنسان المسلم في كامل يومه، ليلِه ونهارِه، بل وحتى قبل نومه، وحين

(1) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت. 774هـ/1372م): **تفسير القرآن العظيم**؛ دار الفكر، بيروت، 1401هـ؛ ج3/ص496.

(2) الشعراوي: **تفسير**؛ قرص مدمج، رقم1، تفسير الآية 274، سورة البقرة.

(3) البيضاوي: **تفسير**؛ ج2/ص130.

تقلُّبه في فراشه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[آل عمران: 190-194].

والفكر معناه «تردُّد القلب في الشيء»[1]، وفي الأثر: «لا عبادة كالفكر»[2]، يقول وهب بن منبِّه: «ما طالت فكرة امرئ قطُّ إلَّا فهم، ولا فهم امرؤ قطُّ إلَّا علم، ولا علم امرؤ قطُّ إلَّا عمل»[3]. بل إنَّ العبادات المؤقَّتة نفسها إذا خلت من الفكر، لم يؤجر صاحبها عليها، وهو يأثم ويلحقه الوزر إن خالطها الرياء، ولو شغلت من يومه كلَّه أو جلَّه.

5. **ومن الزمن الصبغة كذلك، مزامنة الدعاء للعمل**: والشاهد قوله تعالى إخبارا عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة: 127]، فزمن دعائهما كان ملازما وغير نافٍ لزمن رفع قواعد البيت، يقول القرافيُّ في «الفروق»: «فسؤالهما القبول في فعلِهما مع أنَّهما ـ صلوات الله عليهما وسلامه ـ لا يفعلان إلَّا فعلًا صالحا، يدلُّ على أنَّ القبول غير لازم من الفعل الصحيح،

(1) القرطبي: **الجامع**؛ ج4/ص314.

(2) **نفسه**. نسب إلى الرسول ﷺ، ورواه أبو شيبة على أنَّه حديث موقوف عن الصحابي أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومقطوع عن التابعيِّ أبي الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد (ت. 235هـ/849م): **المصنف**؛ (الأصلية: دار الفكر، بيروت) طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج8/ص258. ولم أعثر على هذا الأثر في مراجع أخرى.

(3) ابن كثير: **تفسير**؛ ج1/ص439.

ولذلك دعَوا الله به لأنفسهما»[1].

6. **زمن الصوم**: الصوم فريضةً كان أو نفلا، يوجِّه روح المسلم إلى الله تعالى، ولا يأخذ منه زمنا خاصاً، كما لا يعطِّله عن العمل، ولا عن الترويح الحلال، ولا عن النوم، فهو كما عرَّفنا الزمن الصبغة: «لا يعني وجودُه انتفاء الأزمنة الأخرى»، قال رسول الله ﷺ قال الله: «كلُّ عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلَّا الصومَ، فإنَّه لي، وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامَه من أجلي...»[2].

7. **وآخر أنموذج للزمن الصبغيِّ، نستنبطه من آية البرِّ**، التي أحصت أنواع البرِّ كلِّها، ونفت أن يكون البرُّ مجرَّد ممارسات شكلية خالية من الروح، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[البقرة: 177].

فكلُّ حركة للقلب، أو العقل، أو اللسان، أو الجارحة، أخذت في الحسبان العمق الإيمانيَّ، هي حركة مباركة ومقبولة عند الله تعالى، والزمن الذي تشغله طال أم قصر، هو زمن مثمر بنَّاء... **والبرنامج الزمنيُّ في الفكر الإسلاميِّ يفسح المجال واسعًا لكلِّ ما يبني معاني الإيمان، ويسعى لهدم كلِّ مظاهر الشرك والكفر**، فمن رسخت كلمة التوحيد في قلبه «بحقيقتها

(1) القرافي، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن بن عبد الله بن يلين الصنهاجي المصري المالكي (ت. 626هـ/1229م): **أنوار البروق في أنواع الفروق**؛ (الأصلية: عالم الكتب، القاهرة) طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج2/ص51.

(2) رواه: **مسلم؛ في كتاب الصيام، باب فضل الصيام**؛ ج2/ص807، رقم 1151؛ بسند: «حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية ووكيع عن الأعمش ح و حدثنا زهير بن حرب حدثنا جرير عن الأعمش ح و حدثنا أبو سعيد الأشج واللفظ له حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: **كلُّ عمل**...».

التي هي حقيقتها، واتَّصف قلبه بها، **وانصبغ بها بصبغة الله، التي لا أحسن صبغة منها**، فعرف حقيقة الإلهية التي يثبتها قلبه لله، ويشهد بها لسانه، وتصدِّقها جوارحه؛ ونفى تلك الحقيقة ولوازمها عن كلِّ ما سوى الله، وواطأ قلبُه لسانَه في هذا النفي والإثبات، وانقادت جوارحه لمن شهد له بالوحدانية...» كلُّ من فعل هذا، أثمر كلما طيِّبا، يرفعه عمل صالح، متقبَّل عند الله تعالى[1].

والحاصل، أنَّ البرمجة الزمنية من منطلقها الغربيِّ، لا تعير اهتماما لمثل هذا البعد الإيمانيِّ، العقديِّ، الصبغيِّ، بل تنظر إلى ظاهر الأعمال وشكلها، وتهتمُّ بتعدادها وضبطها، وأقصى ما يمكن أن تصل إليه من العمق هو البحث عن الإحساس القلبيِّ بالسعادة، والطمأنينة الآنية بالعمل المنجز[2]، والنظر إلى عاقبته الدنيوية القريبة، في سطحية وضيق أفق، والحقُّ «أنَّ الفهم الماديَّ للحياة يجعل الإنسان بطبيعته لا ينظر إلَّا إلى ميدانه الحاضر، وحياته المحدودة، على عكس التفسير الواقعيِّ للحياة، الذي يقدِّمه الإسلام، فإنَّه يوسِّع من ميدان الإنسان، ويفرض عليه نظرة أعمق إلى مصالحه ومنافعه، ويجعل من الخسارة العاجلة ربحًا حقيقيًّا (...) ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾»[3]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[فصلت: 46]، ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[الجاثية: 15].

(1) ابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت. 751هـ/1350م): **إعلام الموقِّعين عن ربِّ العالَمين**؛ تح. طه عبد الرؤوف سعد؛ دار الجيل، بيروت، 1973م؛ ج1/ص172.

(2) رسل، برتراند: **الوصول إلى السعادة**؛ تر. نظمي لوقا؛ سلسلة كتب الهلال، رقم 221؛ دار الهلال، مصر، 1977م؛ ص164-166 وبعدها.

(3) باقر الصدر، محمد: **فلسفتنا**؛ دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط15: 1410هـ/1989م؛ ص41.

نتائج الفصل الأول

جملة النتائج التي تستخلص من هذا الفصل هي:

1. تقوم فلسفة الزمن في الفكر الغربيِّ على «**الأزمنة المهيمنة**».
2. **الزمن المهيمن هو**: الزمن الأساس والقاعديُّ، عليه مدار الأزمنة الأخرى، فهو بمثابة قطب موجِّه ومنظِّم للبرنامج الزمنيِّ في جميع أشكاله.
3. **خصائص الزمن المهيمن** خمسة:
   - هو الأطول كمًّا.
   - يأوي القيم المهيمِنة.
   - يميِّز الهيئات الاجتماعية المهيمِنة.
   - يحدَّد من خلال النتاج المهيمِن للمجتمع.
   - وهو زمن التمثيل الاجتماعي.
4. عرف الغرب عبر تاريخه ثلاثة أزمنة مهيمنة، هي:
   - **الزمن الديني**: في العصور الوسطى.
   - **زمن العمل**: من بداية عصر النهضة في القرن 17م، إلى أواخر ق20م.
   - **الزمن الحر**: في عصر ما بعد الحداثة.
5. بنى الغرب برنامجه الزمني على مثلَّث أحاديِّ الأبعاد، ركائزه الأساسية محدَّدة مسبقا. وهي: **النوم، العمل، والفراغ**.
6. البشرية متوجِّهة نحو **حضارة الترويح**، الذي سيغيِّر جميع مناحي الحياة.
7. عرف الغرب حتمية «**زمن رابع**» يرفع الأزمة التي وقع فيها، جرَّاء اختلال ميزان التماثل بين القيم والأزمنة.

8. **لا يعرف الفكر الإسلامي أزمنة مهيمنة** إلَّا حين يقع زيغ في الفكر، وانحراف في السلوك.

9. بدأت بعض **المبادرات التصحيحية** في البحوث الإسلامية، غير أنها لم ترق بعدُ إلى مستوى البحث المتخصِّص، وتفتقد مصطلحات خاصَّة ودقيقة، ولا تنتظم تحت منهج مشترك واضح.

10. اقترحنا بديلًا للأزمنة المهيمنة ما أسميناه **بالزمن الصبغة**، وهو: **زمن العبادة، عندما تعني العبادة أشمل معانيها ومدلولاتها**.

11. خصائص الزمن الصبغة هي أنَّه:

- **لا يعني وجوده انتفاء الأزمنة الأخرى**.
- **زمن ضابط للمنهج والتوجُّه**، قبل أن يكون زمنا لموضوع معيَّن.
- **زمن كيفيٌّ** في الأساس، ويكون كمِّيا في بعض صوره.
- مرجعه إلى **خالق الإنسان**، الذي أنشأه وضبط له أزمنته وأمكنته.
- **زمن واحد لا يتغيَّر بتغيُّر** الظروف والأحوال.

12. **معادلة الزمن الصبغي** تعطي البرنامج الزمني بعدا رابعا، وتضفي عليه لونا مميزا، وهي:

البرنامج الزمني = الزمن الصبغة × زمن (الشعائر + العمل + النوم + الفراغ).

13. نستخرج من النصوص الشرعية مظاهر للزمن الصبغة، ومنها:

- ما امتُدح فيه **الكثرة** من الأعمال في القرآن الكريم.
- ما **استغرق** جميع اليوم بصيغ الاستغراق الزمنية.
- ما **استغرق** جميع حالات الإنسان في هيئته.
- زمن **التفكُّر**...

الفصل الثاني

الأهداف والغايات في البرمجة الزمنية

- **المبحث الأول** : في التعريف والمنهج.
- **المبحث الثاني** : الأهداف والغايات، من خلال الفكر الغربي.
- **المبحث الثالث** : الأهداف والغايات ، من خلال الفكر الإسلامي.

الأزمنة المهيمِنة والزمن الصِّبغة

الفصل الثاني

المبحث الأول

في التعريف والمنهج

أولا الأهداف والغايات لغة واصطلاحا:

الهدف في اللغة هو «المشرفُ من الأرض، وإليه يُلجأ (...) و**الهدف** كلُّ شيء عظيم مرتفع»[1]، وفي الحديث عن عبد الله بن جعفر قال: «**كان أحبَّ ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفٌ، أو حائشُ نخلٍ**»[2]، أي ما ارتفع من بناء وغيره.

و**الإهداف** «الدنوُّ، **أهدف** القوم أي قرَّبوا»[3].

ومن معاني **الهدف** في الاصطلاح: «نقطة يُتوجَّه إليها في عمليَّة ما، استراتيجية كانت أم تاكتيكية»[4]، فلا نجد في المراجع العربية حول إدارة الوقت تعريفا دقيقا **للأهداف**، بل نطالع مجرَّد إشارات إلى أهميتها، وتقسيماتها، ونماذج منها.

(1) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج9/ص346. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ (ت. 770هـ/1368م): **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**؛ (الأصلية: المكتبة العلمية) طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ص635.

(2) **رواه مسلم؛ كتاب الحيض، باب ما يستتر به لقضاء الحاجة**؛ ج1/ص268، رقم 342؛ بسند: «حدثنا شيبان بن فروخ وعبد الله بن محمد بن أسماء الضبعي قالا حدثنا مهدي وهو ابن ميمون حدثنا محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن الحسن ابن سعد مولى الحسن بن علي عن عبد الله بن جعفر قال: **أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم**...».

(3) ابن منظور: **نفسه**.

(4) Bibliorom, Objectif

أمَّا **الغاية** في اللغة فهي من مادَّة «غيا» و«**الغاية** مدى الشيء، و**الغاية** أقصى الشيء»[1] ومداه وأمده، وفي الحديث النبويِّ الشريف أنَّ الرسول ﷺ «**سابقَ الخيل التي لم تُضمِر، وكان أمَدُها من الثنية إلى مسجد بني زريق، وأنَّ عبد الله بن عمر كان سابق بها. قال أبو عبد الله: أمدًا غايةً، " فَطَالَ عَلَيْهِمْ الْأَمَدُ "**[2]»[3].

ومن معاني «**الغاية**: الراية»[4]، وفي الحديث المرويِّ عن عوف بن مالك قال: «**أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبَّة من أدم فقال: اعدد ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظلُّ ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلَّا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا**»[5].

وزاد الفيومي: «**غايتك** أن تفعل كذا، أي نهاية طاقتك أو فعلك»[6].

و**الغاية** اصطلاحا «ما لأجله وجود الشيء»[7].

وإذا بحثنا عن اللفظين في القرآن الكريم، فلا نعثر على مادَّتهما لفظا، وإن شغلت حيِّزًا هامًّا من الكتاب الحكيم معنًى وفحوًى.

---

(1) ابن منظور: **نفس المرجع**؛ ج15/ص143.

(2) سورة الحديد: الآية 16.

(3) **رواه البخاري؛ كتاب الجهاد والسير، باب إضمار السبق للخيل**؛ ج3/ص1053، رقم 2714؛ بسند «حدثنا أحمد بن يونس حدثنا الليث عن نافع عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ سابق بين الخيل...».

(4) ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج15/ص143. والفيومي: **المصباح المنير**؛ ص635.

(5) **رواه البخاري؛ كتاب الجزية، باب ما يحذر من الغدر**؛ ج3/ص1159، رقم 3005؛ بسند: «حدثنا الحميدي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الله بن العلاء بن زبر قال سمعت بسر بن عبيد الله أنه سمع أبا إدريس قال سمعت عوف بن مالك قال أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك...».

(6) الفيومي: **المصباح**؛ ص635.

(7) الجرجاني: **التعريفات**؛ ص207.

وإذا صاغ لنا أن نضبط خصائص «**الهدف**» وخصائص «**الغاية**» فإنَّنا نستنبطها من التعاريف اللغوية والاصطلاحية، ثمَّ نسقطها على مجال البرمجة الزمنية، لنصوغ تعريفا أقرب ما يمكن من دائرة البحث.

فخصائص «**الهدف**» تتمثَّل في: القربِ، والدنوِّ، والعِظم، والارتفاع، وإمكانية الإدراك.

أمَّا «**الغاية**» فخصائصها: المدى، والبعد، والأمد، والدلالة على المغيِّي، بها يُعرف.

وفي البرمجة الزمنية ثمَّة فروق واضحة بين **الأهداف والغايات** منها:

- **الأهداف** سمتها التبدُّل والتطوُّر، أمَّا **الغايات** فثابتة، لا تتغيَّر بتغيُّر الأحوال.
- **الأهداف** تُعرف بزمن معيَّن، ومكان معيَّن، وكيفيَّة معيَّنة[1]، أمَّا **الغايات** فلا تتزمَّن ولا تتحيَّز.
- **الأهداف** أقرب ما تكون إلى الوسائل والأدوات والممارسات، أمَّا **الغايات** فأقرب ما تكون إلى القيم والمبادئ.

بناء على ما تقدَّم، يصوغ للباحث أن يضع تعريفا أوَّليًّا **للأهداف والغايات**، ولعلَّ الاستعانة بالرسم الرياضيِّ سيقرِّب الفهم، ويضبط المعنى أكثر.

فإذا كانت الحياة ـ مبدئيا ـ خطًّا مستقيما، يبدأ من نقطة محدَّدة هي الميلاد، لينتهي في نقطة محدَّدة ـ غير معروفة للإنسان مستقبليًّا ـ هي الموت، وإذا كان هذا الخطُّ يسير وفق اتجاه معيَّن نرمز إليه بـ ←(+)؛ فإنَّ سهم الزمن يكون كالآتي:

(1) يقول ماكينزي: «ينبغي أن يكون **الهدف** محدَّدا يمكن قياسه، إن اتَّسم هدفك بالغموض، فكيف يتأتَّى لك أن تعرف أنَّك قد حقَّقته (...) ينبغي للهدف أن يكون محدَّدا بموعد نهائيٍّ. هذا، وإلاَّ فإنَّه لن يؤخذ بجدية»، **مصيدة الوقت**؛ ص56.

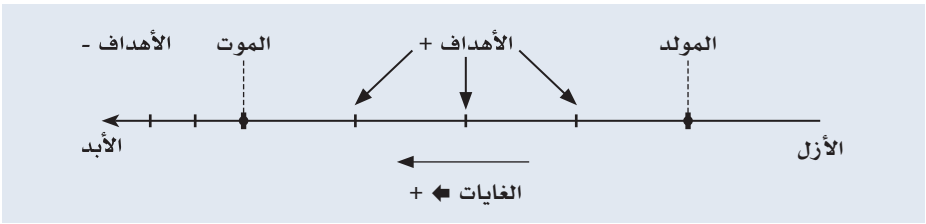

الغايات والأهداف في سهم الزمن

فنعرِّف **الأهداف** بأنَّها:

> **محطات زمنية مستقبلية، يسطِّرها الإنسان لمختلف جوانب حياته، ولمدد معينة.**

وكنموذج لتحديد **الأهداف** من القرآن الكريم، قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[يوسف: 55]. فهذا الطلب يدرَج ضمن عمليَّة **تحديد الأهداف في البرمجة الزمنية**؛ لأنَّه لم يأت من فراغ، وإنَّما أسِّس على معرفة وعلم بقدراته وبمتطلَّبات وعواقب ذلك المنصب، وكانت **غايته** من وراء هذا **الهدف** التوصُّل إلى «إمضاء أحكام الله تعالى، وإقامة الحقِّ، وبسط العدل، والتمكُّن ممَّا لأجله تبعث الأنبياء للعباد، ولعلمه أنَّ أحدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية **ابتغاء وجه الله**»[1].

أمَّا **الأهداف** القريبة المدى، فنمثِّل لها من السنَّة النبويَّة بحديث: «**لا يصلينَّ أحد العصر إلَّا في بني قريظة، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلِّي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلِّي، لم يُرد منا ذلك. فذُكر للنبي ﷺ، فلم يعنِّف واحدا منهم**»[2]. **فالهدف** هو الوصول إلى بني قريظة لغزوهم، والمختلفُ

(1) الزمخشري، جاد الله محمود بن عمر (ت. 528م/1134م): **الكشَّاف عن حقائق وغوامض التنزيل، وعيون الأقاويل، في وجوه التأويل**؛ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان؛ د.ت.ن.؛ ج2/ص482.

(2) **رواه البخاري؛ كتاب الجمعة؛ باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء**؛ ج1/ص321، رقم 904؛ بسند: « حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء قال حدثنا جويرية عن نافع عن ابن عمر قال قال النبي ﷺ لنا لما رجع من الأحزاب: لا يصلين أحد العصر إلاَّ في بني قريظة...».

فيه بين الصحابة هو **زمن تحقيق هذا الهدف**: هل هو قبل صلاة العصر، أم بعدها؟ فأقرَّ الرسول ﷺ هذا الاختلاف؛ لأنَّه في الوسيلة وليس في **الغاية**.

ونعرِّف **الغايات** بأنَّها:

> **معانٍ، غير متزمِّنة، متجاوزة، متعالية، مهيمِنة، وهي التي تحدد اتجاه الحياة.**

وهي بأوجز عبارة:

> **وجهة الحياة ومعناها**[1]

والآية التي يستنبط منها هذا التعريف هو قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: 79]، فهذه الآية تمثِّل **الغاية والوجهة إيمانيا**، أمَّا التطبيق والعمل في أرض الواقع فيكون وفق قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام: 162].

ثانيا الأهداف والغايات في المحاولات التأصيلية (المنهج):

يسجَّل حضور **الأهداف والغايات** في جميع الفنون والعلوم، فلكلِّ شيء **غاية وهدف**: معلَن أو مضمَر، واضح أو غامض، ضعيف أو قويٌّ، مدرَك أو غير مدرَك، معتبَر في العمل أو غير معتبَر...

هذا ما جعل الباحثين في محاولاتهم التأصيلية يرجعون دوما إلى **الأهداف والغايات**، يضبطونها مصطلحا، ويؤصِّلونها منهجا وموضوعا، فيضعون لها خصائص تميِّزها في المنطلق والمصبِّ، وفي المرجعيَّة العلمية والآثار العمليِّة.

ففي مجال التنمية، يكاد نصر محمد عارف يعبِّر عن الحكم الذي توصَّلنا إليه في الخلط بين **الأهداف والغايات**، مع اختلاف طفيف في المصطلحات، حين

(1) «Le sens de la vie». ومعلوم أنَّ ترجمة كلمة «sens» إلى العربية تعني: الوجهة والمعنى معاً.

يقرِّر أنَّ «كثيرًا من هذه النظريات (نظريات التنمية) يخلط بين **الغاية** والوسيلة، أو بين ما يمكن أن يسمَّى **أهدافا** قصيرة الأمد، و**أهدافا** طويلة الأمد، أو بين **الأهداف** و**الغايات** الرئيسة، والأخرى المساعِدة»[1].

أمَّا في ميدان علوم التربية، فإنَّ ماجد عرسان الكيلاني استطاع أن يثبت بدقَّة أنَّ:

- **الغايات**[2] تشتمل على «الأغراض والمقاصد النهائية التي يراد من التربية إنجازها وتحقيقها، على المستويات الفردية والاجتماعية والعالَمية»، أمَّا **الأهداف**[3] فتشتمل على «الوسائل والأدوات الفعَّالة لتحقيق (**الغايات**)»[4].
- هناك من المفكِّرين مَن «ينكر (**الغايات**)، ويعتبر الحديث عنها معوقا لعمليات النموِّ والتقدُّم، ومعطِّلا للكشف والابتكار؛ بينما هناك من يصرُّ على بلورة (**الغايات**) لأنَّ التقدُّم ليس هو الخير الوحيد، وإنَّما هو وسيلة **لهدف** نهائيٍّ يتلوه وهو السعادة، ولكنَّ هؤلاء يختلفون حول محتوى السعادة والرضا (...) ثم يبدأون الدوران في حلقة مفرغة»[5].
- في الفكر الإسلاميِّ القويم لا توجد هذه المشكلة لأنَّ «كلَّ **هدف** يفضي إلى **الهدف** الذي يليه، ويرتبط به روحا ومنطقا، حتى ينتهي التدرُّج إلى (**الغايات**)»[6].

ويمكننا تشبيه هذه العلاقة ـ التي ذكرها الكيلاني بين **الأهداف والغايات** ـ

(1) عارف: **نظريات التنمية**؛ ص261-262.

(2) يستعمل مصطلح «**الأهداف** الأغراض»، مكان **الغايات**.

(3) يستعمل مصطلح «**الأهداف** الوسائل»، مكان **الأهداف**.

(4) الكيلاني، ماجد عرسان: **أهداف التربية الإسلامية، في تربية الفرد، وإخراج الأمَّة، وتنمية الأخوَّة الإنسانية**؛ سلسلة إسلامية المعرفة، رقم 23؛ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط2: 1417هـ/1997م؛ ص25.

(5) الكيلاني: **أهداف التربية الإسلامية**؛ ص25-26.

(6) **نفس المرجع**، ص26.

بالدوائر التي يحدثها جسم يلقى على سطح الماء، فيُحدث دوائر أكبر إلى أن يصل إلى المنتهى، فالدوائر الأولى مدرَكة بالحواس، مرتفعة في الشكل، أمَّا الأخيرة فواسعة وبعيدة، وغير مدرَكة (انظر الشكل الموالي)...

بين **الأهداف** و**الغايات** علاقة تبادل، **فالغايات** «توجِّه (**الأهداف**) وتمنحها الشرعية اللَّازمة، بينما تعمل (**الأهداف**) على تجسيد (**الغايات**)»[1] ويمثِّلها الشكل الآتي:

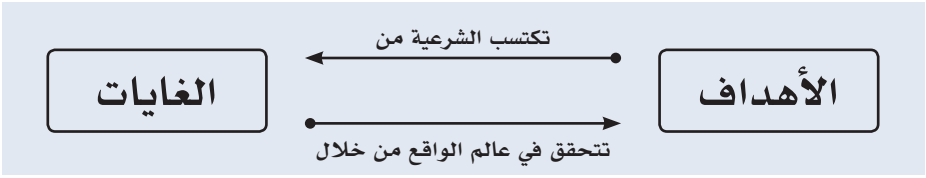

العلاقة بين الأهداف والغايات

وهذه الملاحظات ـ في المنهج ـ يمكن إسقاطها على مجال البرمجة الزمنية، إذا ما قارنَّا بين الفكر الغربيِّ والفكر الإسلاميِّ من جهة، وبين واقع المسلمين وحقيقة دينهم من جهة ثانية، من حيث التعاملُ مع **الأهداف** في إعداد برامجهم الزمنية: اليومية أو ما فوق اليومية، وكذا من حيث اعتبارهم **للغايات** في وضع تلك **الأهداف** وصياغتها.

وحريٌّ بالمبحثين الآتيين أن يُعينا على استجلاء مضامين **الأهداف والغايات**، في الفكرين الغربيِّ والإسلاميِّ، والوصول إلى ما يتأتَّى من ملاحظات وأحكام إيجابية وسلبية عليها.

(1) **نفس المرجع**؛ ص28.

المبحث الثاني

الأهداف والغايات في البرمجة الزمنية، من خلال الفكر الغربي

إنَّ المتتبِّع للسجلِّ التاريخيِّ الذي يحوي خلاصة الفكر الغربيِّ في مجال التعامل مع الوقت وإدارته[1]، يمكنه أن يلاحظ التطوُّر المستمرَّ في مناهج وطرق وآليات البرمجة الزمنية، وبخاصَّة اليومية منها، ولقد اختصر «ستيفن كوفي» هذا التطوُّر في أجيال ثلاثة، ثم اقترح جيلا رابعا كبديل لها، وهي على التوالي:

(الجيل الأول) ـ هو جيل النشأة، يرتكز أساسا على «المذكِّرات، أي التقاويم التي تحمل المواعيد»[2]، ويستدعي توظيف الساعة والقلم والدفتر لتسجيل قوائم المهامِّ[3] لِما يستقبل، وتقارير مضبوطة لِما يقع.

وقد انتهى هذا الجيل، فصار مجرَّد خطوة أوَّلية من خطوات البرمجة الزمنية في الأجيال اللَّاحقة؛ ولكن للأسف لا تزال أغلبية المذكِّرات الشخصية «*Memorandum personel*» والأجندات "Agenda" في العالَم الثالث

(1) انظر مثلا ـ لي جون، وأدكوك روبرت: **الوقت مرَّة ثانية**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال، تصدر عن الإدارة العامة للبحوث؛ محرر السلسلة: دايل تيمب؛ تر. د. وليد عبد اللطيف هوانة، مر. د. سعود بن محمد النمر؛ معهد الإدارة العامة، السعودية، 1411هـ/1991م؛ ص109-121.

(2) كوفي ستيفن، وميريل روجر، وميريل ريبيكا: **إدارة الأولويات، الأهمُّ أوَّلا**؛ تر. د. السيد متولي حسن؛ سلسلة الكتب التي تصدرت قوائم المبيعات في العالم؛ مكتبة جرير، الرياض، ط1 (بالعربية)، 2000م؛ ص21.

(3) روى، أليكساندر: أساسيات إدارة الوقت؛ تر. مكتبة جرير؛ سلسلة العمل بذكاء، تصدر عن الجمعية الأمريكية للإدراة؛ نشر مكتبة جرير، الرياض، ط1 (بالعربية)، 2000م؛ ص16-17.

تُطبع بناء على هذا المنهج.

(**الجيل الثاني**) ـ جيل يعرف بجيل التخطيط والاستعداد، و«هو محكوم بالتقاويم، ودفتر المواعيد، وهو يقوم على الكفاءة، والمسؤولية الشخصية، وإنجاز **الأهداف** الموضوعة، والتخطيط للمستقبل، وجدولة المهامِّ والأحداث المقبلة»[1].

وفي هذا الجيل ظهرت الكفاءة[2] بقوَّة، لتحلَّ محلَّ العجز عن إدارة الوقت، والجهلِ بطرق ومناهج استثماره؛ والكفاءة تقوم على التمرن، فأنشئت لهذا الغرض جمعيات[3]، وأُلِّفت كتب ومجلاَّت، بل كثرت بعد ذلك التربُّصات عن بُعدٍ في مواقع الأنترنات... كلُّها تسعى إلى رفع كفاءة الشخص المدرَّب في

(1) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص22.

(2) انظر ـ جريمسان، يوجين: **فن إدارة الوقت، كيف يدير الناجحون وقتهم**؛ ترجمة: فريق بيت الأفكار الدولية؛ بيت الأفكار الدولية، نيويورك، 1998م؛ الفصل الثالث بعنوان «زوِّد كفاءتك»، ويعرِّف «كوفي وميريل» الكفاءة بأنها «عمل الكثير في وقت قليل»، وعن قيمتها يقول: «الكفاءة تلغي الهدرَ، وتحقِّق الإنجاز، والسرعة، والتقدُّم، والرقيَّ» **إدارة الأولويات**؛ ص27.
أمَّا «ألكساندر» و«كاتكارث» فيعقدان مقارنة طريفة بين الكفاءة «Efficiency» والفعالية «Effectiveness» في قولهم «تعني الكفاءة أن نؤدِّي الأشياء بشكل صحيح، أمَّا الفعالية فتعني أن نؤدِّي الأعمال الصحيحة؛ فالكفاءة في العمل هي أن نقوم بالأشياء بأقلِّ قدر ممكن من الجهد الضائع. تنقلك الكفاءة من نقطة (أ) إلى النقطة (ب) خلال خطٍّ مستقيم، بينما عدم الكفاءة فينقلك بواسطة دوائر» أليساندرا، توني وكاثكارت، جيم: **دليل لإدارة الوقت**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال، تصدر عن الإدارة العامة للبحوث؛ محرر السلسلة: دايل تيمب؛ تر. د. وليد عبد اللطيف هوانة، مر. د. سعود ابن محمد النمر؛ معهد الإدارة العامة، السعودية، 1411هـ/1991م؛ ص559-566.
والأولى هو الجمع بينهما بأن نعمل الأشياء الصحيحة بطريقة صحيحة «***To do right things right***» وانظر أغلب مراجع إدارة الوقت.

(3) منها مثلا ـ الجمعية الأمريكية للإدارة وانظر بعض إصداراتها في روى أليكساندر: **أساسيات إدارة الوقت؛ الصفحة 4 للغلاف**.

استخدامه لوقته[1].

وأهمُّ من ذلك بروزُ **الأهداف** كجزء أساس في البرمجة الزمنية، ولعلَّ هذا مناسب تمامًا لِما يسمَّى بـ«الإدارة **بالأهداف**» التي تعني في مجال علوم العمل وضعَ **أهداف** «للمؤسَّسة أو لجزء منها، كأساس لتحقيق **كفاءة** أكثر، وتهيئة الحوافز والبواعث للمديرين. وفي طريقة الإدارة هذه تُعيَّن العوامل التي تعوق تحقيق **الأهداف**، وتتَّخذ الإجراءات المناسبة للتغلُّب عليها، وتقيَّم النتائج بصورة دورية، وتوضع **أهداف** جديدة للمؤسَّسة حيثما تدعو الضرورة إلى ذلك»[2].

والشاهد هنا هو إحلال الإنسانِ محلَّ الآلة، والمجتمعِ محلَّ المؤسَّسة، وأوقات العمل والنوم والراحة محلَّ أوقات الإنتاج والعطل والتعطُّل... الخ، ولقد تمَّ ذلك بطريقة آلية ومنطقية، فالإدراة علم يقوم على الآلية والتنظيم وابتغاء الدقَّة أساسًا.

(الجيل الثالث) ـ ويحمل إضافة قيِّمة على الجيلين الأول والثاني، فهو يعنى

(1) عن التمرن والبرمجة الزمنية طالع: ماكينزي، إليك: **إدارة الوقت من المبادئ إلى التطبيق**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال، تصدر عن الإدارة العامة للبحوث؛ محرر السلسلة: دايل تيمب؛ تر. د. وليد عبد اللطيف هوانة، مر. د. سعود ابن محمد النمر؛ معهد الإدارة العامة، السعودية، 1411هـ/1991م؛ ص93-105.

ويحكي «ماكينزي» عن خبرته في التأهيل فيقول: «اعتمدتُ في استنتاجي هذا على العديد من سنوات البحث الدائم، والكتابة، وإلقاء المحاضرات، والقيام بدراسات عن المنظَّمات، وتطوير البرامج للمؤسسات والجامعات، ولأكبر جمعيات التنمية الإدارية في العالَم. لقد قدَّمتُ حلقات عديدة في القيادة وإدارة الوقت في 23 دولة، حيث قدَّمت هذه الحلقات كمخبَر مستمرٍّ لملاحظة ومناقشة الممارسات الإدارية، ولفهم مبادئ الإدارة» **نفسه** ص94.

وقد كشفت المقابلات التي أجرتها مجلة «فورتشن غلوبال 500» مع ألف من الإداريين أنَّ ما يمكن تعلُّمه ليس فقط الأدوات العادية لإدارة الوقت، وإنما إدارة الوقت نفسها، إذن «فالمديرون الفعَّالون مصنوعون، وليسوا هكذا بالفطرة». جيمس، ر. ستيفن: **الوقت، كيف تجعل القليل منه كثير**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال، تصدر عن الإدارة العامة للبحوث؛ محرر السلسلة: دايل تيمب؛ تر. د. وليد عبد اللطيف هوانة، مر. د. سعود بن محمد النمر؛ معهد الإدارة العامة، السعودية، 1411هـ/1991م؛ ص341.

(2) جونهاسن وروبرتسون: **معجم مصطلحات الإدارة**؛ ص86.

ـ زيادة على بناء الكفاءة، وتحديد **الأهداف** ـ بوضع **الأولويات**، فصاحب هذا الجيل يقضي الكثير من وقته في ضبط **الأهداف** و**الأولويات**، ولقد «جاءت النتائج التي حقَّقها هذا الجيل واعدة بالنسبة للكثيرين، لقد تجسَّدت قمَّة إدارة الوقت في هذا الجيل الثالث»[1].

وجميع هذه الأجيال فيها نقاط للضعف وأخرى للقوَّة، يمكن اختصارها في الجدول[2] الآتي:

(1) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص26.

(2) **نفس المرجع**؛ ص31-32 (بتصرف).

الجيل	نقاط القوَّة	نقاط الضعف
الأوَّل	• القدرة على التأقلم، والسباحة مع التيار. • الاستجابة للآخرين. • لا يحتاج إلى الكثير من الهيكلة والجدولة. • قليل من الضغط. • وضع إطار لِما «يجب عمله».	• لا يوجد هيكل حقيقي. • ضياع بعض الأمور وسط زحمة العمل. • الالتزام نحو الغير إمَّا منسيٌّ أو مهمل، والعلاقات ضعيفة. • القليل من الإنجاز. • الانتقال من أزمة إلى أخرى، لتجاهل الهيكلة والجدولة. • الأشياء الأهم هي تلك المعروضة أمامَك.
الثاني	• تسجيل الالتزامات والمواعيد. • إنجاز الكثير من خلال التخطيط، وتحديد الأهداف. • اجتماعات وعروض أكثر فاعلية، بسبب التخطيط والاستعداد.	• وضع الجدول الزمني قبل العلاقة الإنسانية. • الكثير من الأمور التي تنفَّذ هي التي تفضِّلها، وليس بالضرورة التي تحتاجها، أو ذات أهمية. • استقلالية التفكير والفعل، والناس لديه مجرَّد أدوات أو موانع نحو الأهداف. • الأشياء الأهمّ هي تلك التي حُدِّدت في الجدول الزمنيِّ.
الثالث	• يفترض المسؤولية عن النتائج. • يرتبط بالقيم. • يقوم على قوَّة الأهداف الطويلة والمتوسطة والقصيرة الأجل. • يترجم القيم إلى أهداف وأفعال. يزيد من الإنتاجية من خلال التخطيط اليومي. • يضع الأولويات. • يزيد الكفاءة. • يضع الحياة في شكل محكم ومهيكل. • يقوِّي مهارة الإنسان في إدارة وقته وحياته.	• يدفعك إلى الاعتقاد بأنك تسيطر على الأمور، بغضِّ النظر عن القوانين الطبيعية. • التخطيط اليومي نادرا ما يعطَّل بسبب الطوارئ، أو الضغوط، أو الأزمات. • قد يقود إلى الشعور بالذنب، والإسراف في البرمجة، وعدم توازن الأدوار. • قد يضع الجدول الزمني قبل الناس، ولا يرى في هؤلاء سوى أشياء. • قلَّة المرونة والاستجابة. • الأشياء الأهمُّ تحدِّدها القيم وإلحاح الموقف.

نقاط القوم والضعف في الأجيال الثلاثة لإدارة الوقت

(**الجيل الرابع**) ـ ظهر كنتيجة طبيعية للإيقاع التسارعيِّ المرهِق الذي عانى منه الإنسان الغربيُّ، وفيه استجابة للألم الذي ينغِّص على الكثيرين حياتهم، فيعبِّرون عن ذلك بقولهم «نحن نعمل الكثير في وقت قليل، ولكن أين العلاقات العميقة، أين السلام النفسي، أين التوازن، أين الثقة في أنَّ ما نقوم به هو أهمُّ ما يجب أن نقوم به خير قيام؟»[1].

ويعتمد هذا الجيل على «البوصلة» لا على «الساعة»، أي على الاستجابة لِما «نحمله داخلنا من رؤية، وقيم، ومبادئ، ومهامَّ، ووعي، وتوجُّه. أي ما هي الأشياء ذات الأولوية في حياتنا؟!» عوض الاعتماد على الساعة التي «تمثِّل مواعيدنا، والتزاماتنا، وجداولنا، و**أهدافنا**، وأنشطتنا. أي كيف ننفِق وقتنا ونوزِّعه؟»[2].

والذي نستفيده من عرض هذه الأجيال أنَّ البرمجة الزمنية من خلال الفكر الغربيِّ تطوَّرت بسرعة، وانتقلت من مراحل جافَّة لا تُعنى **بالأهداف والغايات والأولويات**، إلى مرحلة تعتبِر **الأهدافَ** في ممارستها، وتركِّز على **الغايات** والقيم والمبادئ في منطلقها، وتعتمد **الأولويات** في مرحليتها، وإن كانت لنا اعتراضات كثيرة على تلك المفاهيم والمصطلحات سنبيِّنها في مكانها...

أمَّا الآن ـ وبعد هذا العرض الضروري ـ فسنحاول الإجابة على أسئلة دقيقة تخدم المبحث هي:

- ما مفهوم **الأهداف**، وما مدى أهميتها في البرمجة الزمنية من خلال الفكر الغربيِّ؟
- ما هي نماذج هذه **الأهداف**، وكيف يتمُّ تجسيدها؟
- ما مفهوم الغايات، وما مدى حضورُها في البرمجة الزمنية من خلال الفكر الغربيِّ؟

(1) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص23.

(2) **نفس المرجع**؛ ص17.

أولا الأهداف في البرمجة الزمنية من خلال الفكر الغربي:

(أ) • الأهمية:

ثمَّة إجماع بين الكتَّاب في مجال الوقت وإدارته ـ تحوَّل مع الزمن، ومع تطوُّر العلوم الزمنية إلى مسلَّمة يصعب ادِّعاء نقيضها ـ على أنَّ تحديد **الأهداف** يمثِّل أهمَّ خطوة في برمجة الوقت الفرديِّ والجماعيِّ على السواء.

يقول «ليستر»: «إنَّ إدارة الوقت من أجل **أهداف** مُجدية يشكِّل الفرق ما بين النجاح والفشل، والربح والخسارة، والرضا وعدم الرضا»[1]، ويذهب «جوزيف جوبرت» إلى أبعد من هذا حين يقرِّر أنَّ «ما يريده الرجال ليست هي الموهبة، إنَّه **الهدف**، وبعبارة أخرى ليست هي الطاقة للإنجاز، بل الإدارة للعمل»[2].

والذي يحدِّد **أهدافه** بوضوح، ويأخذها بعين الاعتبار في إعداده لبرنامجه الزمنيِّ، سيتمكَّن لا محالة من «السيطرة على زمام الأمور في حياته، ويصل بقناعة إلى أنَّه **توجد مدَّة لجميع الأشياء، ووقت لكلِّ شيء**»[3][4]، فالذي يجب على كلِّ إنسان هو أن يعمل بناء على **هدف** واضح، ذلك أنَّنا «إذا خطَّطنا (وفق **أهداف**) لعملنا، فإنَّنا نستطيع أن ننجز الحدَّ الأقصى، بالحدِّ الأدنى من الجهد»[5].

ولقد استشهدنا ـ في بداية هذا الفصل ـ بحكمة تقول: «إن لم تدر إلى أين تذهب، فلن يهمَّ أيُّ الطرق تسلك»[6]، هذا في حالة عدم ضبط **الأهداف**، وتُقابِلها حكمة أخرى تقول: «إذا كنت تعرف إلى أين ستذهب، فسوف يخبرك شخص ما

(1) **إدارة الوقت، المرشد الكامل للمديرين**؛ ص31-32.

(2) الدعيبي، حسين: **أقلام كتبت عن: الوقت والعمل**؛ سلاسل سوفنير؛ دار الراتب الجامعية، بيروت، 1993م؛ ص69.

(3) P. Cruella et R. Benayoun, ***Le temps d'emploi***. ESFP. 1986.

(4) «**يوجد وقت لكلٍّ، ووقت لكلِّ شيء**»، تعرف هذا القانون بقانون ليكليسياس.

(5) الدعيبي: **الوقت والعمل**؛ ص42. نسب هذه المقولة لـ«كالفن كولدج».

(6) انظر أعلاه ـ ص108.

كيف تصل إليه»[1](أي إلى **هدفك**).

ولا معنى لكتابة **الأهداف** لمجرَّد نسيانها في دُرج مكتبك، أو العمل بشكل مناقض لها؛ لأنَّ وضع **الأهداف** تعني أساسا الالتزامَ بها، والقاعدة تقول: «يجب عليك الإبقاء على **أهدافك** أمام ناظريك، واعمل من أجلها ليلا ونهارا»[2]، فإذا ما فعلت ذلك، فتيقَّن أنَّه «في اللحظة التي تلتزم بها التزاما كلِّيا، فإنَّ العناية الإلهية ستهبُّ لمساندتك»[3].

يرى «كريس لاين» أنَّ الطريق إلى تحقيق **أهداف** الفرد «يتجسَّد في كلمتين: الاتجاه، والالتزام»[4]

ولا يفوت الكُتَّابَ التمثيلُ لأهمية اتِّخاذ **الأهداف**، والحرص على إنزالها إلى الواقع، من قصص واقعية للناجحين عبر العالَم، في مختلف التخصُّصات ـ وبخاصَّة الاقتصادية منها ـ، ومن مختلف العصور والبلدان... سنكتفي بنموذج واحد ذكره «يوجين جريسمان» في هذا السياق عن «كونراد هيلتون»، وهو:

> أنَّه «بعد انهيار سنة 1929م، لم يعد الناس يسافرون، وحتى إذا سافروا، لم يكونوا ينزلون في الفنادق التي حصل عليها «هيلتون» في سنوات الانتعاش في العشرينيات. بحلول عام 1931، كان دائنوه يهدِّدونه بتنفيذ الحجز.. كانت مصبغته غارقة في الديْن، وكان يقترض من المال من حمَّال الأمتعة حتى يستطيع أن يأكل. في تلك السنة عثر «كونراد هيلتون» على صورة لفندق «والدوف» بمطابخه الستَّة، وطبَّاخيه المئتين، وندله الخمسمائة، وغرفه الألفين، ومشفاه

(1) جريسمان: **فن إدارة الوقت**؛ ص30.

(2) ليستر: **إدارة الوقت، المرشد الكامل للمديرين**؛ ص60.

(3) روبنز: **أيقظ قواك الخفية**؛ ص25. ونسب هذا القول لـ«يوهان وولفجانج فون جوتيه».

(4) لاين، كريس: **التغلب على الوقت لتحقيق الأهداف**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال، تصدر عن الإدارة العامة للبحوث؛ محرر السلسلة: دايل تيمب؛ تر. د. وليد عبد اللطيف هوانة، مر. د. سعود بن محمد النمر؛ معهد الإدارة العامة، السعودية، 1411هـ/1991م؛ ص347.

الخاص، وقطاره الخاص الواقف في قبو الفندق، قصَّ «هيلتون» تلك الصورة من المجلَّة، وكتب عليها: **أعظمهم على الإطلاق**...

(...) وضع صورة «الوالدوف» في محفظته، وعندما أصبح له مكتب مرَّة ثانية، وضع الصورة تحت الزجاج الذي على الطاولة. منذ ذلك الوقت، بقيت الصورة أمامه، حتى عندما عاد يستعيد صعوده، ويمتلك مكاتب أكبر، كان يضع الصورة الغالية تحت الزجاج.. بعد ثماني عشرة سنة، في تشرين الأوَّل عام 1949، اشترى «كونراد هيلتون» «الوالدوف». **لقد أعطت تلك الصورة حلم «هيلتون» الشكلَ والمضمونَ، كان هناك شيء معيَّن يركِّز عليه، أصبحت حافزا لتصرُّفه...**[1]. "

(ب) • نماذج وعيِّنات من الأهداف في الفكر الغربي:

عند إحصائنا لجملة من **الأهداف** التي وردت في المراجع الغربية، وضعنا قائمة لأكثر **الأهداف** اعتبارا لدى الإنسان الغربيِّ المعاصر، سنعرضها بصيغها، ثم نجملها في قائمة جامعة:

1. «تحقيق المتعة، والهرب من الألم»[2].
2. «الأمن، وامتلاك السلع الأساسية: الغذاء، والنظافة، والراحة، والصحَّة، والمعرفة، ووقت الفراغ، فهذا هو الفردوس الأرضيُّ الذي يطمحون إليه منذ الأزل»[3].
3. المزيد من المال، فإنَّ هذا الحلم كما يقول «روبنز» «يتغلغل في صلب ثقافتنا كأمريكيين»[4].

(1) جريسمان: **فن إدارة الوقت**؛ ص30-31.

(2) بيجوفيتش: **الإسلام بين الشرق والغرب**؛ ص80. نسب هذا الرأي لأبيقور وهولباخ.

(3) بيليت: **عودة الوفاق**؛ ص44.

(4) الدعيبي: **الوقت والعمل**؛ ص14.

4. يتصوَّر «جيفريز ريتشارد» مطلق السعادة، التي لـمَّا تتحقَّق بعد، ويعدِّد **الأهداف** التي يمكن أن توصل الإنسان إلى ما يصبو إليه، في قوله: «آمل أنَّ الأجيال التالية ستكون قادرة على امتلاك المزيد من وقت التسلية، وأنَّها قد تستمتع بأيامها، وبالأرض، وبجمال هذا العالَم الجميل، وأنَّها قد ترتاح بجانب البحر وتحلم، وأنَّها قد ترقص وتغنِّي، وتأكل وتشرب»[1].

5. يقول «مارسيل بروست»: «إنَّ عليك أن تعيش على هذه الساعات الأربعة والعشرين لوقتك اليوميِّ، من بينها عليك أن تغزل الصحَّة، والسرور، والمال، والقناعة، والاحترام، والتطوُّر لروحك الخالدة»[2].

6. وفي كتاب عن إدارة الوقت، جاء تحت عنوان «حقِّق التوازن بين **أهدافك**» هذا التقسيم **للأهداف**[3]:

وازن بين أهدافك	
الأهداف المهنية في الأمد القصير	**الأهداف** المهنية في الأمد البعيد
الأهداف الشخصية في الأمد القصير	**الأهداف** الشخصية في الأمد البعيد

جدول الموازنة بين الأهداف

ولتحقيق هذه **الأهداف** القصيرة والبعيدة الأمد، رسم المؤلِّف هذا «الرسم البيانيِّ» «Diagramme»، للتمثيل من حياة بنتٍ في بداية العشرينيات تسطِّر لنفسها برنامجا للوظيف والحياة المستقبلية، وفق **أهداف** حدَّدها، وهو على النحو الآتي:

(1) **نفس المرجع**؛ ص9.

(2) الدعيبي: **أقلام كتبت عن: الوقت والعمل**؛ ص9.

(3) Hindel, ***Gerer son temps***, Mango pratique, 1998, p.16.

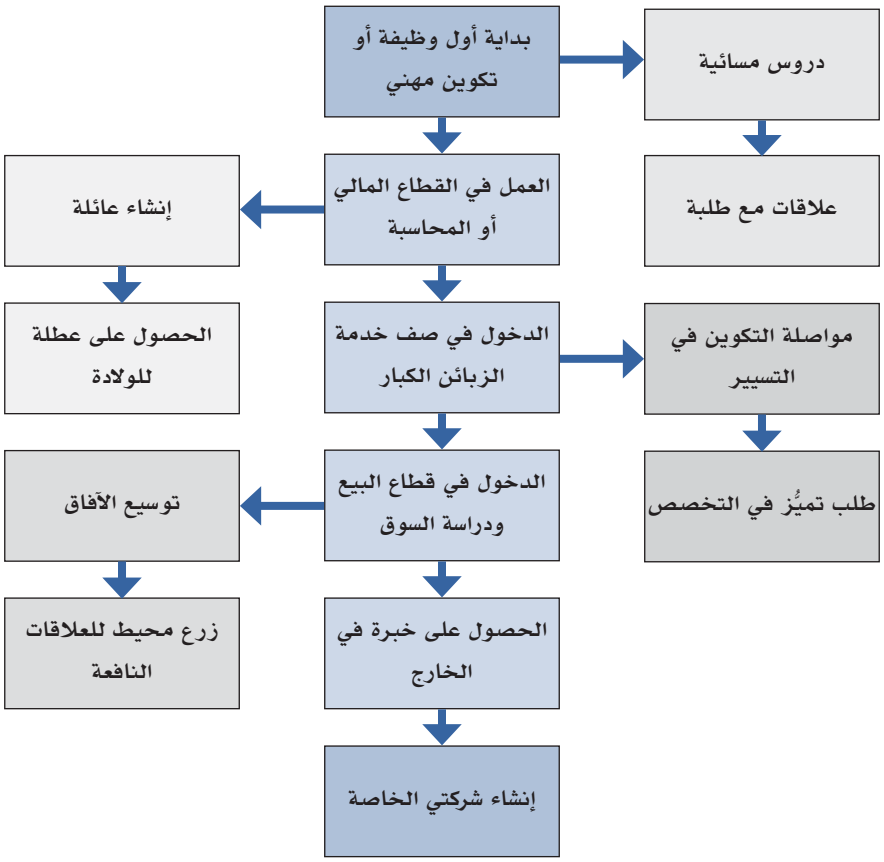

مسار الأهداف، لطالبة غربية في العشرين من العمر

من خلال النماذج والعيِّنات التي وضعناها كما جاءت في مراجعها الغربية، نضبط هذه القائمة، لتظهر أهمَّ **الأهداف** التي تهيمن على الفكر الغربيِّ، في تعامله مع الوقت، كمجال للعمل وللحياة.. فمنها الإيجابيُّ الذي يُطلب إتيانه، ومنها السلبيُّ الذي يُحرص على تركه، ومنها ما هو ماديٌّ، أو روحيٌّ، أو عقليٌّ، أو اجتماعيٌّ... وأغلبُها يجمع بين جانب وجانب، ولذا يصعب تصنيفها بطريقة «كارتيزية».. وهذه **الأهداف** هي:

الإبداع ◄ الأحلام ◄ الأمن ◄ إنشاء شركة ◄ احترام الآخرين ◄ بناء الصداقات والمعارف ◄ تحسين المهارات ◄ تحقيق الذات ◄ التسلية ◄ التطور ◄ الجمال ◄ خدمة البشرية ◄ خدمة المجتمع ◄ الراحة ◄ رفع الألم ◄ الرقص والغناء ◄ الرياضة ◄ السفر والرحلات ◄ السكن ◄ السلَع ◄ السيارة ◄ الشهرة ◄ الصحة ◄ تكوين العائلة ◄ العدل ◄ العطاء ◄ الغذاء والشراب ◄ القناعة ◄ القوَّة ◄ اللذة ◄ المال ◄ المتعة ◄ المعرفة ◄ الموهبة ◄ النظافة ◄ الوظيف ◄◄

أهمُّ الأهداف التي تهيمن على الفكر الغربي

(ج) • الإيجابيات والسلبيات:

لا شكَّ أنَّ التعامل مع **الأهداف** في البرمجة الزمنية، كما بُسطت في الفكر الغربيِّ عبر مراحله وأجياله، يبرز إيجابيات معتبرة، ويحوي على سلبيات لا يستهان بها.

• **فمن الإيجابيات:**

- كثرة التآليف التي تعنى **بالأهداف**، وتقرِّبها إلى كلِّ الشرائح، فلم يبق الموضوع في مستوى التنظير فقط.

- تحوُّل هذا المجال إلى فنٍّ يدرَّس، ذلك أنَّ الوقت تحوَّل إلى «مساق تعليميٍّ مطروح في كثير من الجامعات الغربية»[1].

- إبداع طرق للتكوين وتحسين الأداء في التعامل مع **الأهداف**، سعيا نحو الكفاءة والفاعلية.

- ضبط جزئيات **الأهداف** بإسهاب وتفصيل دقيق[2].

- عرض الخطوات الواجب اتِّباعها، مع الوسائل المستخدمة بكلِّ وضوح.

(1) الحمود، زهير محمد: **الوقت والعمل؛ مجلَّة راية مؤتة**، فصلية تصدر عن جامعة مؤتة، (المجلد الأول، العدد 1: أيار 1992م) ص186-187.

(2) انظر مثلا ـ CruelLa :p27-30

- الأساليب والممارسات في وضع **الأهداف** عملية، ومحقِّقة للإنجاز[1].

- تحليل طرق التفكير ومناهجه، في تعيين **الأهداف**.

- التقسيمات الكثيرة، حسب المدَد، أو الأشخاص، أو الحالات...

- الإكثار من التمثيل من واقع الناجحين، وبسط الكيفيات التي أوصلتهم إلى تحقيق أحلامهم، باعتماد **الأهداف**.

- القدرة على الربط بين **الأهداف** والأعمال مما يمكِّن من التطوير والتطوُّر.

- إنزال المناهج الناجحة في التعامل مع **الأهداف** إلى أرض الواقع، وعدم إبقائها رهينة الكتابات المجرَّدة.

- عدم الانفصام بين **الأهداف** كما طُرحت في الفكر، و**الأهداف** كما هي في حياة الإنسان الغربيِّ...

• **ومن السلبيات:**

- المنحى الماديِّ الصرف **للأهداف**، وحتى في الحديث عن «**الأهداف** الروحية»، و«الاجتماعية» ـ مثلا ـ فإنَّهم يقصرونها على البعد والقيمة الإنسانيَّة فقط.

- أهمُّ السلبيات هي افتقاد **الأهداف** إلى روح، وإلى مرتكز، ممَّا جعلها ذات نفس قصير ضيِّق، وبلا **غاية** حقيقيَّة.

(1) وانظر مثلا ـ كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص78.

- غلبة التوجُّه الكمِّي[1] الحسيِّ على الكيفيِّ المعنويِّ، فكلَّما ضاقت السبل على هذا الاتجاه الكمِّي، وفرض عليه أن يؤوب إلى المنحى الكيفيِّ، حاولت الفلسفات المادِّية امتصاص تلك الإشكالات بإعطائها محتوى كمِّيًّا.

- عدم الاهتداء إلى منهج موحَّد في المراجع لوضع **الأهداف**، حتى إنَّ كلَّ مرجع ينتقد ما سبق ليعرض مقترحه بديلا.

- اقتصار هذه **الأهداف** على «طريقة حياة الإنسان الغربي» «Occidental Life style» فقط، وعجزها عن وضع الحلِّ لكلِّ البشرية.

- اعتماد هذه **الأهداف** على الوسائل والأدوات المكلِفة، وبُعدها عن البساطة.

- لا توجد قاعدة صلبة ينطلق منها واضع **الأهداف**، تكون بمثابة موجِّه ومذكِّر، بل إنَّ الانطلاق عادة ما يكون من أرضية هشَّة، أو من فراغ...

ثانيا الغايات في البرمجة الزمنية من خلال الفكر الغربي:

الغاية ما لأجله وجود الشيء، ولقد عرَّفناها اصطلاحا بأنَّها «**وجهة الحياة ومعناها**»، ولقد ذكِرت بصيغ عديدة في المصادر والمراجع الغربية، منها: القيم، والمبادئ، و**الأهداف** طويلة الأمد، والأغراض، والبعد الروحي، وقيم **الغاية**...

(1) كما أنَّ الدراسات الفكرية في البرمجة الزمنية اهتمَّت بالزمن الكمِّي على حساب الكيفي، أي أنها اهتمَّت بالمقدار والعدد على حساب الوجهة والقيمة، فإنَّ نفس الشيء حدث في علم الفزياء، ذلك أنَّ علوم الفزياء كانت توظِّف الزمن كوحدة ديناميكية قارَّة (t) مجرَّدة عن الوجهة (-t, +t)، غير أنها مع مطلع هذا القرن توجَّهت أكثر نحو الزمن الكيفي، واهتَّمت بالوجهة والقيمة (+,-). وانظر في هذا:

I. Prigogine, ***Physique temps et devenir***, Ed. Masson, Paris, 1982.

وفي نفس الاتجاه، في علم المنطق، نقرأ كتاب:

J. Gardier, ***La logique du temps***, PUF, 1975.

وأيًّا كان اللفظ المستعمل، فإنَّ **الغايات** تؤثِّر سلبًا أو إيجابا على البرنامج الزمنيِّ لكلِّ إنسان..

فإذا ما جلس أحد إلى دفتره ليخطَّ **أهدافه** لمدَّة عشر سنوات ـ مثلا ـ ثم يضع مخطَّطا عمليا لمدَّة سنة، ثم شهر، إلى أن يبرمج أيامه، فإنَّ هذه العملية لا يمكن البتَّة أن تأتي من عدم، بل إنَّها ستنطلق من **الغايات** وتصل إليها، بغضِّ النظر عن حجم تلك **الغايات** ونوعها ومداها.. فبناء **الغايات** الكبرى يسطِّر للمبرمِج ساعات حياته ولحظاتها.

ولقد أجرى «وليام قروسان» دراسة ميدانية[1] تحمل أكثر من دلالة حول تأثير النظر إلى «الشيخوخة والإيمان بالموت وبعالَم الغيب» على الحياة اليومية، بعد أن قرَّر جملة من المعطيات هي:

- أنَّ هذه الحقائق الثلاث تُلقي بظلالها على الحياة اليومية، وبتعبير أحسن تذكِّر أنَّ الحياة معبرٌ وليست مقرًّا.
- أنَّ الإنسان لا يعيش يومه مجرَّدًا، وإنَّما يحياه بناء على نظرته للشيخوخة والموت والغيب[2].
- وبناء على ذلك؛ فإنَّ الحياة اليومية تنظَّم وفق المبادئ والمعتقدات[3].

ولقد أشاد "كوفي" كثيرًا بما يعتقد أنَّه اكتشاف في مجال إدارة الوقت، وإضافة في عمق البرمجة الزمنية، فيما أسماه بالجيل الرابع، وهذا الاكتشاف يقترح إدراج المبادئ كمحور أساس للبرمجة الزمنية وللحياة اليومية، وكقطب حقيقيٍّ تنجذب نحوه الأعمال، و**الغاية** الكبرى ـ عنده ـ هي تحقيق "السلام"، فهو بالتالي يعرِّف **الغاية** بأنَّها القدرة على «أن يعيش (الإنسان) ويحبَّ، ويتعلَّم، ويترك وراءه الأثر الطيب».

(1) W. Grossin, ***le temps de la vie quotidienne***, p.237-347.

(2) Ibid, p.337.

(3) Ibid, p.338.

ثم يلخِّص مفتاح النجاح في الحياة وفي إدارة الوقت بالذات في فقرة مركَّزة، جاء فيها: «إنَّ مفتاح الاشتعال الداخليِّ (السعادة) موجود في حاجاتنا الروحيَّة لأن نترك وراءنا الأثر والذكرى الطيبة، والنموذج الذي يحتذى؛ هذه الحاجة تحيل كلَّ الحاجات الأخرى إلى طاقات تضاف إلى حياتنا، فيصبح الطعام، والصحَّة، والمال، والتعليم، كلُّها طاقات تساعد على إشباع حاجات الآخرين»[1].

والحقُّ أنَّ «كوفي» كفانا مؤونة النقد الموجَّه إلى الأجيال الثلاثة في إدارة الوقت[2]، وبخاصَّة في اعتمادها الوسائل و**الأهداف**، وإغفالها للمبادئ و**الغايات**؛ غير أنَّه تبيَّن بعد تتبُّع مصطلحاته وتحليلها، أنَّه يدور في مكانه، فهو لم يبرح المنطلق الذي بدأ منه، ولم يتجاوز البعد الإنسانيَّ المحدود، فكانت نهايته هي «الأثر الطيب»، و«إشباع حاجات الآخرين»، و«تحقيق السلام»... وكلُّها لا ترقى إلى الغاية الأسمى، ولا تفسِّر **وجهة الحياة**؛ فلم يهتد بالتالي إلى عين الحلِّ، وإن توصَّل إلى تشخيص الداء وضبط المشكلة.

والقارئ لمراجع الفكر الغربيِّ في تعاملها مع الوقت، يصل إلى نتيجة مفادها أنَّ **الغايات** ضعيفة كلَّ الضعف، لا تستجيب لمتطلَّبات حياة الإنسان السويِّ، وضعفها هو مقدِّمة الاضطراب والقلق اللذين يعيشهما الإنسان الغربي، ويعبِّر عنهما بالانتحارات، والأمراض الاكتئابية، ومردُّ هذا الضعف إلى سببين هما:

- إبعاد «الإله» و«الموت» و«عالَم الغيب» من **الحياة اليومية** للإنسان الغربي.
- التنكُّر «للإله» و«للموت» و«لعالَم الغيب» في **الفكر الغربي**.

وسنحاول إلقاء نظرة ولو موجزة على هذين السببين:

(أ) • إبعاد «الإله» و«الموت» و«عالَم الغيب» من الحياة اليومية للإنسان الغربي:

رغم أنَّ بعض المراجع تنبِّه إلى أهمية القيم و**الغايات** في البرمجة الزمنية، إلَّا

(1) **نفس المرجع**؛ ص63.

(2) انظر عنوان «جوانب القوَّة والضعف في كل جيل» **نفس المرجع**؛ ص24-36.

أنَّ الإحصائيات والبحوث الميدانية تدلُّ بوضوح على غيابها التامِّ كممارسة في الحياة اليومية للإنسان الغربيِّ.

فمن جهة يقول «صمويل جونستون»: «حين يعلم رجلٌ ما أنَّه سيُشنق خلال أسبوعين، فإنَّ ذلك يركِّز عقله بطريقة رائعة»[1]، ويقول «قريمالدي» في كتابه «المتعة والحياة»: «إنَّنا نتحرَّر من الخوف من الموت، وكلُّ المغامرات ممكنة للذين لا يخافون ملاقاة الموت أثناء مغامرتهم (...) فالموت هو عمل الطبيعة، والطبيعة هي عمل الزمن»[2].

أمَّا «برنارد شو» فيقول: «هذه هي السعادة في الحياة... أن تقضي حياتك من أجل هدف تعتقد أنَّه مقدَّس (...) أنا شخصيا أرى أنَّ حياتي ملكا لكلِّ المجتمع، ولذلك عليَّ أن أقدِّم لهذا المجتمع كلَّ ما أستطيعه ما حييتُ، إنَّني أريد أن أقدِّم ما يمكنني حتى آخر نفس عندما يحين وقت **وفاتي**، فكلَّما شقيتُ في العمل كلَّما عشتُ أكثر»[3].

ومن جهة أخرى تبيِّن الدراسات أنَّ المعتقدات التي تعطي للحياة معنى ووجهة غائبةٌ ـ أو مغيَّبة ـ في الواقع الغربيِّ، ولعلَّ من المفيد أن أعرض إحصائيتين أجراهما «قروسان» حول الإيمان «بالموت»، و«بالله»، و«باليوم الآخر»، كدليل على هذا الحكم:

إجابة على سؤال: هل تفكِّر في الموت؟ كانت النتائج كالآتي:

(1) جريسمان: **فن إدارة الوقت**؛ ص163.

(2) N. Grimaldi, ***Le désir et le temps***. PUF, 1971.

(3) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص64-65.

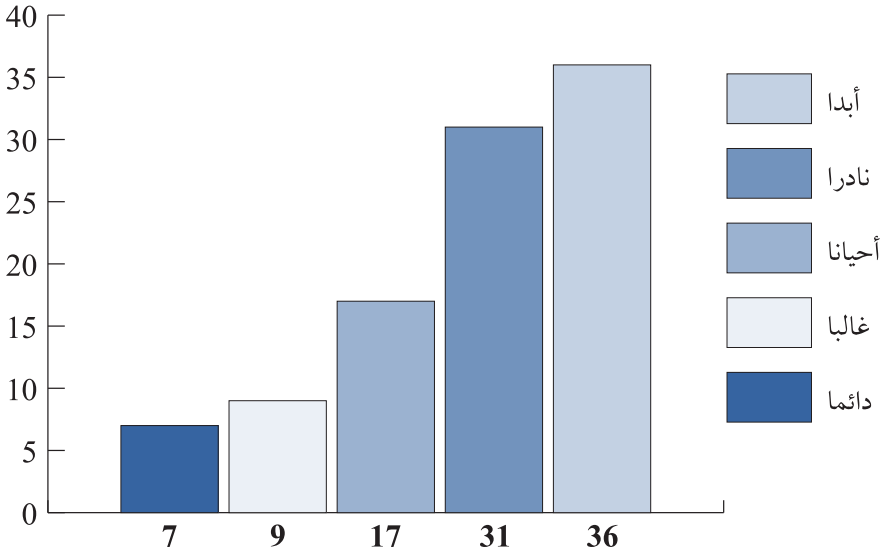

نسب التفكير في الموت لدى المجتمع الغربي[1]

فيلاحظ أنَّ النسبة المئوية للذين لا يفكِّرون في الموت أبدا عالية جدًّا (36)%، ونادرا (31)%، وفي بعض الأحيان (17)%، وغالبا (9)%، ودائما (7)%...

هذا عن الموت، أمَّا عن الإيمان بالله، وبالحياة بعد الموت، فقد عرض «قروسان» النسب المئوية في عدَّة دول أوروبية، مقارنة بين مدَّتين بينهما عشرون سنة 1947-1968، فكانت الأرقام بالنسب المئوية كالآتي:

(1) Grossin, p.343.

	سنة 1947		سنة 1968	
	يؤمنون بحياة بعد الموت	يؤمنون بالله	يؤمنون بحياة بعد الموت	يؤمنون بالله
بريطانيا	49	84	38	77
السويد	49	80	38	60
فرنسا	58	66	35	73
هولندا	68	80	50	79
فنلندا	69	83	55	83
النرويج	71	84	54	83

نسب الإيمان بالله وباليوم الآخر في بعض بلدان أوروبا مقارنة بين سنتي 1947 و 1968[1]

وممَّا يؤكِّد التقهقر المتواصل لمعدَّل الإيمان في الغرب، أنَّ الإحصائيات المسجَّلة عن الرأي العامِّ في فرنسا والبلاد المجاورة لها، تدلُّ أنَّ «أقلَّ من نصف الشباب 18-24 سنة أعلنوا أنَّهم يؤمنون بالله، مقابل (80)% في إحصائيات أجريت قبل ثلاثين سنة (أي حوالي 1967)»[2].

مثل هذه الإحصائيات تفيد أنَّ الإنسان الغربيَّ حينما يجلس لكتابة برنامجه الزمنيِّ، لا يفكِّر كثيرًا في الغيب، وإن فكَّر فبشكل قاصر ونفعيٍّ وآنيٍّ، ولهذا فإنَّ معظم الناس في الغرب «لا يعرفون بوضوح الفرق بين قيم الوسيلة وقيم **الغاية**، ولذا فإنَّهم يخضعون للكثير من مشاعر الألم. فالناس في كثير من الأحيان مشغولون بملاحقة قيم الوسيلة (أي **الأهداف**) بحيث لا يحقِّقون رغباتهم الحقيقية، أي قيم **الغاية** (**الغايات**) التي يتوخَّونها، فقيم **الغاية** هي التي تحقِّق لك

(1) Ibid, p.343.

(2) F. Baugé, ***Vers une religiosité sans dieu***, Le Monde diplo., sep. 1997, p.26.

ما تصبو إليه، وتجعل حياتك غنية، وتحقِّق لك المكافأة التي تتوخَّاها»[1].

وكنتيجة لضعف **الغايات**، فإنَّ الذي يصوغ **أهدافا** لحياته، ثم يعمل جاهدًا لتحقيقها، دائما ينتهي بقوله: «هل هذا كلُّ ما هنالك». وفي هذا السياق أورد «روجر ميريل» قصَّة تعبِّر عن هذا الأمر، قال:

> في واحد من برامج التدريب الخاصَّة بالقيادة، جاءني أحد الأشخاص سائلًا إن كان يمكن أن يفضي إليَّ بأمر ما. ذهبنا إلى مكان جميل، وبدأنا الحديث، وعندما نظرتُ إلى هذا الشخص كان من الصعب تصوُّر نوع المشكلة التي يودُّ طرحها. لقد كان حسن المظهر، في الخمسين من عمره، ويعمل نائبا لرئيس إحدى الشركات العالَمية، وله أسرة سعيدة. لقد كان من الذين ساهموا في ذلك البرنامج التدريبيِّ بفاعليَّة.
>
> بدأ بالقول: «لقد شعرتُ بعدم الرضا مع كلِّ يوم نتقدَّم فيه في البرنامج، لقد بدأت مشكلتي مع إحدى التطبيقات في اليوم الأوَّل». ثم بدأ يحكي جزءا من حياته الشخصية الماضية. لقد نشأ في مدينة صغيرة في الوسط الغربيِّ، وكان رياضيا وطالبا ناجحا، وبعدها ذهب إلى الجامعة، حيث كان نشيطا، وانضمَّ إلى العديد من النوادي والجمعيات، بعدها جاءته الوظيفة الكبيرة، والزوجة، والولد، والسفر إلى الخارج، والترقيات، والمنزل الجديد، وطفل آخر، ثم ترقية إلى نائب الرئيس. كلُّ هذا وأنا أصغي حتى أعرف ما هي المشكلة؟ أو بمعنى آخر الكارثة التي حطَّمته، وقلبت العالَم من حوله.
>
> أخيرا، قال: «المشكلة هي أنَّ حياتي مليئة بالأشياء الجميلة (...) ولكن عندما طلبتَ إلينا أن نفكِّر بعمق لكي نحدِّد ما هي الأشياء

(1) روبنز: **أيقظ قواك الخفية**؛ ص375.

الهامَّة في الحياة أخذتني الدهشة، فعندما كنت في مقتبل الحياة كانت هناك قضية، وهدف (أي **غاية**)، **ومعنى لهذا العالَم** (...) خلال السنوات الأخيرة اختفى من حياتي ذلك **المعنى**، أو **الهدف**، أو **القضية**، لقد خدَّرني الشعور بالأمن (...)»[1]. "

فهذه الواقعة نموذج حيٌّ لعلاقة الإنسان الغربيِّ بالحياة وبما وراء الحياة من معانٍ، فمراجِع إدارة الوقت مليئة بأمثالها، وإنَّما قصَدْنا التمثيل لا الحصر.

(ب) • التنكُّر «للإله» و«للموت» و«لعالَم الغيب» في الفكر الغربي:

إذا كانت **الغايات** هي وجهة الحياة، فما هو القطب الذي يحدِّد هذه الوجهة؟

وبعبارة أخرى: من يقرِّر **الغايات** للإنسان؟

أهو الإنسان نفسه؟ أم هو شيء آخر أقوى وأكثر قدرة منه؟

إنَّ المتمرِّس في الإيمان، والمداوم على القرآن، سيجيب بداهة بأنَّ الله تعالى هو الذي يحدِّد الوجهة لمخلوقِه: الإنسان؛ وبالتالي فهو الذي يضبط **الغاية** له؛ لكنَّ الفكر الغربيَّ ـ عبر مراحل تطوُّره ـ تعامل مع «الله» بجفاء، وبصورة باردة، ومضطربة، ومشكِّكة، ومتنكِّرة.. إلَّا في النادر من حالاته، التي لا تعبِّر عن المنحى العامِّ، ولا عن الوضع الغالب على الفكر.

فلقد علَّق «بيليت» على هذا الوضع، بعبارة استعارها من «الاتجاه البيئي (الإكولوجي)» المتشائم، معلنا أنَّه: «إذا كان القرن التاسع عشر قد قتل الإله، وقتل القرن العشرون الإنسان، فقد بقي على القرن الحادي والعشرين أن يقتل الطبيعة»[2].

فليس من الغريب إذن أن يوضع الإله في مواجهة العلم، في علاقة لم تكن «حميمية البتَّة»، وذلك أنَّه «بقطع رأس الملك سنة 1793، قطعت الجمهوريةُ

(1) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص65-66.

(2) بيليت: **عودة الوفاق**؛ ص32-33.

الفرنسية صلتها بالله، لتسكِنه في معتقدات محلِّية، بعيدة عن السلطة والحكم»، وهذه الموجة الإلحادية انتشرت في جميع مناحي الفكر الغربي بعد ذلك، ولا تزال.

ولقد وُضعت «الديمقراطية» و«الحداثة» بالتبع في صراع حادٍّ مع الدين، حتى تكرَّر الحديث عن «انتقام الإله» أو «ثأر الإله» في السنوات الأخيرة، للتعبير عن الموجة الروحية التي بدأت تهدِّد المادية الغربية، وللتعبير كذلك عمَّا يسمُّونه «بالإرهاب الدينيِّ».

وبطريقة تهكُّمية تشكيكية كتب صاحب كتاب «رجال العلم في البحث عن الإله» عن محاولة مخبرية للعثور على الإله في طرف المنظار «التلسكوب» أو المُجهِر «المكروسكوب»، ثم يقول: «إذا كان العلم هو الطريق الملَكي الذي يقود إلى الإله، فإنَّ الإله في هذه الحال هو العلم».

وأقلُّ تشكيكا من هذا، موقف الفزيائيين الذين يسعون إلى إنشاء نظرية شمولية، تفسِّر كلَّ الظواهر الفزيائية والكوسمولوجية، وإذ لم يهتدوا بعد، فإنَّ «ستيفن هوكينغ» يستفسر قائلا: «ألا يكون الإله هو المعادلة الوحيدة التي تسمح بفهم الكون؟».

و«هوكينغ» نفسه في حوار له في إذاعة BBC، أجرته «لي لي سو»، سألته:

«أنت تعتقد الآن أنَّه لم تكن هناك بداية (للكون)، ولن تكون هناك نهاية، وأنَّ الكون مكتمل بذاته. **هل يعني هذا عدم وجود حدث اسمه الخلق، وبالتالي ليس هناك مكان للإله؟**».

فأجابها: «... ليس علينا أن نقول إنَّ الله اختار ابتداء الكون على نحو اعتباطي لا نستطيع فهمه. **إنَّ القوانين لا تقول شيئا عن وجود الله**»[1].

(1) هوكينغ، ستيفن: **الثقوب السوداء، والأكوان الطفلة، ومواضيع أخرى**؛ تر. د حاتم النجدي، مر. د. عبد الحليم منصور؛ دار طلاس، سورية؛ ط. العربية الأولى: 1998؛ ص142-143.

أمام هذا العداء المحتدم بين الفكر الغربي والإله، لا يمكننا أن ننتظر من المفكِّر الغربيِّ أن يعطي مكانة لائقة للعبادة ولا «للتفكُّر» في إدارته لوقته، ولا أن يعتبر الغيب في وضعه **لغاياته**، فحين مطالعتنا للكتب الكثيرة التي تعنى بالوقت من مختلف جوانبه، نبحث عن «الإله» بشقِّ النفس، فنرجع بخفَّي حنين، وإن صادف أن اهتدينا إليه مذكورا في إحدى المراجع، فإنَّه لا يكون في مستوى الإله الذي نعتقده نحن المسلمين قوَّة ولا كمالا.. بل إنَّها غالبا «صورة إنسانية للإله»، أو «صورة إلهية للإنسان».

ولقد تفطَّن المفكِّر «روجي قارودي» إلى العلاقة المتينة بين الاعتقاد الصحيح في الإله، وبين «وجهة الحياة» فألَّف كتابا في هذا، اختار له عنوانا مثيرا: «هل نحن في حاجة إلى إله؟»، ليقرِّر أخيرا أنَّ «القول بوجود إله، يعني القول بأنَّ الحياة لها **وجهة ومعنى**»، وترجمتها بلغة هذا الفصل هي: القول بوجود إله، يعني القول بوجود **غاية للحياة**.. والإيمان بهذه **الغاية** يعني اعتبارها في بناء أيِّ برنامج أو مخطَّط زمنيٍّ للمستقبل القريب أو البعيد.

فأمام غياب دور «الإله» في تحديد **الغاية** تنامى القلق لدى الإنسان الغربيِّ، كنتيجة وكسبب، فنمت شبيبة بلا «ثوابت»، ليؤسِّسوا حياتهم وينظِّموها على محور «الجنس»؛ أو «الرياضة» التي تحوَّلت إلى «أفيون مخدِّر للشعوب» وإلى «ديانة جديدة»، آلهتها أبرز لاعبي كرة القدم في العالَم.

أمَّا عن التوجُّهات الكبرى في عالَم السياسة والإيديولوجية، التي يفترض فيها أن تغطِّي جانبًا من هذا الضعف في **الغايات**، فلم يعد لها نفس الدور الفكريِّ في الغرب، فيقرِّر «بوجيه فلورونس» أنَّ كلَّ الكلمات التي تنتهي بـ«isme» في الفرنسية، أصبحت منبوذة:

وهكذا دخل الإنسان الغربيُّ عتبة الألفية الثالثة، وكلُّ القضايا الغيبية لم تجد حلاًّ عنده، فمُني بخيبة أمل كبيرة، وهو يعيش مُكرَهًا «الألمَ، والمعاناة، والموت، وبخاصَّة ضياع **وجهة الحياة** (...) وعليه أن يعمل في القرن المقبل على تأسيس

قيم جديدة، فما عليه إلَّا أن يختار وجهته بنفسه».

يعبِّر صاحب كتاب «عصرنا والعيش في زمانه الصعب» عن هذا المعنى بقوله: «إنَّ في الغرب اليوم تساؤلات كثيرة حول **الهدف الأخير** (أي **الغاية**) لكلِّ هذه الجهود الضخمة، ولكلِّ هذا العناء الإنسانيِّ الهائل. ونظرا لإلغاء الدين ـ عملي ـ وإبعاده عن المساهمة في صياغة فلسفة الوجود، فإنَّ كلَّ الأسئلة تظلُّ حائرة، دون أن تجد أيَّة إجابة شافية»[1].

ويمكننا بمداخل زمنية عديدة أن نبيِّن هذا الغياب المفضوح **للغاية**، فالمطالعة للجداول، والتقارير، وقوائم **الأهداف**.. الخ، تظهر لنا أنَّ **الغايات** تُتفادى بقصد، وإن سُمح بحضورها أحيانا، فبطريقة محتشمة، أو بمعانٍ محرَّفة.

وإننا نقرأ ـ مثلا ـ عند «ستيفن كوفي» عن ضرورة اعتبار المبادئ لبرمجة زمنية جديدة متَّزنة، فيتملَّكنا الإعجاب عندما نصل إلى قوله: «إنَّ هذه المبادئ تنبع من الدين»[2]، أو قوله: «إنَّ قوَّة المبادئ تنبع من أنَّها عالمية، مطلقة في الزمان»[3]. ثم لا نلبث أن نكتشف أنَّ المفاهيم متباينة، وأنَّ المؤلِّف حريص على التنبيه لهذا التباين، مخافة أن يُتَّهم بتهمة «الإيمان»، فيقول: «إذًا، فنحن لا نتحدَّث عن القيم، أو الممارسات، أو الدين» بل نقصد بها مبادئ مثل: «التفاني في الخدمة، والتعايش المتبادل مع الغير»[4]، إنَّه يقصد بالقيم الأخلاقَ الجماعية، التي يغرسها

(1) بكار، عبد الكريم: **عصرنا والعيش في زمانه الصعب**؛ دار القلم، دمشق، سورية؛ 1424هـ/2000م؛ ص90.

(2) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص71.

(3) **نفس المرجع**؛ ص70.

(4) **نفس المرجع**؛ ص71.

الإعلام بكلِّ وسائله المتاحة[1].

ثم يحلِّل هذا المؤلِّف مصطلحا آخر يعدُّه روح «إدارة الوقت»، وهو عنده مطلب كلِّ إنسان في برمجته لوقته، إنَّه مصطلح «**السلام**»، ويعني به: «السلام في القدرة على العيش، والحبِّ، والتعلُّم، وترك الذكرى الحسنة بشكل متوازن وممتع.. السلامُ في تطوير ملكاتنا لتقوية الشخصية والكفاءة، في لحظة الاختيار والقرار.. السلام من تكامل أدوارنا وليس تصارعها، حيث تصبح هذه الأدوار أجزاء متفاعلة متكاملة في الحياة ككلٍّ.. السلام من التعلُّم والإنصات للضمير، والعيش وفق ما يمليه الضمير»[2].

وهنا يذكِّرنا بقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[الأنعام: 175-176]. فهذا المؤلِّف رغم اهتدائه إلى مصطلح «السلام» الذي هو في مادَّته روح الإسلام، إذ منه سمِّي الإسلام إسلاما، ومن أسماء الله تعالى: «السلام»، وتحية الإسلام السلام... غير أنَّه عاد ونزل بالمصطلح إلى أدنى مسوياته.

وهكذا تبقى البرمجة الزمنية في الفكر الغربي خالية من كلِّ روح، بلا **غاية** ـ أو **غايات** ـ حقيقية، ومن خلالها ينهار الإنسان الغربيُّ، ويفتقد إلى «وجهة ومعنى لحياته»، ويعدم طريق الهداية وأسبابها.. وإلَّا فما الزمن إلَّا وعاء للحياة، وما الحياة إلَّا تعبير عن الفكر، وما الفكر إلَّا ملكة منغمس فتيلُها في بحر اللامتناهي..

(1) يتسائل «جون كوندري» بصراحة: «من يعلِّم القيم اليوم؟ المدارس؟ الكنائس؟ الأسرة؟» ثم يجيب بوضوح: «إنَّ التلفزيون يفعل ذلك على وجه التأكيد، لكن هل قيم التلفزيون هي القيم الوحيدة التي نريد أن يتبنوَّها». كوندري، جون: **سارق الوقت، التلفزيون والطفل الأمريكي**؛ مجلَّة **الثقافة العالمية**؛ تر. رضا أحمد؛ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت (عدد 66: سبتمبر 1994م) ص131.

(2) كوندري: **سارق الوقت**؛ ص414.

ويمكن ببساطة أن نرسم البرمجة الزمنية للإنسان الغربي على شكل «قطعة مستقيمة» في الرياضيات، تبدأ من نقطة (أ) لتنتهي في نقطة (ب)، ومهما كانت الدقة بين النقطتين، فإنَّ إشكالية كون حقيقة الحياة لامتناهية تفسد هذه الدقَّة، وأنَّى للمتناهي أن يستوعب اللامتناهي:

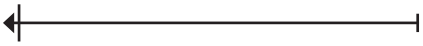

البرمجة الزمنية في الفكر الغربي (دقيقة في **الأهداف**، ولكنها قاصرة في **الغايات**)

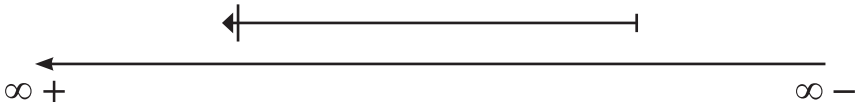

واقع الحياة خط لامتناهي يمتد من الأزل إلى الأبد

قصور الفكر الغربي عن استيعاب واقع الحياة اللَّا متناهي

هذا عن الأهداف والغايات في الفكر الغربي، بما فيها من إيجابيات وسلبيات، فماذا عن الفكر الإسلاميِّ؟

المبحث الثالث

الأهداف والغايات في البرمجة الزمنية، من خلال الفكر الإسلامي

إنَّ عدم تبلور علوم زمنيَّة مستقلَّة موضوعا ومنهجا في الفكر الإسلامي المعاصر، لم يسمح بترسيخ المصطلحات والمفاهيم، ولا بتعميق النظريات وتطويرها.

فمصطلحا «**الهدف**» و«**الغاية**» كثيرا ما جاءا مترادفين في المراجع التي اعتنت بقيمة الوقت واستثماره[1]، ورغم العلاقة العضوية بين هذين المفهومين والبرمجة الزمنية، إلَّا أنَّه لم تُنجز أيُّ دراسة معمَّقة تحدِّد أسس وضوابط هذه العلاقة.

وسنحاول في هذا المبحث أن نتعرَّض للمصطلحين من نوافذ عدَّة، منها: ورودهما في المراجع، أهمِّيتهما، محاولة تأصيلية في ضبط **الأهداف والغايات**...

أولا الأهداف في البرمجة الزمنية من خلال الفكر الإسلامي:

إنَّ **الأهداف** باعتبارها «**محطَّات زمنيَّة مستقبلية، يسطِّرها الإنسان لمختلف جوانب حياته، ولمدد معيَّنة**»[2] لم يتمَّ العناية بها في الدراسات الإسلامية المعاصرة، بل الملاحظ في الغالب أنَّه كلَّما ذُكر مصطلح «**الهدف**» إلَّا وانصرف إلى معنى «**الغاية**»، فالخالديُّ ـ مثلا ـ يقول: «**هدف** المسلم الصالح، وصاحب

(1) انظر مثلا ـ الخالدي: **الخطَّة البرَّاقة**؛ ص86. والعلواني: **الأزمة الفكرية**؛ ص8. واليبرودي: **قيمة الوقت**؛ ص73.

(2) انظر التعريف أعلاه ـ ص62.

العلم الموفَّق الناجح، يأخذه من هذه الآية الكريمة: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة: 72][1].

ويقول العامليُّ: «إنَّ الأساس في فهم الزمن هو بلحاظ **الهدف** من هذا الوجود، وإذا كان **الهدف** من خلقنا هو الكدح إلى الله، والسعي إليه سبحانه (...) فطبيعيٌّ سوف تكون كلُّ لحظة، وكلُّ فرصة زمنية ذات قيمة»[2].

ولا يخفى أنَّ خصائص **الأهداف** في البرمجة الزمنية، لا ينبغي خلطها بخصائص **الغايات**، وهي:

- أن تتَّسم بالتطوُّر والزيادة.
- أن تكون محدَّدة وقابلة للقياس.
- أن تتضمَّن جداول زمنية.
- أن تكون شخصية[3].

و**الغايات** بخلاف ذلك، لا تحدُّها أزمنة ولا أمكنة ولا حالات طارئة؛ لأنَّها أقرب ما تكون إلى المبادئ، بل هي المبادئ بعينها؛ ولذا فرَّقنا بوضوح بين مصطلحي: **الأهداف**، **والغايات**، رفعا للّبس.

ويمكننا أن نستثني من هذا الحكم، أي إنزال **الأهداف** منزلة **الغايات**، الدكتور عبد الستار نوير، الذي عرَّف **الغاية** بدقَّة، ثم أوضح أنَّ على واضع البرنامج الزمنيِّ أن «يرسم لنفسه المنهج العامَّ الذي يبلِّغه تحقيق هذه **الغاية** العليا، بأن يضع لحياته تخطيطا شاملا، إمَّا بنفسه أو بواسطة أهل الخبرة، يحدِّد فيه:

أولا • الأهداف الرئيسة المتفرِّعة عن **الغاية العليا**، كتحصيل العلم والمعرفة

(1) الخالدي: **نفس المرجع**؛ ص86-87.

(2) **الوقت هو الحياة؛ ص66**. وانظر ـ رضا علوي: **كيف تستثمر أوقاتك**؛ ص34.

(3) انظر ـ أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص98-99.

اللَّازمة، واكتساب المال والثروة، وتزكية النفس، وتنمية قواها.

ثانيا • يحدِّد الوسائل الرئيسة المؤدِّية إليها، كالالتحاق بدُور العلم، والجلوس إلى نوابغ المعلِّمين، وتعلُّم مهنة أو حرفة ملائمة، ومجاهَدة النفس، مع ملاحظة أنَّه ينبغي له أن يتَّخذ الأفضل من **الأهداف**، والأفضل من الوسائل»[1].

ولقد ساهم بإضافة قيِّمة في مجال التنظير للبرمجة الزمنية في الفكر الإسلامي، حين عرض الخصائص التي يجب أن تتَّصف بها هذه **الأهداف**، وهي:

- أن تكون مشروعة «فلا يمكن لإنسان أن يتمتَّع بالحياة الطيِّبة، ولا أن يستقيم له تخطيط ولا تدبير ولا عمل إذا انفصل عن دين الله ووحيه، كما لا يضيء المصباح إذا انفصل عن مصدره الكهربائي، ولذا قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾[الأنفال: 24].
- أن تكون هذه **الأهداف** ملائمة لمواهبه، وقدراته، وظروفه.
- أن يراعي فيها المتغيِّرات، بمعنى أن يجعلها مرنة، وألَّا يعتبرها نهائية لا تقبل التغيير ولا التعديل»[2].

أمَّا رضا علوي، فقد عرض جملة من **الأهداف**، لكنَّه أدرجها ضمن **الغايات** في مصطلح واحد هو **الهدفية**، فقال: «أمَّا فيمَ يجب أن تستثمر الحياةُ لكي تكون هادفة؟ فالإطار العامُّ لذلك هو العمل الصالح، المرضيُّ لله تعالى، بفرعيه: الدنيويِّ، والأخرويِّ، ومن أوجهه:

- عبادة الله وحده، بما للعبادة من معنى.
- النفع لعباده.
- هداية البشر إليه.
- عمارة الأرض فيما يرضيه.

(1) نوير: **الوقت هو الحياة**؛ ص104.

(2) نوير: **الوقت هو الحياة**؛ ص105-106 (بتصرف).

- التنافس في إطار الحقِّ والخير»[1].

ومن المؤسف أنَّ الدكتور أبو شيخة قد اهتمَّ **بالأهداف** في «إدارة الوقت»[2]، ولكنَّه لم يتحرَّر من المفاهيم والمصطلحات الغربية، ذلك أنَّه استقى معلوماته في هذا المجال من مراجع غربية متخصِّصة، فألقت عليه ثقلَها، ولم يبذل جهدا في التوفيق بين الدقَّة التي تتَّسم بها، والمرجعية الفكرية الإسلامية التي ينتمي إليها؛ الأمر الذي قلَّل من الفائدة المرجوَّة والمنتظرة، من باحث متخصِّص في الإدارة، صاحبِ مواصفات علمية معتبرة.

ولم يسلم سهيل فهد سلامة من هذا التأثير في عرضه لهرم **الأهداف**، الذي عنونه بـ: «ترتيب الحاجات الإنسانية/ الهرمية للحياة»[3]، ووضعه على شكل مثلَّث، مع الإحالة إلى مرجعه الذي نقل منه، دون أدنى إضافة أو نقد، وهو كالآتي:

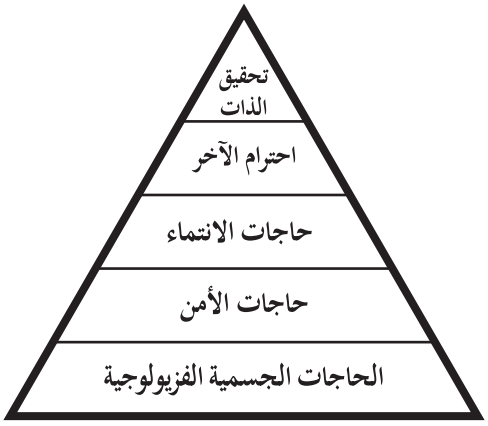

هرمية الحاجات الإنسانية

ولقد عرض أحمد سيباني الطريقة العملية التي تسجَّل بها **الأهداف** القصيرة

(1) رضا علوي: **كيف تستثمر أوقاتك**؛ ص34-35.

(2) **إدارة الوقت**؛ ص93-107.

(3) **إدارة الوقت، منهج متطور للنجاح**؛ ص18.

والمتوسِّطة والنهائية، على شكل «هرم **للأهداف**»[1]، يمكن رسمه على الشكل الآتي:

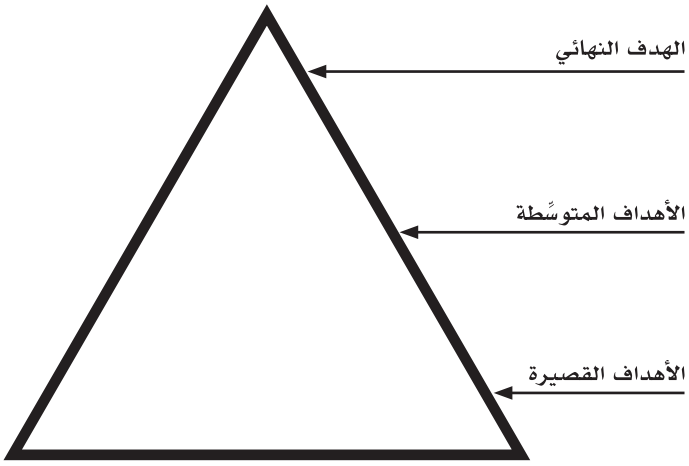

الأهداف القصيرة، والمتوسطة، والهدف النهائي

وبعد هذا الهرم، قدَّم المؤلِّف تلميحات على شكل نصائح من شأنها أن تحوِّل **الأهداف** إلى جزء من حياة الذي يضعها، وهي كالآتي:

- كن عمليا في **الأهداف**.
- كن موضوعيا في توقُّعاتك.
- احذر الإحباط.
- ركِّز على مجالات تعطيك أفضل الفرص للتحسُّن.
- راقب إنجازاتك، وتابع إعادة ترتيب **أهدافك**: يوميا، أسبوعيا، شهريا، سنويا»[2].

(1) سيباني، خليل فهد: **إدارة الوقت**؛ سلاسل سوفنير، موسوعة رجل الأعمال الناجح؛ دار الراتب الجامعية، بيروت، د.ت.ن.؛ ص38-39.

(2) **نفس المرجع**؛ ص40-41.

إلَّا أنَّه كما يلاحظ لم يأت بجديد، ولم يتمكَّن من إبراز العمق الفكريِّ الإسلاميِّ، بل إنَّ القارئ لهذا الكتاب ـ وللكثير من غيره في مجال الزمن ـ يجده نسخة محرَّفة ممَّا أُلِّف في الفكر الغربيِّ، فلا هي في مستوى الدقَّة والتنظير والمنهج الغربيِّ، ولا هي مبتكَرة في البعد الإسلاميِّ الأصيل.. وهذا ما يُلزم الباحثين ببذل جهود جديدة لتصحيح هذا الوضع الفكريِّ غير الطبيعيِّ، سواء في البرمجة الزمنية، أو في معارف إنسانية أخرى، تعاني من نفس المشكل.

• الإيجابيات:

لعلَّ إحصاء الإيجابيات في هذا المجال ضرب من استعجال النتائج، أو التفاؤل المفرط، ولكن ننبِّه إلى أنَّ هذه الإيجابيات هي إيجابيات «بالقوَّة» لا «بالفعل»[1]، وهي بخاصَّةٍ تبرز في توفُّر مرجع خالد مهيمِن هادٍ، لو عاد إليه المفكِّر المسلم اليوم وتدبَّره، لصاغ منه منطلقات **لأهداف** واضحة وواعية، بناء على **غايات** لامتناهية خالدة.. ولا شكَّ أنَّه لو فعل إذن لأسهم في استدراك الضعف الذي يميِّز الفكر والواقع الغربيَّ، وقبله واقع المسلمين، في تعاملهم الفكريِّ والعمليِّ مع الزمن كوعاء لأعمالهم وآمالهم وآلامهم...

واقتراح البديل لا يكون في بحث واحد، ولا طفرةً أو بطريقة سحرية، بل ينبغي أن يُبدأ فيه، ثم يأخذ في التحسُّن والتطوُّر، حتى يكتمل.

ومن مواصفات هذا المقترح البديل:

- أن يكون مؤصَّلا، يعتمد القرآن الكريم، والسنَّة النبوية الطاهرة، والتراث الإسلامي عبر مراحله.
- أن يستفيد من الدقَّة والفعالية التي تميِّز الفكر الغربيَّ في إدارة الوقت، لِما له من سبق علميٍّ وعمليٍّ معتبر.
- أن يكون عمليًّا، لا مجرَّد تنظير، أو سباحة في الخيال.

(1) أي أنَّها غير محقَّقة اليوم على أرض الواقع، لضعف المسلمين وابتعادهم عن دينهم، ولا يعني أنَّها مستحيلة الوقوع، كما دأب البعض على وسم الإسلام بأنَّه دين مثاليٌّ غير واقعيٍّ.

- أن يستجيب لخصائص **الأهداف**، ولا يخلط بينها وبين **الغايات**...

• **السلبيات:**

لِما تقدَّم من ملاحظات سجِّلت سلبيات في المراجع العربية عن البرمجة الزمنية حول **الأهداف**، وإن لم يكن واقعُ المسلم المعاصر اليوم أحسنَ حالًا في هذا المجال، ولعلَّ من المستحيل أن نفصل بين الواقع والفكر، **إذ كلاهما مقدِّمة وكلاهما نتيجة**؛ فكان من المناسب إذن أن نورد بعض هذه السلبيات في **الفكر** و**الواقع**، بحثا عن التصحيح والتوجيه للثاني، وعن التحليل والتأصيل للأوَّل، فمنها:

- نُدرة التآليف المتخصِّصة في هذا الموضوع.
- لم **تتعمَّق** علمية التفكير والتحليل والتأصيل في هذا الموضوع الهامِّ.
- عدم ضبط جزئيات ودقائق **الأهداف** في البرمجة الزمنية، وفق منهج واضح المعالم والخطوات.
- لم توضع خطوات عملية واضحة لمن أراد أن ينجز **أهدافه**، بل هي نُقول أو تخمينات.
- لا نكاد نلمس تقسيمات بيِّنة لأنواع **الأهداف**، ومجالاتها، وخصائصها...
- ينعدم **التمثيل** في هذه المراجع بحياة الناجحين، من قصص واقعية ـ بخلاف المراجع الغربية، والأمريكية منها بخاصَّة ـ مما صبغ الموضوع بجفاف، وسلبه الإثارة المطلوبة.
- لا يزال موضوع **الأهداف** ـ من خلال البرمجة الزمنية ـ في مستوى المعارف العامَّة، ولـمَّا يتحوَّل إلى **غرض تربويٍّ**، ولا إلى اهتمام من اهتمامات الإعلام في العالم الإسلاميِّ[1].
- لم يتمَّ التركيز على تقوية **الكفاءة**، وإنشاء مؤسَّسات للتدرب على التعامل

(1) الحمود: **الوقت والعمل؛ راية مؤتة**؛ ص187.

مع **الأهداف**، كعملية ممكنة التطبيق.

- العجز عن التفكير، مجرَّد التفكير، في ضرورة وضع **الأهداف** للحياة، لدى أكثر المجتمعات الإسلامية، باختلاف مستوياتها ومشاربها. ونمثل لذلك بنموذجين:

أ. قام «بيار بورديو» بدراسة عن الزمن عند «القبائل» في الجزائر في الستينيات، ولاحظ **اللاهدف** الذي يميز مسار الحياة، حتى «إنَّ مفهوم المستقبل ينعدم لديهم، ومن مقولاتهم في هذا: Azka d azga، أي أنَّ الغد قبر»[1].

ب. تعرض «سورنيا كريستين» في كتابها عن نساء الإمارات، حياة «عائشة» التي عايشت البداوة، ثم دخلت في عصر «تكديس أشياء الحضارة» مع اكتشاف البترول، حتى أصبحت اليوم «لا تستطيع أن تنظر إلى المستقبل (...) بل إنَّها تعيش مثل غيرها من النساء في سنِّها على حُرقة الماضي الذي في داخلها» بدون أيِّ **هدف**، فهنَّ يعشن يوما بيوم[2].

- عدم القدرة على الربط بين واقع المسلم المعاصر، و**الأهداف** التي يطالب بالسعي نحوها وتحقيقها، فعانى الفكر الإسلامي ممَّا يمكن أن يسمَّى بـ«ضغط الواقع». ذلك أنَّ المسلم في الأصل لا يعاني من مشكلة تحديد الغاية الكبرى من وجوده، و«لكن من الواضح أنَّ زحمة المشاغل اليومية، والانحراف الذي أصاب التثقيف العامَّ، قد تسبَّبا في إحداث غفلة كبيرة لدى كثير من الناس. إنَّ إدراك الهدف بطريقة سوقية أو مبتذلة، يجعل حضوره ضعيفا، كما يجعل قدرته على إثارة الحماسة للعمل من أجله

(1) P. Bourdieu, ***Algerie 60***, Ed. minuit, Paris, 1997, p.28.

(2) C. Sournia, ***Femme des Emirates***, Ed, Albin Michel, 1992, p.40.

محدودة»[1].

- حتى في حالات عرض **الأهداف** وضبطها، لا نحسُّ أثر ذلك في حياة المسلم، بله المجتمع المسلم «ولقد ظلَّ العالَم الإسلاميُّ خارج التاريخ طويلا، كأن لم يكن له **هدف**، استسلم المريض للمرض، وفقد شعوره بالألم، حتى كأن لم يكن جزءا من كيانه»[2].
- الانفصام والتعارض بين **أهداف** وُصفت بأنَّها «روحية»، و**أهداف** أخرى سميت بـ«المادية»، حتى اعتُقد تناقضها، وتحوَّل هذا التعارض ـ في أرض الواقع ـ إلى اتجاهات وحركات متباينة متنافرة، وفي أغلب الأحيان متناحرة[3].

• مداخل للتأصيل:

حين يجلس المسلم المعاصر لإعداد برنامجه الزمنيِّ، سواء اليوميِّ، أو الأسبوعيِّ، أو الشهريِّ، أو السنويِّ، أو لكامل العمر، أو لما بين ذلك.. فإنَّه لا يعدو حالة من هذه الحالات الأربع:

- إمَّا أن ينطلق من فراغ، فيسجِّل بالأسود على البياض **أهدافه**، دون سند ولا موجِّه، فيضع ـ بالتالي ـ السلَّم لحياته، ويصعد عليه، ولكن دون أن يفكِّر في الحائط الذي يسند سلَّمه إليه.
- أو ينسج على المنهج الغربيِّ، وليكن «الجيل الرابع»[4] الأكثر تطوُّرا، على

(1) بكار: **عصرنا والعيش في زمانه الصعب**؛ ص90.

(2) مالك بن نبي: **شروط النهضة**؛ سلسلة مشكلات الحضارة؛ ترجمة: عبد الصبور شاهين؛ دار الفكر، بيروت، لبنان؛ مصوَّر: 1406هـ/1986م عن طبعة 1404هـ/1984م؛ ص40.

(3) وانظر ـ باباعمي، محمد بن موسى: **صفين القرن العشرين، الصراع الجديد بين المسلمين في شبكة الأنترنات**؛ محاضرة ألقاها بمسجد الغفران، غرداية، الجزائر؛ رمضان 1418هـ/1998م؛ مصفَّفة، 15ص.

(4) انظر أعلاه ـ ص80.

أحسن تقدير؛ ثم يعيش دوما في صراع مع الذات، ولا يمكنه البتَّة أن يحقِّق ذاته، ومن باب أولى أن يتجاوزها.

- أو يبحث عن نماذج مؤصَّلة في الفكر الإسلاميِّ المعاصر، وبالطبع لا يجد ما يحقِّق مراده، لأنَّ الموضوع ـ بهذا الطرح ـ لا يزال بكرا، كما بيَّنَّا.
- وفي أحسن الأحوال يقوم بجهد إضافيٍّ، فيؤسِّس برنامجه الزمنيِّ على ما تأتَّى له من معارف ومدارك في العلوم الشرعية، بفروعها وأصولها ومناهجها.

من خلال هذه الخيارات ندرك ضرورة الشروع في اقتراح محاولات تأصيلية لصياغة **الأهداف**. وأوكد ما يجب التنبيه إليه أنَّ **المقترح يعمل على إيجاد «سند» يعتمده المبرمج**، حتى لا يحدث خللا في حياته، ويضمن بالتبع التوازن المرجوَّ من وراء البرمجة الزمنية، بين جميع جوانب حياة المسلم السويِّ.

مع التذكير أنَّ **الأهداف خاصَّةٌ بكلِّ إنسان، حسب قدراته، وميوله، وظروفه، وكلِّ المعطيات التي يقف عليها**، وإذن فإنَّ هذا «**السند**» ليس هو **الأهداف** بعينها، ولكنَّه بمثابة «**موجِّه**»، و«**مذكِّر**»، و«**ضابط**» بكلِّ معاني هذه الكلمات.

والمناسب أن أعرض عدَّة مداخل يمكنها أن تمنحنا «**السند**»، وهي:

1. المدخل القرآني:

إنَّ الله تعالى هو الذي خلق «**الليل**»، وخلق «**النهار**» ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾[الأنبياء: 33]. وهو الذي خلق «**الإنسان**» فسوَّاه، وآتاه العقل الذي به «**يخطِّط**» و«**يبرمج زمنه**»، وبه يؤسِّس «**مستقبله**» ـ مختارا لا مجبرا ـ بناء على «**ماضيه**» ومداركه، وهذا بعينه هو مناط التكليف:

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان: 1-3]، ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ﴾[الروم: 8].

ومن رحمته ـ وهو العليم الحكيم ـ أن جعل «**الليل**» لجملة من الأعمال، و«**النهار**» لجملة أخرى من الأعمال، ثم أمر الإنسان بالمسارعة في الخيرات، كلِّها، كلٌّ وفق ما آتاه الله، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[الطلاق: 7]. وأخبر الإنسان بهذه المعاني في محكم تنزيله، حتى يصوغ «**أهدافه**» وفقها، ويجتهد أن لا يحيد عنها، لأنَّ هذا المنهج القرآنيَّ هو نفسه نهج الفطرة، كلُّ السعادة في اتِّباعه، والشقاء جميعه في نبذه وإغفاله.

وبتتبُّعنا لعيِّنة من الآيات التي وردت في المعاني المذكورة، نستنبط المجالات الأساسية التي يجب على الإنسان المبرمِج أن يجعلها **عناوين يحقِّق أهدافه ضمنها**، فتكون له نعم «**السند**» ونعم «**الموجِّه**».

ومن جملة الآيات، قوله تعالى:

1. ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة: 274].
2. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الأنعام: 60].
3. ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[يونس: 67].
4. ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[هود: 114].
5. ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الرعد: 3].
6. ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[النحل: 12].
7. ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾[الإسراء: 12].

8. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا﴾[الفرقان: 47].

9. ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[القصص: 73].

10. ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[الزمر: 9].

11. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[المزمل: 20].

من خلال هذه الآيات كنماذج، نقسِّم المجالات العامَّة التي تبنى عليها **الأهداف** إلى خمس مجموعات رئيسة، هي:

(الأولى) ـ المجال التعبُّدي: الصلوات، وقراءة القرآن، والإنفاق، والزكاة، والتسبيح، والجهاد...الخ.

(الثانية) ـ المجال التكويني العلمي: تلاوة القرآن، والتفكُّر، والحساب، والتعقُّل، والعلم... الخ.

(الثالثة) ـ المجال المعاشي: الضرب في الأرض، والابتغاء من فضل الله، والكسب... الخ.

(الرابعة) ـ مجال الراحة: السكن، واللباس، والنوم... إلخ.

(الخامسة) ـ المجال الاجتماعي: كلُّ الجوانب الجماعية من الأعمال السابقة، مثل: الصلاة، والسكن إلى الأهل، وإيتاء الزكاة، النفقة، والجهاد. وكذا صلة الأرحام، وحقوق الجار... إلخ.

إنَّ هذا الحصر الجزئي يدفع إلى عمليات حصر أشمل، لإمكانية إضافة

تقسيمات أخرى لجوانب الحياة، ممَّا يمكن أن نكون قد أغفلناه، ذلك أنَّ اهتمامنا منصبٌّ على منهج صياغة «**السند**» المتمثِّل في الجوانب المستنبطة، ولا يدَّعي الشمولية.

ويكون من المفيد والمعين بناءُ **جدولٍ** على أساس هذه المجالات، ويبقى على كلِّ فرد أن يملأ الخانات الفارغة **بأهدافه** القريبة، أو المتوسِّطة، أو البعيدة الأمد.. وإذا لم يقدر على تصنيف **هدف** من **أهدافه**، فما عليه إلَّا أن يلحقه بخانة «**آخر**»، والجدول على الشكل الآتي:

المجال / الأهداف	التعبُّدي	التكويني العلمي	المعاشي	الراحة	الاجتماعي	آخر
اليومية						
الأسبوعية						
الشهرية						
السنوية						
3 سنوات						
5 سنوات						
أخرى						
للعمر						

السند في وضع الأهداف: المدخل القرآني

2. المدخل العقدي:

كما هو مدرَك من النصوص الشرعية، فإنَّ الإنسان ـ أيَّ إنسان ـ تميِّزه أربع علاقات، هي:

- **(العلاقة الأولى) ـ بخالقه**: الله سبحانه وتعالى، وتنزل هذه العلاقة إلى أرض

الواقع في صورة عقائد، وعبادات.

- **(العلاقة الثانية) ـ بنفسه**: ويمكن تشخيصها في «السِّمات الجسمية، والعقلية، والمعرفية، والانفعالية، والعاطفية»[1].
- **(العلاقة الثالثة) ـ بالآخرين**: وأبرزها العلاقات الأسرية، والجانب الخلقي في المعاملات مع الآخرين من ذوي القربى، والأصدقاء، والمتعاملين في العلم أو العمل، أو المجتمع الخاص أو العام، إلى أن يصل إلى الإنسانية جمعاء.
- **(العلاقة الرابعة) ـ بالبيئة (الطبيعة والكون)**: وتتمثَّل في التأمُّل فيها، ومعرفتها، وإدراك كنهها، وعدم إفسادها، والحفاظ عليها، وإعمارها...

ويعضد هذا المدخل عدَّةُ أحاديث، نبَّهت إلى العلاقات أو إلى بعضها، ففي حديث أبي الدرداء مثلا تصحيح من سلمان الفارسيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للبرنامج الزمني الذي وضعه أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ باعتبار **أهداف** تقوم أساسا على مراعاة «العلاقة بالله تعالى»، و«بالآخرين» من أصحابه المسلمين، غافلا **أهدافا** وجب عليه وضعها تندرج ضمن «العلاقة بنفسه»، و«العلاقة بزوجه وأهله»، فجاء الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ مصوِّبًا ومبيِّنا لبرنامج زمني يستمدُّ الشمولية من روح الإسلام، ونصُّ الحديث:

«...**إنَّ لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كلَّ ذي حقٍّ حقَّه**، فأتى النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: صدق سلمان»[2].

(1) نبيل، إبراهيم أحمد عبد الرحيم: **خدمة الجماعة، وتنمية الشخصية الإسلامية؛ ضمن كتاب التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المنهج والمجالات**؛ سلسلة إسلامية المعرفة، رقم 23؛ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1418هـ/1997م؛ ص191.

(2) تقدَّم تخريجه، أعلاه ص31.

وكذا أحاديث «كلُّكم راع ومسؤول عن رعيته...»[1]. ففي البخاري: «كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسئول عن رعيته: **الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته...**»[2].

فإذا اختار من أراد برمجة **أهدافه** هذا المدخلَ، فإنَّه يرسم جدولا على النحو الآتي:

العلاقة / الأهداف	بالخالق	بنفسه	بالآخرين	بالبيئة
اليومية				
الأسبوعية				
الشهرية				
السنوية				
3 سنوات				
5 سنوات				
أخرى				
للعمر				

السند في وضع الأهداف: المدخل العقدي

(1) **مسلم؛ كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق**؛ ج3/ص1459، رقم 1829؛ بسند: «حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث ح وحدثنا محمد بن رمح حدثنا الليث عن نافع عن بن عمر عن النبي ﷺ أنَّه قال:...». **والترمذي؛ كتاب الجهاد عن رسول الله، باب ما جاء في الإمام**؛ ج4/ص208، رقم 1627؛ بسند: «حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن نافع عن بن عمر عن النبي ﷺ قال:...».

(2) **البخاري؛ كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن**؛ ج1/ص304، رقم 853؛ بسند: «حدثنا بشر بن محمد المروزي قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا يونس عن الزهري قال أخبرنا سالم بن عبد الله عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما أن رسول الله ﷺ يقول: كلكم راع. وزاد الليث قال يونس كتب رزيق بن حكيم إلى ابن شهاب وأنا معه يومئذ بوادي القرى: هل ترى أن أجمع ورزيق عامل على أرض يعملها وفيها جماعة من السودان وغيرهم، ورزيق يومئذ على أيلة. فكتب ابن شهاب وأنا أسمع يأمره أن يجمع يخبره أنَّ سالما حدثه أنَّ عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كلكم راعٍ...».

ولا بدَّ أن ننبِّه بالنسبة لهذا الجدول أو غيره، أنَّ بعض **الأهداف** قد يمكن إدراجها تحت أكثر من خانة، ولكنَّ النظر إلى الغالب؛ فإذا كان **هدف** رجل ثريٍّ مثلا «بناء مسجد»، فيمكن إدراج هذا العمل ضمن «العلاقة بالله»، أو«بالآخرين»، أو حتى «بنفسه» باعتبار أنَّ هذا العمل الخيريَّ يُكسبه راحة النفس والطمأنينة، ويحملها على نبذ الشحِّ.. إلَّا أنَّ السمة الغالبة على هذا العمل هي «العلاقة بالله تعالى»، فيدرَج ضمنها.

وإذا وضع طالب ثانويٌّ ـ مثلا ـ **هدفا** له: أن يتخرَّج طبيبا جرَّاحا، لينفع العباد؛ فإنَّ العلاقة الغالبة هنا هي: «العلاقة بالآخرين»، رغم أنَّ في هذا **الهدف** مراعاة للعلاقة «بالخالق تعالى»، و«بنفسه»...

وبالجملة، فإنَّ هذه العلاقات متكاملة غير متضاربة، مردُّها جميعا إلى غاية واحدة هي: الفوز برضوان الله تعالى، والنجاة من سخطه؛ شريطة أن يكون كلُّ عمل، ومن أيِّ علاقة أُخذ، مصبوغا بصبغة الله تعالى، مبتغًى به وجهه الكريم.

3. المدخل الأصولي:

يقرِّر علماء أصول الفقه أنَّ «وضع الشرائع إنما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل معا» وهذا باستقراء الشريعة، وبتتبُّع نصوصها القرآنية والحديثية[1]، فالذي لا شكَّ فيه إذن هو أنَّ «مقصد الشريعة من التشريع، إنَّما هو حفظ نظام العالَم، وضبط تصرُّف الناس، على وجه يعصم من الوقوع في المفاسد، وذلك إنَّما يكون بتحصيل المصالح، واجتناب المفاسد»[2].

والحقُّ أنَّ الذي تفتقده البرمجة الزمنية كما نظِّر لها في الفكر الغربيِّ، وكما نُقلت إلى الفكر الإسلاميِّ المعاصر، هو هذا «الضبط»، وهذه «العصمة من

(1) الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت. 790هـ/1388م): **الموافقات**؛ تح. عبد الله دراز ؛ دار المعرفة، بيروت، د.ت؛ ج2/ص6-7.

(2) الزحيلي، وهبة: **أصول الفقه الإسلامي**؛ دار الفكر المعاصر ـ دار الفكر، بيروت ـ دمشق، ط1: 1416هـ/1996م؛ ج2/ص1020.

الوقوع في المفاسد»، والحرص على «تحصيل المصالح»، **فما البرمجة الزمنية في روحها إلَّا إنزال للمقاصد على أرض الواقع، بطريقة عملية.**

ثمَّ إنَّ المقاصد، وبخاصَّة ما يُعرف بالكليات الخمس، أصبح ـ مع تطوُّر أنماط الحياة ـ من الضروريِّ إعادة تشغيلها «ولكن بطريقة أكثر فاعلية، مع مقتضيات ومتطلَّبات العصر»[1]، **ومن المؤسف أن يبقى هذا العلم الجليل حكرًا على طلبة الشريعة، أو على المفتين والمجتهدين، ويغيب ـ كمنهج عمليٍّ، وكمنحى في التفكير ـ عن العلوم الإنسانيَّة، وعن الحياة اليومية للإنسان المسلم.**

ولقد بذل ثلَّة من الباحثين جهودا معتبرة في إنزال هذه الكليات إلى مختلف العلوم[2]، ومحاولة تفعيلها بما يجعلها موجِّها حقيقيًّا للفكر الإسلامي المعاصر، وذلك ـ خاصَّة ـ من خلال منهج «التأصيل وأسلمة العلوم» الذي اقترحه ثمَّ تبنَّاه المعهد العالمي للفكر الإسلامي بأمريكا.

اقتناعا بوجوب وضع «**سندٍ**» و«**موجِّه**» للبرمجة الزمنية، وإسهاما في هذا الاتجاه العلميِّ، نقترح توظيف هذه المقاصد في البرمجة الزمنية[3]، وسنعرض النموذج لذلك، وقد ينقصه التحليل، أو يحتاج إلى إضافات وتحسينات حتى

(1) علي جمعة محمد: **المدخل**؛ سلسلة تيسير التراث، رقم 3؛ نشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1: 1996م؛ ص126.

(2) نذكر من بين من هؤلاء: الدباغ عفاف بنت إبراهيم: **المنظور الإسلامي للرعاية الاجتماعية**؛ ضمن كتاب **التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المنهج والمجالات**؛ سلسلة إسلامية المعرفة، رقم 23؛ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1418هـ/1997م؛ ص67-100. جاد، عبد الله: **قضايا تطبيق الشريعة وتدريسها**؛ ضمن كتاب **قضايا إشكالية في الفكر الإسلامي**؛ سلسلة قضايا الفكر الإسلامي، رقم 16؛ المعهد العالمي، القاهرة، 1986-1987م؛ ص161-181. علي جمعة: المدخل؛ ص125-131.

(3) في لقاء علميٍّ مع الدكتور **قحطان الدوري**، أستاذ علم أصول الفقه في جامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ـ الجزائر سابقا، وفي جامعة آل البيت بالمفرق ـ الأردن حاليا، اقترحتُ عليه هذه الفكرة، فباركها وأكَّد على وجوب الاجتهاد لتفعيل علم المقاصد بإنزالها إلى ذهنيات المسلمين أولا، وإلى واقعهم المعاش ثانيا؛ ثم ذكر أنَّه لأول مرَّة يسمع بهذه الفكرة من مدخل البرمجة الزمنية. الحوار في جامعة آل البيت أفريل 2001م.

يتحوَّل إلى «**مجال جديدٍ للتأهيل في البرمجة الزمنية**» من خلال معرفة وضبط مقاصد الشريعة، وبخاصَّة الكليات الخمس.

فالذي يفعله المبرمِج ـ على نسق المدخَلين السابقين ـ **هو أن يعرف ويتدرَّب عمليا** على اعتبار أنَّ: «المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدها أن تكون ضرورية، والثاني أن تكون حاجية، والثالث أن تكون تحسينية»[1].

فالمصالح الضرورية: هي المصالح التي «لا بدَّ منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة، بل على فساد وتهارج وفوت حياة؛ وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين»[2].

أمَّا المصالح الحاجية: فهي التي يحتاج إليها «من حيث التوسعة، ورفع الضيق المؤدِّي في الغالب إلى الحرج والمشقَّة اللَّاحقة» التي لا ترقى إلى الفساد، فهي دون الضروريات مكانة[3].

والمصالح التحسينية: معناها «الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنُّب الأحوال المدنِّسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسمُ مكارم الأخلاق»[4] وفقدانها لا يخلُّ «بنظام الحياة، كما في الضروريات، ولا ينالهم الحرج كما في الحاجيات»[5].

فإذا وضحت هذه المعاني في ذهن الإنسان المسلم، انتقل إلى خطوة تالية هي: أن يعرف أنَّ **الضروريات**، أو **المصالح الضرورية**، لدى العلماء قد حصرت

(1) الشاطبي: **الموافقات**؛ ج2/ص8.

(2) **نفس المرجع**؛ ج2/ص8-9.

(3) **نفس المرجع**؛ ج2/ص10-11.

(4) **نفس المرجع**؛ ج2/ص11.

(5) الزحيلي: **أصول الفقه الإسلامي**؛ ج2/ص1023.

في خمس[1]:

1. حفظ الدين
2. حفظ النفس
3. حفظ العقل
4. حفظ النسل
5. حفظ المال.

وذلك من جانبين:

الأوَّل أن تراعى «**من جانب الوجود**»[2] بأن تقام، ويحافظ عليها، وتنمَّى...

والثاني أن تراعى «**من جانب العدم**» بأن يمنع منها الخلل، والإضرار، والتضييع...

والذي يمكن أن نستفيده ممَّا تقدَّم أنَّ البرنامج الزمنيَّ الذي يضعه المسلم، ينبغي أن لا يغفل هذه المقاصد الكبرى، فهي وإن كانت مقاصد للشريعة، تطبَّق في الإفتاء سواء في العبادات أو العادات أو المعاملات، إلَّا أنَّها ضُبطت لمصلحة الإنسان وخيره، وهو مطالَب بأن ينظِّم حياته حول محورها، وأن لا يخرج عنه، حتَّى لا يميل إلى مصلحة على حساب مصالح أخرى، والدين الإسلامي قائم على الشمولية والتكامل.

وسنبيِّن في الفصل التالي بإذن الله، كيفية الاعتماد على هذه المصالح لوضع **الأولويات** في البرمجة الزمنية، أمَّا في هذا الفصل فيكفي أن نضع **الكليات كإطار** «**موجِّه**» و«**ضابط**» **للمبرمج**، وبدون استيعابها سيبقى برنامجه الزمنيُّ اجتهادا، لكن على غير أساس.

ومن الناحية العملية يرسم ثلاثة جداول: الأوَّل للضروريات، والثاني

(1) الشاطبي: **الموافقات**؛ ج2/ص10.

(2) **نفس المرجع**؛ ج2/ص9.

للحاجيات، والثالث للتحسينيات على النحو الآتي:

الكليات / الأهداف	الدين	النفس	العقل	النسل	المال
اليومية					
الأسبوعية					
الشهرية					
السنوية					
3 سنوات					
5 سنوات					
للعمر					
أخرى					

السند في وضع الأهداف: المدخل الأصولي

وينبغي أن يلاحظ ما يلي:

- أنَّ جدول المصالح الضرورية أقرب إلى جدول قارٍّ، وشامل لكلِّ المسلمين، ذلك أنَّ الدين لا يقوم إلَّا بالحفاظ على هذه الكليات المذكورة، والمقصد من هذا الجدول سيظهر أكثر في تحديد **الأولويات**.
- **الأهداف** المختلفة بين الناس حسب القدرات والمواهب، وحسب الإمكانات والميول، وحسب الجنس والعمر... تبدأ في الظهور بداية من جدول «الحاجيات»، وتبرز أكثر في جدول «التحسينيات»، فتكون خاصَّة بالمبرمِج، لا يشاركه فيها أحد.. وهذه العملية ستأخذ بيده تدريجيا إلى التوازن والشمولية في **الأهداف**، وهذا ما لم يتحقَّق في البرمجة الزمنية في الفكر الغربي، الذي لا يزال يعاني من انعدام الضابط، ومن طغيان جانب على جوانب أخرى.
- هذا المدخل الأصوليُّ، مكمِّل للمدخلين السابقين غير مناقض لهما،

واستعمال أيِّ مدخل سيوصل إلى النتيجة المرجوَّة.. ولكنَّ الجمع بين هذه المداخل سيساعد على التحكُّم أكثر في تحديد **الأهداف**، فما أُغفل أو لم يتضح في مدخل من المداخل، برز في المداخل الأخرى...

ثانيا الغايات في البرمجة الزمنية من خلال الفكر الإسلامي:

(أ) • التميُّز:

يمتاز الفكر الإسلامي ـ على خلاف الفكر الغربيِّ ـ بقوَّة في **الغايات**، ذلك أنَّ الذي وضعها للإنسان هو خالق الإنسان، القائل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[ق: 16]، وليس هو الإنسان نفسه.

أمَّا المصدر الوحيد الذي تستخرج منه **الغايات** فهو القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[الإسراء: 89]. و«الله سبحانه هو الذي يضع **الغاية**، لأنَّ الإنسان تُعجزه الأسباب، والله هو خالق الأسباب، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾[النحل: 9]»[1] ذلك ليريح الإنسانُ نفسه من وضع **الغايات** لحركته وسكونه، ويشتغلَ أكثر **بالأهداف**، وباتخاذ الأسباب لتحقيقها، وفق تلك **الغايات**.

ففي المراجع الإسلامية التي كُتبت عن قيمة الوقت وبرمجته، لا يجد القارئ تردُّدا في تحديد **الغايات**، ولا اختزالا لها، ذلك أنَّها جميعا تنطلق من القرآن الكريم، يقول الخالديُّ: «منَّ الله علينا بأن ذكر لنا (غايتنا)، التي لا بدَّ أن نجعلها أمامنا، ونغذَّ الخطى إليها، ونحرص على تحقيقها، وذلك حتى لا نخطئ أو نختلف في تحديد تلك (**الغاية**)»[2].

والشيء المختلف بين هذه المراجع هو المصطلح المستعمل، فمن

(1) الشعراوي: **تفسير**؛ قرص مدمج، رقم3، تفسير الآية "**وعلى الله قصد السبيل**".

(2) الخالدي: **الخطَّة البرَّاقة**؛ ص86.

المصطلحات التي سميت بها **الغاية** ـ كما عرَّفناها ـ نذكر: **هدف** المسلم[1]، و**الغاية** العليا، و**الغاية** النهائية، والمقصد النهائي[2]، والمقصد الأوَّل[3]، ووظيفة الخلق، و**الهدف** من الوجود[4]،و**الهدف** من خلق الإنسان، و**الغاية** من خلق الإنسان[5]، ووظيفة الإنسان[6]، و**الهدف** الغرض[7]، و**الهدف**[8]...

وبالجملة فإنَّ هذه المصطلحات مردُّها إلى أربعة ألفاظ هي: **الهدف، والغاية، والمقصد، والوظيفة**؛ وهي التي تتكرَّر بإضافات مختلفة، والسبب يكمن في أنَّ هذه المصطلحات لم ترد في القرآن الكريم ولا في السنَّة النبويَّة الشريفة بالمعنى الذي تستعمل به في مجال برمجة الوقت، باستثناء لفظ «**مقصد**» الذي جاء بمادَّته في ستِّ آيات، منها قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ﴾[التوبة: 42]، ومعنى ﴿عَرَضًا قَرِيبًا﴾ «غنيمة قريبة المتناول»، ﴿وَسَفَرًا قَاصِدًا﴾ «أي قريبا هيِّنا»[9]. ومنها قوله تعالى على لسان لقمان عليه السلام وهو يوصي ابنه قائلا: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾[لقمان: 19].

ولكنَّ أقرب الآيات إلى المفهوم المستعمل في «إدارة الوقت» نقرأه في الآية الكريمة: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[النحل: 9]، يقول القرطبي: «وقصد السبيل:

(1) **نفس المرجع**؛ ص86.

(2) نوير: **الوقت هو الحياة**؛ ص93.

(3) بابكر، عبد الرحمن: **دراسات تطبيقية حول المقاصد في التشريع الإسلامي**؛ مذكرة معدَّة للسنة الرابعة شريعة وقانون، المعهد العالي لأصول الدين؛ 1422هـ/2001م. ص4.

(4) العاملي: **الوقت هو الحياة**؛ ص66.

(5) رجا: **الكون والأرض والإنسان**؛ ص289.

(6) جوهر، عادل محمد موسى: **دور خدمة الفرد في مجال الدعوة الإسلامية، تصوُّر مقترح**؛ ضمن كتاب **التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية، المنهج والمجالات**؛ سلسلة إسلامية المعرفة، رقم 23؛ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1418هـ/1997م؛ ص258.

(7) الكيلاني: **أهداف التربية**؛ ص25.

(8) غرايبة: **أهمية الوقت**؛ ص6.

(9) البغوي: **معالم التنزيل**؛ ج2/ص297.

استعانة الطريق، يقال طريق قاصد أي يؤدِّي إلى المطلوب»[1]، والقصد: «**الغاية** المقصودة، و ﴿قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾[النحل: 9] أي سبيل القصد»[2]، والقصد: «الإقبال على الحدث إقبالًا لا نقيض فيه للطرفين»[3].

ولقد اخترنا في هذا البحث مصطلح «**الغاية**» لأنَّه المستعمل في كتب «إدارة الوقت» أكثر من غيره، ولنفرِّقَ بينه وبين «**الهدف**» دون حاجة إلى إضافة.

وحسب ما اطَّلعت عليه، فإنَّ الوحيد الذي عرَّف **الغاية** في الاصطلاح، من بين الذين كتبوا في البرمجة الزمنية، هو الدكتور نوير، الذي يقول: «يراد بها (أي **الغاية**) المقصد النهائيُّ للمرء من حياته، أي الذي تنتهي إليه كلُّ أغراضه، و**أهدافه**، وآماله، وتدور عليه أفكاره ومشاعره، وتتجه نحوه جميع أعماله وتصرُّفاته الاختيارية»[4].

أمَّا في هذا البحث فقد عرَّفت **الغاية** بأنَّها: «**وجهة الحياة ومعناها**».

فما هي **الغايات** في البرمجة الزمنية، من خلال المراجع الإسلامية المعاصرة؟ وما هي سلبياتها وإيجابياتها؟ وأخطاؤها وصوابها؟...

(ب) • الغايات في البرمجة الزمنية من خلال الدراسات الإسلامية

يذكر الدكتور الخالديُّ أنَّ **الغاية** لدى المسلم الصالح، ينبغي أن يأخذها من قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[التوبة: 72].

ويستشهد بحديث مرويٍّ عن أبي سعيد الخدري بلفظ: «**قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك ربنا وسعديك.**

(1) القرطبي: **الجامع**؛ ج10/ص81.

(2) الشعراوي: **تفسير**؛ قرص مدمج، رقم3، تفسير الآية "**وعلى الله قصد السبيل**".

(3) الشعراوي: **تفسير**؛ قرص مدمج، رقم4، تفسير الآية "**واقصد في مشيك**".

(4) **الوقت هو الحياة**؛ ص91.

فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك. فيقول: أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا: يا ربِّ، وأيُّ شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا»[1].

ثم يقول: «هذه إذن هي **(الغاية)** الواضحة المحدَّدة لصاحب العلم: **أن ينال رضوان الله تعالى**»[2]. أمَّا العبودية فيعتبرها وسيلة لبلوغ **الغاية**.

ويقسِّم الدكتور نوير **الغايات** إلى «خسيسة هي الدنيا» و«شريفة هي الآخرة»، ثم يقول: «ويراد بالدنيا متاعها بكلِّ صنوفه وألوانه الحسية والمعنوية: من مطعم ومشرب، وملبس ومسكن، ومركب، ونساء، ومال، وجاه، ومظهر وزينة، وسائر ما افتتن الناس به منها.. ويراد بالآخرة: **رضوان الله فيها**، وثوابه بالمعنى الشامل»[3].

ثم أعطى مثلا بالطالب الذي يدرس ويتعلَّم، فقال: «فتِّش عن مقاصده، وانظر إلى أيِّ شيء تنتهي، تجد أنَّه يقضي فترة طويلة أو قصيرة من عمره في الدراسة، لينال شهادة علمية معيَّنة..

وهو يطلب الشهادة العلمية من أجل الوظيفة والعمل، ويطلب الوظيفة والعمل من أجل المال والمعيشة الراضية في دنياه (...) وما يقال عن الطالب يقال عن الزارع، والصانع، والتاجر، والأجير، وصاحب المهنة، ورجل الأعمال، وغيرهم من أصناف الناس»[4].

ثم يصل إلى تقرير القاعدة في كلِّ برنامج زمنيٍّ، في أيِّ زمن من الأزمان، ومن أيِّ مبرمِج كان، وهي أنَّ «ديننا يدعو بالتأكيد **أن تكون الآخرة هي الغاية (...) وأن**

(1) **رواه البخاري؛ كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار**؛ ج5/ص2398، رقم 6183؛ بسند: « حدثنا معاذ بن أسد أخبرنا عبد الله أخبرنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة ...».

(2) **الخطَّة البرَّاقة**؛ ص87-88. (بتصرف).

(3) **الوقت هو الحياة**؛ 93-94.

(4) **نفس المرجع**؛ ص95-96.

تكون الدنيا وسيلة تابعة لها، وخادمة»[1].

وأمَّا اليبرودي فتضبط في بحثها **الغاية** في «تحقيق العبودية لله»[2] وهي بالطبع تستند إلى آية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: 56]، وهو نفس ما ذهب إليه كلٌّ من: البوطي[3]، وعارف[4]، وبابكر[5]، وغرايبة بإضافة «وإعمار الأرض، وتوجيه الحياة طبقا لأوامر الله وتعليماته»[6].

أمَّا العلواني، فيعرض **الغاية** من نافذة أخرى، هي نافذة الصراع بين الحقِّ والباطل، فيقول بيانا لمعنى آية ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: 16-18]: «فهناك حقٌّ وباطل، **وهدف الخلق وغايته** أن يقذف الله تعالى بالحقِّ على الباطل فيزهقه، والإنسان من دون سائر المخلوقات هو المطالَب بممارسة هذا العمل، وهو المعَدُّ ليكون اليد التي يقذف الله بالحقِّ على الباطل بها (...) **فقضية الإنسان وغاية وجوده هي إبقاء راية الحقِّ عالية، ورايةَ الباطل منكوسة**»[7].

ونقرأ في هذا للقرضاوي قوله: «إنَّ المؤمن لم يخسر شيئا بعبادته الله سبحانه، واتقائه ما حرَّم الله عليه، وإنَّما ربح الهدى والاستقامة على الحقِّ، والثبات على الخير، والاستعلاء على الشهوات، وربِح بعد ذلك هدوء النفس وطمأنينة

(1) نوير: **الوقت هو الحياة**؛ ص101.

(2) **قيمة الوقت**؛ ص73.

(3) البوطي، محمد سعيد رمضان: **مدخل إلى فهم الجذور، من أنا؟ ولماذا؟ وإلى أين؟**؛ سلسلة هذا هو الإسلام؛ دار الفكر المعاصر ـ دار الفكر، بيروت، ط2: 1999م؛ ص113-114.

(4) **نظريات التنمية**؛ ص278-280.

(5) بابكر: **دراسات تطبيقية حول المقاصد**؛ ص4.

(6) **أهمية الوقت**؛ ص6.

(7) **الأزمة الفكرية**؛ ص8.

الحياة»[1]. وكلُّ هذه المعاني يخسرها فاقد **الغاية**، سواء أكان مسلما غير موفٍّ، أو كافرا أو مشركا.

ويحصر الدكتور عادل جوهر **الغايات** في:

«**1. عمارة الأرض**، المذكورة في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[هود: 61][2]، وذلك لتحصيل ما به صلاح المعيشة لنفسه ولغيره.

2. عبادة الله سبحانه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات: 56].

3. الاستخلاف في الأرض، يقول تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[الأعراف: 129][3]»[4].

ويضيف رجا إلى «عبادة الله تعالى» **غايات** مؤدِّية إليها، استنبطها من آيات الكون في القرآن الكريم، وهي: «معرفته تعالى، وإدراك عظمته وقدرته، وجمال إبداعه في كلِّ ما خلق الله وأبدع»[5].

ويتملَّكنا العجب عندما نقرأ للدكتورة عطيات، ونجدها تسرد جميع ما أسمته بـ«دوافع الترويح»[6]، وهي تعني بالدوافع «**الغايات** والأغراض» من الترويح، ثم لا نجد ولو ـ إشارة ـ ضمن الدوافع: التقوِّي للعبادة، أو إرضاء الله تعالى... رغم أنَّها اعتمدت استبيانا للواقع، إلَّا أنَّ العمق والبعد الفكريَّ الإسلاميَّ، الذي تنتمي إليه، هي والعيِّنة المستبيَنة، غائب تماما، وكأنَّه غيِّب عن قصد وخلفية.

(1) **الإيمان والحياة**؛ ص7.

(2) سورة هود: الآية 61. والمؤلف استشهد فقط بالشطر الثاني من الآية: "**وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا**"، ولكن ليكتمل الدليل أضفت الشطر الأول: "**هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ**".

(3) سورة الأعراف: الآية 129.

(4) جوهر، عادل: **دور خدمة الفرد في مجال الدعوة؛ التوجيه الإسلامي**؛ ص258.

(5) رجا: **الكون والأرض والإنسان**؛ ص289.

(6) عطيات: **أوقات الفراغ والترويح**؛ ص31-34.

وفي الجملة تدور المراجع حول هذه **الغايات** المذكورة، ولا تخرج عنها، وتعتمد النصوص القرآنية التي أوردناها ولا تضيف إليها، ولقد شذَّت الدكتورة عطيات فتنكَّرت كلية **للغايات** من بعدها القرآني..

ولكنَّ الذي يجب التنبيه إليه هو أنَّ **الغايات** التي جاءت في المراجع مختلفةً، ما هي في الحقيقة إلَّا **غاية** واحدة، وهي أسماء لمسمًّى واحد، أو هي مراحل لنتيجة واحدة هي «**رضوان الله تعالى**». وهذا الرسم يبيِّن ما ذكرنا:

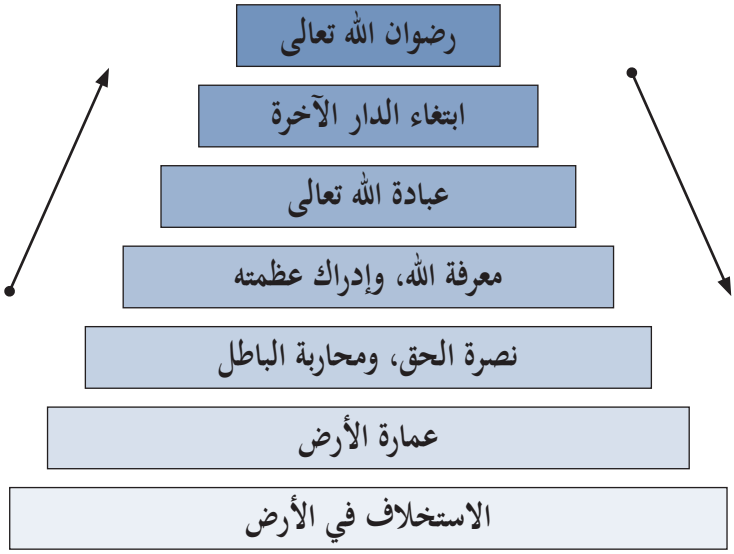

هرم الغايات في البرمجة الزمنية من خلال الفكر الإسلامي

السهمان في اتجاهين متعاكسين، يدلَّان على أنَّه لا يمكن تحديد أيِّ **الغايات** هي الأولى وأيِّها التابعة:

فالقصد إلى «**رضوان الله تعالى**» يستوجب «**ابتغاء الدار الآخرة**» ويستتبعها في آن واحد.

و«**ابتغاء الدار الآخرة**» يستوجب «**عبادة الله تعالى**» ويستتبعها.

و«**عبادة الله تعالى**» تستوجب «**معرفة الله تعالى، وإدراك عظمته**» وتستتبعها...

فعندما يضع أيُّ مسلم برنامجه الزمنيَّ، ينبغي عليه أن يعي هذه **الغايات** التي هي في حقيقتها **غاية** واحدة، ويضعها في أفُقه ليصل إليها، لأنَّها هي **غاية الغايات**، وأيُّ **غاية** دونها ستعطي برنامجا زمنيًّا مضطربا، ومتناهيا، وآنيا، وكمِّيًّا مجرَّدا.. وهذا ما يعاني منه الفكر الغربيُّ، الذي اتَّسم بضبابية وضعف في **الغايات**، وعانى الأمرَّين من تضاربها وتضادِّها، ذلك أنَّه أبعد من حسابه خالق **الغايات** وواضعها، ولم يعرف الله تعالى قدرا: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[الزمر: 67].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى كفر بكلِّ حياة بعد الموت، ﴿وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[الواقعة: 47]، ويقولون: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾[ق: 3].

بعكس المسلم المستمدِّ من الله تعالى منهجه وغايته، ومن القرآن الكريم روحه وحقيقته، ومن الرسول ﷺ نموذجه وبرنامجه، فإنَّه لا يعرف انهزاما في **الغايات** ولا تضاربا، يقول «مارسيل بوازار» في كتابه «إنسانية الإسلام»: «إنَّ النهج الإسلاميَّ يرفض الفصل بين مختلف عناصر الحياة الفردية أو الجماعية، فهو يجهل تعددية (**الغايات**)؛ و**غاية** الإنسان الوحيدة والنهائية، هي **كغاية** المجتمع سواء بسواء، **أن يكون في خدمة الله، ويمتثل لمشيئته، ويعمل بشريعته**»[1] ثم استشهد بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام: 162-163].

وهذه الأحادية في **الغايات** لا تلغي بأيِّ حال من الأحوال خصوصية الإنسان، ولا تنافي حرِّيته، ذلك أنَّ **الأهداف** هي التي ستمنح لكلِّ واحد أن يخطِّط مستقبله لوحده، وفق معطياته وقدراته، أمَّا **الغايات** فتضمن له عدم الانحراف والزيغ.

ولقد اجتمعت لدينا إلى هذا الحدِّ ـ منذ بداية البحث ـ ثلاثة ضوابط تمنح

(1) بوازار، مارسيل: **إنسانية الإسلام**؛ تر. عفيف دمشقية ؛ منشورات دار الآداب، بيروت، 1980؛ ص208.

البرمجة الزمنية في الفكر الإسلاميِّ قوَّتها، وتعطيها شخصيتها المتفرِّدة والمستقلَّة عن البرمجة الزمنية كما خُطِّط لها في الفكر الغربيِّ، وهي:

1. **الزمن الصبغة**[1]: الذي يضبط «المنهج والتوجُّه»، ويعصم من الوقوع في هيمنة زمن ما على غيره من الأزمنة.
2. «**السند**»[2]: الذي تنسج على منواله **الأهداف**، فهو بمثابة الموجِّه كذلك، حتى لا تحيد **الأهداف** عن مبتغاها، وسواء في ذلك المدخل القرآني، أو العقدي، أو الأصولي.
3. **الغاية**[3]: كما عرضت في القرآن الكريم، وكما فصَّلها العلماء قديما وحديثا، لأنَّ غيابها بهذا الطرح عن أيِّ برنامج زمنيٍّ يخرجه مباشرة عن الفكر الإسلاميِّ، ولنُسَمِّه بعد ذلك بأيِّ اسم شئنا.

بعد تأسيس هذه القاعدة التي أعتقد أنها متينة ومحكمة، سنتعرَّض إلى موضوع لا يقلُّ أهمية، ولكنه مكمِّل لما مضى، وله مكانته ووجوده في البرمجة الزمنية، ألا وهو موضوع: **الأولويات**.

(1) انظر أعلاه ـ ص47 وما بعدها.

(2) انظر أعلاه ـ ص101 وما بعدها.

(3) انظر أعلاه ـ ص112 وما بعدها.

نتائج الفصل الثاني

1. لمصطلحي **الأهداف والغايات** عدَّة تعاريف لغوية واصطلاحية.
2. عرَّفنا **الأهداف** في مجال البرمجة الزمنية، بأنَّها: **محطَّات زمنيَّة مستقبلية، يسطِّرها الإنسان لمختلف جوانب حياته، ولمدد معيَّنة.**
3. أمَّا **الغايات** فهي: معانٍ، غير متزمِّنة، متجاوزة، متعالية، مهيمِنة، وهي التي تحدِّد اتجاه الحياة. فهي: **وجهة الحياة ومعناها.**
4. سبقت **محاولات تأصيلية** لضبط **الأهداف والغايات** من مداخل وعلوم مختلفة، يمكن إسقاطها على مجال البرمجة الزمنية.
5. مرَّ الفكر الغربي بأربعة أجيال في إدارة الوقت، ظهرت **الأهداف** في الجيل الثاني، وأمَّا **الغايات** فبرزت بقوَّة في الجيل الرابع.
6. تجمع مراجع **إدارة** الوقت على **أهمية الأهداف** في البرنامج الزمنيِّ، فكثرت بذلك التآليف التي تعنى بها، وتحوَّلت هذه الممارسة إلى فنٍّ يدرَّس، وأُبدعت طرق للتكوين... فأنزلت هذه **الأهداف في الحياة اليومية للإنسان الغربيِّ.**
7. أمَّا **السلبيات** في الفكر الغربيِّ فأبرزها: **المنحى الماديُّ الصرف للأهداف** وإبعاد **الروح** منها، وغلبة **التوجُّه الكمِّيِّ** على حساب الكيف، **واختلاف المناهج واضطرابها...**
8. و**الغايات** في الفكر الغربيِّ ضعيفة كلَّ الضعف، ممَّا تسبَّب في الاضطراب والقلق، ومردُّ هذا الضعف إلى:
   - إبعاد «الإله» و«الموت» و«عالَم الغيب» من **الحياة اليومية للإنسان الغربي.**
   - التنكُّر «للإله» و«للموت» و«لعالَم الغيب» في **الفكر الغربي.**

9. أمَّا الفكر الإسلاميُّ **فلم يعتن بالأهداف كمنحى فكريٍّ في البرمجة الزمنية**، وكثيرا ما خلط الدارسون بينها وبين **الغايات**.

10. ابتعدت **الأهداف** في الفكر الإسلاميِّ من **التوجُّه العمليِّ التطبيقي التربويِّ**... فبقيت مجرَّد كتابات عامَّة، وتخمينات في بعض الأحيان.

11. **الأهداف** غائبة من الحياة اليومية للإنسان المسلم.

12. أمَّا من الناحية التأصيلية، فيقترح البحث «**سندا**» يدرَّب عليه المسلم، ويكون منطلقا في تحديد **أهدافه**، من مداخل عديدة، منها:

- **المدخل القرآني**: الذي يقسِّم المجالات إلى: المجال التعبُّدي، والتكويني العلمي، والمعاشي، ومجال الراحة، والمجال الاجتماعي.
- **المدخل العقدي**: يرتكز على أربع علاقات، وهي: علاقة المرء بخالقه، وبنفسه، وبالآخرين، وبالبيئة (الطبيعة والكون).
- **المدخل الأصولي**: يقوم أولا على تحقيق المصالح الضرورية، والحاجية، والتحسينية. ثم في المصالح يراعي ترتيب الكليات الخمس، وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال. فتحفظ من جهة الوجود، ومن جهة العدم.

13. هذه المداخل **متكاملة** غير متناقضة، ينبغي العمل على تركيزها في البرمجة الزمنية، لتأخذ سمة الإسلام، وتكون مصبوغة بصبغتها.

14. أمَّا **الغايات** في الفكر الإسلاميِّ، فتتميَّز **بوضوحها، ووحدة مصدرها**، رغم الاختلاف الطفيف في المصطلحات من جهة اللفظ لا من جهة الفحوى، والتي ترجع في الجملة إلى أربعة مصطلحات، هي: الهدف، والغاية، والمقصد، والوظيفة.

15. الغاية الكبرى هي: **رضوان الله تعالى**. دونها غايات هي بمثابة مراحل أبرزها: ابتغاء الدار الآخرة، وعبادة الله تعالى، ومعرفة الله وإدراك

عظمته، ونصرة الحقِّ ومحاربة الباطل، وعمارة الأرض، والاستخلاف في الأرض...

16. وبالجملة فإنَّ قوَّة الفكر الغربيِّ ـ في مجال البرمجة الزمنية ـ تكمن في الأهداف، وضعفه يبرز في الغايات، أمَّا الفكر الإسلاميِّ فقوَّته في غاياته، أمَّا ضعفه فكرا وواقعا فيتمثَّل في الأهداف.

الفصل الثالث

الأولويات في البرمجة الزمنية

- **المبحث الأول** : **الأولويات** في البرمجة الزمنية من خلال الفكر الغربي.
- **المبحث الثاني** : **الأولويات** في البرمجة الزمنية، من خلال الفكر الإسلامي

الأزمنة المهيمِنة والزمن الصِّبغة

الفصل الثالث

• الأولويات لغة واصطلاحا:

لم يرد اللفظ في القرآن الكريم، ولا في السنَّة النبوية الشريفة، ونقرأ جذره «أول» بصيغ متعدِّدة.

أمَّا لفظ «الأول» في اللغة فيدلُّ على ما هو «فرد، لا يكون غيره من جنسه سابقا عليه، ولا مقارنا له»[1]، واستعمالاته على أوجه منها:

1. المتقدِّم بالزمان.
2. المتقدِّم بالوضع وبالمكان.
3. المتقدِّم بالنظام الصناعيِّ، نحو «الأساسُ أوَّلا ثم البناء»[2].

ولفظ «الأوَّل» إذا أطلق ينصرف في لغة القرآن «إلى الله سبحانه وتعالى، دون غيره»[3].

و«أَوْلى» اسم تفضيل، وله معنيان:

- «أحرى وأجدر».
- «أقرب»[4].

(1) المناوي: **التعاريف**؛ ج1/ص103. الجرجاني: **التعريفات**؛ ج1/ص58.

(2) المناوي: **التعاريف**؛ ج1/ص103.

(3) باباعمي: **مفهوم الزمن**؛ ص61-62.

(4) الرازي: **مختار الصحاح**؛ مادي ولي، ج1/ص306 ابن منظور: **لسان العرب**؛ ج15/ص410-411.

أمَّا «أَوْلى لك» فتفيد التهديد والوعيد. قال تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٥﴾[القيامة: 34-35]، يقول القرطبي: هذا «تهديد بعد تهديد، ووعيد بعد وعيد»[1]، ولا تخرج من معنى قرب الهلاك والعطب.

أمَّا اللفظ المشتقُّ «**أولوية**»، فمصدر صناعيٌّ، يجمع على «**أولويات**»[2]. وليس مدرجا كمادَّة مستقلَّة في القاموس العربيِّ، وهو في القاموسين الفرنسي والإنجليزي ذا مدخل خاصٍّ به، له دلالات واضحة ومستقلَّة.

ففي الفرنسية (Priorité) مؤنَّث، يعني «خاصيَّة (صفةَ) الشيء الذي يأتي قبلُ، ويسبق شيئا آخر في الزمن».

وفي سنة 1923م دخل لفظ **الأولوية** كمصطلح في قانون المرور، ويُقصد به: «الحقُّ في مرور سيارة على حساب الأخرى، في حالات يحدِّدها قانون المرور».

ومن معانيها كذلك «اعتبار أمر ما أهمَّ، أو أكثر استعجالا من أمور أخرى من نفس النوع».

وفي المجال الفكريِّ والفلسفيِّ تستعمل لفظة (Primauté)، وتعني «**أولوية** الروحيِّ على الزمنيِّ»، «أولوية البابا Pape»، «أولوية فكرة ما»... إلخ.

وباللغة الإنجليزية يترجم لفظ الأولوية إلى «*Priority*» ومعناه: «الوضع (الحالة) التي يكون فيها شيء ما الأوَّل في الترتيب، أو الأسبق في الزمن»، و«شيء يحتاج إلى الاهتمام قبل غيره».

ولفظ «**الأولوية**» مفردًا نطالعه في التراث الإسلاميِّ ابتداء من القرن الثامن، ولم نطلِّع على أيِّ نصٍّ ذكره بالجمع «**أولويات**» فيما بحثنا فيه، من بين المئات من الكتب التراثية المتقدِّمة. وهذا إن لم يدلَّ على انعدامه يقينا، فإنَّه يدلُّ على

(1) الجامع؛ ج16/ص243-244.

(2) المطبعة الكاثوليكية: **المنجد في اللغة والأعلام**؛ ص21، مادة «أولَ».

قلَّة استعماله ـ بهذه الصيغة ـ أكيدا[1].

ففي «**كشف الأسرار**» للبخاري عبد العزيز (ت. 730هـ/ 1329م): «الترخيص الذي ثبت في كتاب الله تعالى رخصة إسقاط، أي رخصة لازمة، وهي التي لم تبق العزيمةُ فيها مشروعة (...) فلم يبق لزوم رعاية النظم المنزَّل أولا مشروعا، ولم تبق له **أولوية**»[2] وفي «شرح التوضيح» للتفتازاني (ت. 793هـ/ 1390م): «أعداد الجمع مختلفة، من غير **أولوية** للبعض»[3].

ولقد صارت كلمة «**أولوية**» وجمعها «**أولويات**» مصطلحا مرتبطا بعلم إدارة الوقت، ومن تعريفاته: «التركيز على أهمِّ المهامِّ لديك»[4].

ويذكِّر أبو شيخة أنَّ الحديث عن **الأولويات** يعني الحديثَ عن **تخصيص الوقت** «*Time allocation*»[5]، ثم يقول: «تستخدم كلمة **أولوية** هنا لتدلل على:

- مشروع مهمٍّ، أو مسؤولية ذات علاقة بالوظيفة التي تشغلها.
- أو أنَّها شيء ذو أهمِّية معيَّنة.

---

(1) لاحظ الوكيلي كذلك أنَّ هذا المصطلح بمفهومه الجديد «لم يكن متداولا عند الأقدمين، لا عند اللغويين، ولا عند علماء الشريعة»، وأنَّ مصطلح الأولوية بالإفراد ورد «في بعض المصادر القديمة، إلاَّ أنَّ هذا الاستعمال لم يخرج عن المعنى اللغوي لكلمة «أولى» الوكيلي، محمد: **فقه الأولويات، دراسة في الضوابط**؛ سلسلة الرسائل الجامعية، رقم 22؛ المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، أمريكا، ط1: 1416هـ/1997م؛ص12

(2) البخاري، علاء الدين عبد العزيز بن أحمد البخاري (ت. 730هـ/1329م): **كشف الأسرار شرح أصول البزدوي**؛ (الأصلية: دار الكتاب الإسلامي) طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج3/ص58.

(3) التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر (ت. 792هـ/1390م): **التلويح على التوضيح**؛ (الأصلية: مكتبة صبيح، مصر) طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج1/ ص69.

(4) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص484.

(5) أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص101.

• أو أنَّها شيء ينفَّذ قبل شيء آخر».

وينتهي بتعريف جيِّد هو: أنَّ **الأولوية** «شيء ما، يتطلَّب اهتماما قبل غيره»[1].

والتعريف الذي نصوغه، بناء على ما تقدَّم، واعتبارا لمجال البحث ـ البرمجة الزمنية ـ هو:

تحديد **الأولوية (الأولويات)** يعني:

> **تقديم عمل على عمل في البرنامج الزمنيِّ[2]، بناء على الأهداف المسطَّرة[3]، والغايات المحدَّدة[4].**

وقد تدلُّ هذه الممارسة ـ كذلك ـ على تقديم هدف على هدف آخر، ولكنَّها لا تخصُّ بأيِّ حال من الأحوال الغايات، لأنَّها ثابتة لا تتغيَّر، و**الأولويات** تتعامل مع المتغيِّر والمتجدِّد، أي مع الأعمال والأهداف.

(1) نفسه.

(2) انظر ـ تعرف البرنامج؛ ص49.

(3) انظر ـ تعريف الأهداف؛ ص92.

(4) انظر ـ تعريف الغايات؛ ص93.

المبحث الأول

الأولويات في البرمجة الزمنية، من خلال الفكر الغربي

تجمع المؤلَّفات الغربية، وكذا العربية التي أُلِّفت على المنهج الغربيِّ، في مجال إدارة الوقت، على أهمية **الأولويات**، ومكانتها البارزة في برمجة الوقت وإدارته.

ويربط «بيو» هذه الفكرة بـ«العبقرية اليونانية المستبصِرة»، فهي التي «تنبَّهت بأنَّ الأهمَّ في أيِّ عمل، هو الذهاب إليه مباشرة، والتزام طريقه.. أي في عدم توزيع الاهتمام، بل على العكس يجب أن نقصد وجهة واحدة»[1]، وهذا يعني بالطبع معرفة الأهمِّ، وتقديمه على المهمِّ.

ويضع أبو شيخة **الأولويات** في «قلب إدارة الوقت»[2]، فيقال بالتالي: إنَّ إدارة الوقت تعني تحديد **الأولويات**.

أولا مردُّ أهمية الأولويات في الفكر الغربي:

تأتي أهميَّة تحديد **الأولويات** في الفكر الغربي، من عدَّة اعتبارات، منها:

1. الحدُّ من ضغط الأعمال: يقول «شيردان»: «أحد صمَّامات الأمان الرئيسة لكي لا تحاول القيام بأعمال كثيرة، هو هذه الملاحظة الإدارية القديمة: حدِّد

(1) J. Payot, ***Travaille intellectuel et volonté***, Ed. Felix Alcan, Paris, 1925, p.V.

(2) أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص101.

الأولويات»[1].

2. تعطي توازنا بين الواجبات والرغبات والمسؤوليات: وفي هذا المعنى يؤكِّد «كوفي وميريل» أنَّ «ترتيب الأمور حسب أهميتها هو في صميم حياتنا، فأغلبنا يتمزَّق بسبب الأعمال التي يجب أن يقوم بها، وبين ما يريد أن يقوم به، وبين المسؤوليات التي تقع عليه»[2]. وبدون تصوُّر واضح **للأولويات**، وعمل صارم وفقها، تبقى هذه الأقطاب الثلاثة تلقي بثقلها على الإنسان، وتفقده التوازن وحسن التقدير.

ولكي يدرك أيُّ إنسان عمق هذا الصراع في ذاته، عليه أن يتساءل دوما:

- هل نشاطاتي تسير حسب خطَّة مضبوطة؟
- أم حسب الأحداث الطارئة؟
- أم حسب المزاج؟[3]

3. عدم الوقوع في مصيدة النشاط: مع تطوُّر الآلية، وتسارع متطلَّبات الحياة، وقع الناس في «مصيدة الوقت وفخِّه» ولذلك «نجد أنفسنا على حالة من الأنين والقول: ليس هناك ما يكفي من الوقت»[4].

والسبيل الأنجع للنجاة يكمن في اتخاذ **الأولويات**، والعمل وفقها، وعدم محاولة استيعاب كلِّ الأعمال، لأنَّ هذا طلب للمستحيل. يقول «لابوفيتز

(1) شيردان، جون: **أنجز أكثر واعمل أقل**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال، تصدر عن الإدارة العامة للبحوث؛ محرر السلسلة: دايل تيمب؛ تر. د. وليد عبد اللطيف هوانة، مر. د. سعود بن محمد النمر؛ معهد الإدارة العامة، السعودية، 1411هـ/1991م؛ ص333.

(2) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص15.

(3) فورست، ب. روبرت: **الوقت أيها السادة**، الوقت... سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال، تصدر عن الإدارة العامة للبحوث؛ محرر السلسلة: دايل تيمب؛ تر. د. وليد عبد اللطيف هوانة، مر. د. سعود بن محمد النمر؛ معهد الإدارة العامة، السعودية، 1411هـ/1991م؛360.

(4) ماكينزي: **مصيدة الوقت**؛ ص6. وقد أصبح مصطلح «مصيدة» كثير الاستعمال في كتب إدارة الوقت، تأثرا بكتاب ماكينزي هذا، والمعنون بالإنجليزية (***Time trap***).

وبيرد»: «بدون **أولويات**، وبدون أهداف، تقع في شرَك (...) مصيدة الوقت. معظم المديرين يقعون في مصيدة النشاط، إذ يتورَّطون في النشاط ذاته، حتى يفقدوا رؤية السبب الذي من ورائه يقومون بالنشاط، فيصبح النشاط هدفا مزيَّفا، ويصبح غاية في حدِّ ذاته»[1].

4. يحسِّن طريقة برمجة الوقت، ويعطي الثمار المرجوَّة: يقول خليل فهد: «ما أن تبدأ باستخدام لوحة المشروع، ورزنامة التخطيط، وبرنامج **الأولويات**، والبرنامج الأسبوعي، وبالتالي اليومي، حتى تبدأ بقطف ثمار هذا النظام كلَّ يوم (...) كلُّ شيء، حتى المشاريع الطويلة الأجل، لن تعود ضخمة مهولة»[2] وبعبارة موجزة يعبِّر «ليستر» عن هذا المعنى من مدخل مغاير، فيقول: «ترتيب **الأولويات** يعتبر مهمًّا؛ لأنَّه طريقة موثوقة لتحسين استخدامك للوقت، فهو يكرِّس غالبية وقتك للعمل أو الأنشطة المهمَّة فعلا»[3].

5. إنَّه ديدن الناجحين في حياتهم: بما أنَّ علم إدارة الوقت يتعامل مع الواقع غالبا، فإنَّ الحديث عن **الأولويات** يحيل دوما إلى تجارب الناجحين، فيقول «يوجين»: «كلُّ الناجحين الذين أعرفهم يؤسِّسون أولويات»[4]، وأمَّا «ماكولو» فيقرِّر أنَّ «معظم رجال الأعمال الناجحين تعلَّموا التحكُّم في وقتهم، بدلا من تضييعه بانشغالهم بالأمور البسيطة التافهة، لقد أعدُّوا نظاما، بحيث ينجزون أوَّلا المهامَّ الرئيسة، ويحدِّدون **أولوياتهم** حسب الترتيب الصحيح لها، ومن ثمَّ

(1) لابوفيتز، هـ. جورج، وبيرد، س. ليود: **إدارة الوقت، النظر إلى الساعة بإيجابية**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال؛ ص126.

(2) سيباني: **إدارة الوقت**؛ ص77-78.

(3) ليستر: **إدارة الوقت، المرشد الكامل للمديرين**؛ ص42.

(4) جريسمان، يوجين: **فن إدارة الوقت**؛ ص27.

يلتزمون بتلك **الأولويات**»[1].

6. يوفِّر الجهد، ويزيد في الربح الماديِّ: وفي هذا الصدد تتداول أغلب كتب إدارة الوقت قصَّةً تُبرز بوضوح فائدة اعتبار **الأولويات** في زيادة الإنتاج، جاء في هذه القصَّة أنَّ:

> «تشارلز شواب»، الذي كان رئيس إحدى الشركات الفولاذية في أمريكا، اقترب منه «آيفي لي» وهو مستشار إداريٌّ، وقال له: أستطيع أن أخبرك كيف تجعل شركتك أكثر كفاءة.
>
> - فأجابه «تشارلز شواب»: وكم سيكلِّفني ذلك؟
>
> - قال «لي»: لا شيء إذا لم تنجح الفكرة، لكن إذا نجحت فسأتوقَّع منك أن تدفع لي جزءا من المال الذي وفَّرته شركتك بتطبيقها لفكرتي.
>
> - قال «شواب»: هذا يبدو منصفا، وسأل عما يجب عمله فقال «لي»: سأحتاج إلى قضاء عشر دقائق مع كلِّ واحد من مدرائك التنفيذيين الرئيسيين على حدة.
>
> - فوافق «شواب»، وبدأ «لي» يقابل المدراء، قال لكلِّ واحد منهم: في نهاية اليوم، وقبل أن تغادر المكتب، اكتب ستَّة أشياء لم تتمكَّن من عملها اليوم، وتحتاج إلى عملها بشدَّة في الغد (أي **الأولويات**).
>
> وافق المدراء على الفكرة، وأثناء تطبيقهم للخطَّة لاحظوا أنَّهم أصبحوا أكثر تركيزا، فعملوا بجهد على الواجبات التي على قوائمهم، لأنَّهم هم الذين خلقوا تلك القوائم، وسرعان ما حصل

(1) ماكولو، ف. روز: **إدارة دقائقك، كيف تمسك بزمام وقتك**؛ لابوفيتز، هـ. جورج، وبيرد، س. ليود: **إدارة الوقت، النظر إلى الساعة بإيجابية**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال، تصدر عن الإدارة العامة للبحوث؛ محرر السلسلة: دايل تيمب؛ تر. د. وليد عبد اللطيف هوانة، مر. د. سعود بن محمد النمر؛ معهد الإدارة العامة، السعودية، 1411هـ/1991م؛ ص369.

تحسُّن ملحوظ في إنتاجية الشركة، وكانت الفكرة ناجحة لدرجة أنَّ «شواب» كتب شيكا لـ«لي» بعد بضعة شهور بمبلغ 35000 دولار[1]."

وحتى يُثبت «يوجين» أنَّ هذه الواقعة ليست حالة استثنائية، وإنَّما هي قاعدة عملية للغاية، فإنَّه ذكر أنَّ «ماري كاي آشي» سمعت بها قبل أن تؤسِّس شركتها، فقالت:

" فكَّرت لنفسي أنَّه إذا كانت الفكرة تساوي 35000 دولار لـ«تشارلز شواب»، فهي أيضا تساوي 35000 دولار لـ«ماري كاي». وهكذا بدأت في نهاية كلِّ يوم تكتب ستَّة من أهمِّ الأشياء التي عليها أن تفعلها في الغد، وبدأت تحثُّ زملاءها في المبيعات على عمل الشيء نفسه.

واليوم ـ يقول «يوجين» ـ فإنَّ شركة «ماري كاي» لمستحضرات التجميل، التي لديها 200000 مندوب مبيعات، تطبع ملايين من دفاتر الملاحظات الزهرية اللون، على رأس كلِّ ورقة توجد الكلمات: **الأشياء الستَّة الأكثر أهمية التي يجب أن أعملها غدا**[2]. "

وبقراءتنا لهذه النماذج ندرك صدق المقولة التي تتردَّد، وهي: «أنَّ الساعة لا الآلة هي مفتاح التقدُّم الصناعيِّ»[3].

7. الوقوف أمام الذين يدخلون في البرنامج الزمني بغير إذن: وبالتالي توفير الوقت. فكلُّ الناس، مديرين وغيرهم، يعانون من الزوار غير المنضبطين، ويجدون صعوبة في منعهم عن أن يحتلُّوا وقتهم ونجاحهم، ومن أسباب هذه الصعوبة التي نجدها «فشلنا في التعرُّف على طبيعة المقاطعة في جوهرها»،

(1) جريسمان: **فن إدارة الوقت**؛ ص41-42. وشيردان: **فن وعلم إدارة الوقت**؛ ص333.

(2) جريسمان: **نفس المرجع**؛ ص42-43.

(3) أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص91.

وجهلنا أنَّ هذه المقاطعة «تخلق صراعا بين **أولوياتنا** ومراتبها»[1].

وكمثال حيٍّ على هذا الاعتبار، يقول «ماكينزي»: «إنَّك تقوم بجمع ملاحظاتك، ومراجعة جدول الأعمال لاجتماع الساعة الحادية عشرة. وعند الحادية عشرة إلَّا الربع يقف ببابك أحد زملائك ويسألك: هل أجد دقيقة لديك؟[2] إنَّ أيَّ شيء داخل ذهنه الآن يمثِّل **الأولوية** الأولى إليه في هذه اللحظة، لكنَّك تملك أشياء أخرى في عقلك تتمثَّل في الاستعداد للاجتماع، وهو ما يمثِّل أولى **أولوياتك** في هذه اللحظة، فإن سمحت له بمقاطعتك، فإنَّك تسمح للأولوية لديه بأن تسبق تلك التي تخصُّك، أمَّا إن رفضتَ أن يقاطعك في أولوياتك، بذلك تكون قد سبقتَ **الأولوية** لديه»[3].

يمكننا ـ أخيرا ـ تلخيص هذه الاعتبارات التي منحت **الأولويات** أهمية قصوى، حسب علم إدارة الوقت، في النقاط الآتية:

- الحدُّ من ضغط الأعمال.
- إيجاد التوازن بين الواجبات والرغبات والمسؤوليات.
- النجاة من مصيدة النشاط.
- تحسين الأداء في برمجة الوقت.
- كونها سرًّا من أسرار النجاح، وصفة من صفات الناجحين.
- توفير الجهد، والزيادة في الربح الماديِّ.
- التعامل الإيجابي مع الزوار.

(1) ماكينزي: **مصيدة الوقت**؛ ص157.

(2) في الواقع إنَّه عندما يقول لك شخص ما: هل تعطيني دقيقة من وقتك؟ فإنَّه «لم يحدث يوما أن كان معناها مجرَّد دقيقة واحدة أبداً. قبل أن تقول نعم، أو لا، بادر دائما بالسؤال عما تدور حوله هذه الدقيقة» انظر ـ ماكينزي: **مصيدة الوقت**؛ ص158.

(3) **نفسه المرجع**؛ ص157-158.

ولكن، هل من السهل على كلِّ إنسان ـ أو مدير ـ أن يعي هذه الاعتبارات، ويستفيد من الأولويات في إعطاء برنامجه الزمني فاعلية وفعالية أكثر، أم أنَّ ذلك مستعص وصعب المنال؟

نبادر إلى الإجابة في العنوان الآتي:

ثانيا صعوبة الالتزام بالألويات (معايير تتحكَّم في تخصيص الوقت):

على الرغم من أهمية الأهداف في توجيه حياة الإنسان، إلَّا أنَّ الوقوف عندها، دون بذل المجهود في ترتيبها وفق جدول **للأولويات**، يُنذر بالفشل والانتكاس، وينبغي أن نعرف أنَّ **الأولويات** هي أكثر أهمِّية من الأهداف المجرَّدة، فـ«من السهل تحديد الأهداف العامَّة أو الاتفاق عليها، لكنَّك لا تفقد صوابك إلَّا حين تحدِّد **الأولويات**»[1].

ولقد جاءت هذه الصعوبة من جهة أنَّ الناس ليس لهم هدف واحد في حياتهم، بل إنَّ كلَّ إنسان ـ أو هيئة، أو منظَّمة ـ لديه «أكثر من هدف واحد في حياته وفي عمله»[2]، و«إنَّ الفُرقة بين الأهداف المتعارضة شِقوة قديمة، وقعت فيها البشرية وما تزال واقعة (...) وتتزايد (هذه الفُرقة) في ظلِّ الحضارة الحديثة إلى درجة خطيرة، تؤذن بتدمير الطاقة البشرية وتفتيتها»[3].

وتزداد الصعوبة إذا تعقَّدت الحياة، وعاش الإنسان على غير نظام، فـ«في هذا العالم غير الكامل، الذي لا يمكننا السيطرة عليه[4]، يصعب كثيرا تحديد **الأولويات**. كثيرا ما نفقد قيادة أمورنا، ونقبل أولويات شخص آخر»[5].

(1) فورست: **الوقت أيها السادة**؛ ص360.

(2) أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص100.

(3) قطب: **قبسات من الرسول** ﷺ؛ ص19-20.

(4) يلاحظ وصف العالم بأنَّه «غير كامل»، وتوظيف مصطلح «السيطرة على العالم»، وهذا متناسق تماما مع المنحى الإنساني للبرمجة الزمنية، في الفكر الغربي. انظر أعلاه ص133 وما بعدها.

(5) فورست: **نفس المرجع**؛ ص359.

وما دامت النفس البشرية «ضعيفة»، فإنَّها تتحرَّك وفقا لمعايير مختلفة، منها ما يأتي من خارج الذات، ومنها ما يصدر من الباطن، فكلُّ إنسان له معاييره الخاصَّة «ليقرِّر ما يجب أن يفعله خلال اليوم»، ولقد ضبط الدارسون أكثر المعايير تحكُّما في طريقة تخصيص الوقت، من أبرزها:

- أنَّنا نعمل الشيء الذي نحبُّ أن نعمله، قبل أن نعمل الشيء الذي نكرهه.
- أنَّنا نعمل الأشياء التي نعرف كيفية عملها بصورة أسرع من الأشياء التي لا نعرف كيفية استعمالها.
- أنَّنا نعمل الأشياء السهلة، قبل الأشياء الصعبة.
- أنَّنا نعمل الأشياء التي تحتاج إلى وقت قليل، قبل الأشياء التي تحتاج إلى وقت كثير.
- أنَّنا نعمل الأشياء التي تتوافر لها إمكانات تنفيذها، قبل الأشياء التي لا تتوافر لها هذه الإمكانات.
- أنَّنا نعمل الأشياء المجدولة (كالاجتماعات)، قبل الأشياء غير المجدولة.
- أنَّنا نعمل الأشياء المخطَّطة، قبل الأشياء غير المخطَّطة.
- أنَّنا نستجيب لطلبات الآخرين، قبل الاستجابة لطلباتنا.
- أنَّنا نعمل الأشياء العاجلة، قبل الأشياء المهمَّة.
- أنَّنا نستجيب للأزمات والطوارئ.
- أنَّنا نعمل الأشياء التي تثير اهتماماتنا، قبل الأشياء التي لا تثير اهتماماتنا.
- أنَّنا نرجئ الأعمال إلى أن يقترب الموعد النهائي للإنجاز... إلخ»[1].

إنَّ نظرة متفحصِّة في هذه المعايير التي تحكُم تخصيص الوقت عند عامَّة الناس،

(1) أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص101-102. وانظر ـ سلامة: **إدارة الوقت، منهج متطور**؛ ص53-54/.
Cruella et B., ***Le temps d'emploi***, p.23.

تُظهر عمقا وفهما دقيقا لواقع الإنسان في عصرنا، تجاه الوقت وإدارته، وتجاه المواعيد، والأهداف، والأعمال.. ولا شكَّ أنَّ الانسياق وراء هذه المعايير، دون بذل الجهد لتخطِّيها، لا يسمح بالتفوُّق والنجاح، ولا يعطي التقدُّم والارتياح.. بل إنَّه يكرِّس صفات الاتكالية، والكسل، والقلَّة، والقلق والاضطراب... إلخ.

من هنا جاءت صعوبة تحديد **الأولويات**، لأنَّها تخالف في كثير من الأحيان الطبائعَ المتجذِّرة في الإنسان، والمحبوبة إلى ذاته.

ولفهم أكثر لهذه الجدلية والصراع حاولت المصادر الغربية ضبط **الأولويات** من مداخل عدَّة، نعرض أهمَّها وأبرزها، وهي على التوالي:

- **الأولويات** والمتعة.
- **الأولويات** والطوارئ.
- قانون «**باريتو**» وبعض القوانين الأخرى.
- **الأولويات** والتأجيل.
- الطرق العملية للتعامل مع **الأولويات**.

ثالثا ضبط الأولويات ومداخلها في الفكر الغربي:

1. الأولويات والمتعة:

ضدَّان لا يلتقيان: المتعة الآنية، والنجاح المؤجَّل. ويمكننا أن نتحدَّث عن متعة بمنظور قيميٍّ، وعن متعة بمنظور غربيٍّ؛ ذلك أنَّ الغرب ينظر إلى المتعة من منطلق إنسانيٍّ محض، وإلى الألم من تجربة إنسانية قصيرة.. ولقد توصَّل عبر تاريخه إلى إنكار أنواع من المتع، لأنَّه عاين فسادها، وتأكَّد من إضرارها بصحَّته، أو مشاريعه، أو عواطفه... ويبقى أمامه مشوار طويل لإدراك متع أخرى ستكون سببا لهلاكه ولو بعد حين.

فمن المقرَّر أنَّ مجتمع الاستهلاك يعاني ـ بسبب رؤيته الضيِّقة للحياة ـ من غزو

المتع بجميع أنواعها، ومن تكالب الناس «على الحياة، يجعلونها همَّهم الأوحد، ينتهبون ما فيها من متعة قبل وقت الفوات، فتملكهم شهوتهم ولا يملكون نفسهم منها»[1]، ولهذا يضع الإنسان الغربيُّ المتعة ضمن أولى **الأولويات**، وعلى رأس **الغايات**؛ لأنَّه لا يملك القدرة على الأمل والرجاء في شيء أكبر وأكثر خلودا ودواما.

ولكن، بدأ علماء الغرب يلمسون المخاطر، ويشهدون التقهقر، وهم بذلك يدقُّون ناقوس الخطر؛ فالبرمجة الأحادية (monochrone) تجعل الغرب «يتصوَّر الحياة بطريقة مجزَّأة (Fragmenté)» فيختلُّ عنده ميزان **الأولويات**، لأنَّ **الغايات** في الأساس غير قوية، وإنسانية النزعة[2].

وفي هذا الصدد يورد «بالدوين» قصَّة عن السيد ج.د.، يقول:

> كانت لديه آمال كثيرة نحو المستقبل، كان يرى نفسه وهو يحقِّق حلما كبيرا في أن يصبح رئيس قسم المبيعات في مخزن رفيع المستوى[3]. بعد خروجه من الجامعة بدأ حلمه يتبدَّد شيئا فشيئا، فهناك سوء توافق بين سلوكه وبين توقُّعاته، فهو يحبُّ اللقاءات والاجتماعات والحفلات، ويستغلُّ كلَّ فرصة لذلك. كانت النتيجة من وراء اختيارات ج.د. أن انخفضت درجاته، وتباطأت ترقُّياته في العمل، وضعفت آماله في تحقيق حلمه، وعندما يقترب موعد لقضاء وقت جميل وممتع نجده هناك، دون اعتبار لالتزاماته ومسؤولياته، **متمتعا** بالصورة المعروفة عنه بأنَّه رجل لَعوب، عمله دائما ينجز بسرعة في آخر لحظة، دون أيِّ تفكُّر واهتمام بأيِّ تفصيل مطلوب

(1) قطب: **قبسات من الرسول** ﷺ؛ ص19.

(2) انظر أعلاه ـ ص89 وما بعدها.

(3) لاحظ بأنَّ هذا الهدف الماديَّ الآني هو الذي يحتل الأولوية في سلَّم أهداف ج.د. وهذه عادة هي طبيعة أهداف الإنسان في المجتمع الغربيِّ.

لإنجاز العمل بإتقان[1]. "

وإذا ما بحثنا عن مشكلة ج.د. وهي بالذات مشكلة الكثير من الناس في عالمنا، فإنَّ الجواب أنَّها «مشكلة **أولويات**، فبرغم الالتزامات الذهنية للمهنة، فإنَّ سلوكه يكشف النقاب عن شخص **يبحث عن المتعة**، ولا يؤجِّل أيَّ فرصة لإشباعها»[2].

ومع خساسة المتعة في هذا المثال، فإنَّ متعا أخرى توصف بأنَّها شريفة، تتحكَّم في مسار الإنسان الغربيِّ، وهي لا تقلُّ ضررا وخطورة عن غيرها، منها ما يعرف **بمتعة العمل، أو الإدمان على العمل**.

يكتب «واين واتس» عن مدمني العمل (*workholics*) قائلا: «إنَّ هؤلاء الذين يفصلون وجودهم عن المجتمع، بسبب طلبهم لنتائج في الوظيف تفوق القدرة الإنسانية، هم في الحقيقة عاجزون عن إدراك الفرق بين الأمانة في العمل والتورُّط المكروه».

ثم يتساءل: «كيف يمكن **لمدمن العمل** أن يعرف أنَّه إنسان في المجتمع؟».

ويجيب: «إنَّه لا يقدر على إدراك ذلك إلَّا إذا سقط بنوبة قلبية أثناء العمل، أو عندما يجد ابنه البالغ من العمر خمس سنوات يطلب منه تجديد موعد لمشاهدته»[3].

إنَّ مثل هذه المتع المتعدِّدة والمتضاربة، والتي تميِّز الغرب عبر مراحله وأحقابه، وعبر أجياله وطبقاته، تولِّد فجوة بين «الإيقاع الداخليِّ والساعة المعلَّقة

(1) بولدوين أ. بروس: **فنُّ التأجيل**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال، تصدر عن الإدارة العامة للبحوث؛ محرر السلسلة: دايل تيمب؛ تر. د. وليد عبد اللطيف هوانة، مر. د. سعود بن محمد النمر؛ معهد الإدارة العامة، السعودية، 1411هـ/1991م؛ ص ص484.

(2) **نفسه**.

(3) A. Mackenzie, ***La chasse au temps perdu***, pp16-17.
وانظر ـ معايعة، عماد: **إدارة الوقت**؛ ص29.

في الحائط، وهو ما يفسِّر، في نطاق كبير، القلق المهيمن على هذا الجيل»[1] الغربيِّ المعاصر.

2. الأولويات والطوارئ:

الحديث عن «الطوارئ والأزمات» ـ أو ما يسمِّيه البعض «حالة إطفاء الحرائق المشتعلة»[2] ـ في البرنامج الزمني، هو حديث عن **سلب الأولوية** ونفيها، ويكتب بلغة الرياضيات:

الطوارئ والأزمات = (- أولويات)

ولقد دأب الكتَّاب على وضع ما يطلقون عليه اسم «مصفوفة إدارة الوقت» حسب الطوارئ والأهمية، على الشكل الآتي[3]:

(1) Hall, ***La danse de la vie***, p.62.

(2) ماكينزي: **مصيدة الوقت**؛ ص96

(3) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص46.

	عاجل	غير عاجل
هام	**المربع 1** • أزمات. • مشكلات ضاغطة. • مشروعات لها وقت محدَّد: اجتماعات، امتحانات، • استعدادات...	**المربع 2** • استعدادات للمستقبل. • تقوية للنفس. • منع حدوث مشكلات متوقَّعة. • استجلاء قيم هامَّة في حياتنا. • تخطيط للمستقبل. • بناء علاقات صحية. • ترقية وتنمية ذاتية
غير هام	**المربع 3** • مقاطعات. • مكالمات هاتفية. • بريد وتقارير. • لقاءات. • أمور عادية عاجلة. • أنشطة بسيطة ومرغوبة.	**المربع 4** • أعمال غير هامَّة. • مكالمات تلفونية متنوعة. • أفراد يضيِّعون وقتك. • أنشطة غير مجدية. • بريد غير هام. • وقت طويل في مشاهدة التلفزيون.

مصفوفة إدارة الوقت، حسب الطوارئ

بلغة إدارة الوقت يعتبر **المربَّع الأوَّل** مربَّع الأمور الهامَّة والمستعجلة[1]، إذ لا يمكن الاستغناء عنها.

أمَّا **المربَّع الثاني** فهو مربَّع الجودة، والقيادة الذاتية[2].

(1) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص44. أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص88

(2) كوفي وميريل: **نفس المرجع**؛ ص45-46.

والمربَّع الثالث يعرف بـ«شبح المربَّع الأوّل»، وهو يشمل أمورا عاجلة ولكنَّها ليست هامَّة، ولذلك يمكن تسميته بـ«مربَّع الخداع» فنغمة **الطوارئ** والاستعجال في هذا المربَّع توجِد إحساسا كاذبا بالأهمية لهذه الأمور غير الهامَّة[1].

ويحتوي **المربَّع الرابع** على أمور غير هامَّة ولا مستعجلة[2]، ويسمَّى بـ«مربَّع الضياع»[3].

وإذا كان المربَّع الأوَّل لا يستغرق وقتا كبيرا، وأنشطة المربَّع الرابع تُتفادى من قبل من يخطِّط وقته، فإنَّ أغلب الوقت يُقضى في المربَّع الثالث، أي في **الطوارئ والأزمات**، بالرغم أنَّها لا تسهم كثيرا في تحقيق الأهداف، والنسبة تقدَّر ما بين 50 و70 بالمائة من الوقت، أمَّا المربَّع الثاني، والذي يعوَّل عليه في تطوير الكفاءة، فلا يستغرق سوى 10 بالمائة، وفي أحسن الأحوال يصل إلى 40 بالمائة.

والجدول[4] الموالي يظهر مدى الفرق في العمل ضمن المربَّع الثاني والثالث بين الشركات المتميِّزة والشركات العادية، أي بين الشركات الناجحة والشركات الأقل نجاحا:

	عاجل	غير عاجل
هام	**المربع 1** الشركات المتميِّزة: 20-25 %. الشركات العادية: 25-35 %.	**المربع 2** الشركات المتميِّزة: 65-80 %. الشركات العادية: 15 %.
غير هام	**المربع 3** الشركات المتميِّزة: 15 %. الشركات العادية: 50-60 %.	**المربع 4** الشركات المتميِّزة: أقل من 1 %. الشركات العادية: 2-3 %.

جدول الفروق في الاستجابة للطوارئ

(1) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص46-47. أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص88.

(2) أبو شيخة: **نفس المرجع**؛ ص89.

(3) كوفي وميريل: **نفس المرجع**؛ ص47.

(4) **نفس المرجع**؛ ص323.

وغنيٌّ عن البيان أنَّ نفس النسب يمكن تطبيقها في مستوى الأفراد والجماعات، مع فروق في الأرقام والمعدَّلات طبعا.

ولعلَّ العلاقة بين **الطوارئ والأزمات** وبين **الأولويات** هي علاقة تعاكس وتضاد، ترسم هندسيا على النحو الآتي:

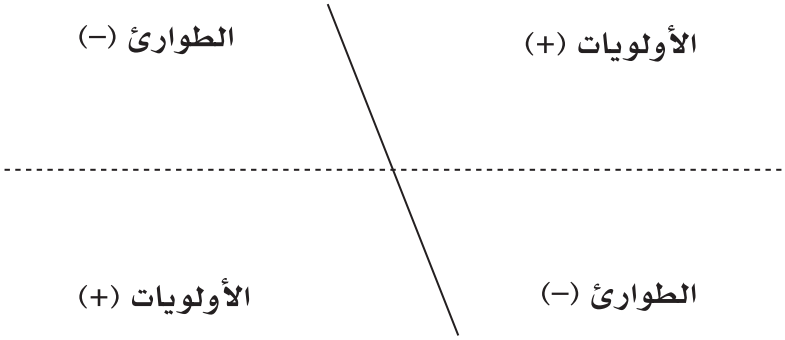

العلاقة بين الطوارئ والأولويات

فالذي ينتمي إلى الشقِّ الإيجابيِّ (+) يستجيب **للأولويات** والأهمية، **ويتحكَّم في الطوارئ والأزمات**، بما يسمَّى «تخطيط الطوارئ»[1].

أمَّا الذي يدخل ضمن الشقِّ السلبيِّ (−) فإنَّ زاوية الأهمية تتقلَّص عنده، وتكبر زاوية الطوارئ، وقد «يعتاد البعض منهج العيش يوميا على أساس معالجة الأزمات، إلى حدِّ أنَّ العيش بهذه الكيفية يصبح مصدرا للمتعة والطاقة»[2] عنده، وبالتالي يتحوَّل إلى «مدمن للطوارئ»[3].

وفي الحديث عن الطوارئ والأهمية **والأولويات** ترجع كلُّ الأبحاث إلى ما يسمَّى بـ«قاعدة 20/80» أو «قانون باريتو» وإلى قوانين أخرى مثل «قانون باركينسون»، و«قانون مورفي»، و«قانون المزرعة»... إلخ.

(1) ماكينزي: **مصيدة الوقت**؛ ص97-101.

(2) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص41.

(3) **نفس المرجع**؛ ص42.

ومن خلال هذه القوانين تبرز الدقَّة والتطوُّر الغربي في مجال **الأولويات**، وكيف أنَّها حوِّلت من مجرَّد موضوع وصفيٍّ إلى قوانين مضبوطة، تكاد تكون صادقة، ليس في مجال الإدارة فقط، ولكن في حياة الناس وتعاملهم مع الوقت عموما.

ولذا كان لزاما على الباحث أن يعرض على الأقل نموذجا واحدا، يدلِّل به على هذا الحكم، وليكن القانون المعروض أولا، هو أشهر هذه القوانين، وهو: **قانون باريتو**.

3. قانون «باريتو» أو قاعدة 80/20:

العالم الإيطالي «فلفريدو باريتو» «Vilfredo Pareto» خرِّيج جامعة «لوزان» بسويسرا، في مجال الاقتصاد، ترك عدَّة أبحاث منها: «مسار الاقتصاد السياسي» (1897)، و«النظام الاشتراكي» (1902)، و«تحليل علم الاجتماع العام» (1916) ، وهو صاحب نظرية طبَّق فيها «الطرق الإحصائية للعلوم الطبيعية في مجال العلوم الاجتماعية»[1].

وله نظرية أخرى مفادها أنَّ «جزءا صغيرا في مجموع الأجزاء، في معظم أعمال المؤسَّسة، يتسبَّب في القسم الرئيس في العمل، والتكاليف، والربح، والمعايير الهامَّة الأخرى (...) وتعرف كذلك بقانون **الكثرة التافهة والقلَّة الهامَّة**»[2].

ولقد بدأ هذا القانون في التطبيق في مجال الوقت وإدارته «كحلٍّ عمليٍّ لمشكلة جارية، في عام 1971»[3].

(1) ستانتون، ج.ب. جونيور: **كيف تتحكَّم في استخدام وقت العاملين**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال، تصدر عن الإدارة العامة للبحوث؛ محرر السلسلة: دايل تيمب؛ تر. د. وليد عبد اللطيف هوانة، مر. د. سعود بن محمد النمر؛ معهد الإدارة العامة، السعودية، 1411هـ/1991م؛ ص318.

(2) جونهاسن وروبرتسون: **معجم مصطلحات الإدارة**؛ ص106-107.

(3) ستانتون: **كيف تتحكَّم في استخدام وقت العاملين**؛ ص321.

وبيان هذا القانون أنَّ:

«80 % من القيمة تأتي من 20 % من العناصر.

وأنَّ 20 % من القيمة تأتي من 80 % من العناصر.

بمعنى أنَّ 80 % من الأنشطة تحقِّق 20 % من الأهداف.

و 20 % منها يحقِّق 80 % من الأهداف.

وأنَّ 80 % من مشكلات المدير تأتي من 20 % من الموظَّفين.

وأنَّ 80 % من الإنتاج تأتي من 20 % من خطوط الإنتاج.

وأنَّ 80 % من حجم المبيعات تأتي من 20 % من العملاء... إلخ»[1].

ومفاد ذلك إذا أسقطناه على مصفوفة الطوارئ والأهمية أنَّ:

20 % فقط من الوقت يصرف في المربَّع الثاني (هامٌّ، غير مستعجل) غير أنَّه يضمن 80 % من النتائج والنجاح.

وأنَّ 80 % من الوقت يكرَّس للطوارئ والمستعجلات، بينما هو منتج فقط لـ20 % من النتائج، في أحسن الحالات.

ومن الضروري على الإنسان أن يركِّز جهوده على الأقلية الهامَّة، لا على الأكثرية التافهة، إذا أراد أن يحقِّق لحياته ولمشاريعه نجاحا أكبر، وهنا تأتي قائمة **الأولويات** لتضع 20 % من الأهداف في المراتب الأولى، ومن ثمَّ تطوِّر الكفاءة والفعالية، وتضمن نجاحا أوسع وأوكد.

ويورد الكتَّاب الكثير من الوقائع التي تدلُّ على صدق هذه القاعدة، نذكر منها للتمثيل ما وقع لـ«وليم مور»:

" تخرَّج في الجامعة عام 1939، وعمل بائعا في شركة «جليدن» للدهانات، كان راتبه 160 دولارا شهريا، فوضع «مور» هدفه لبلوغ

(1) أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص90. معايعة: **إدارة الوقت**؛ ص44-45.

راتب ألف دولار شهريا، **بمجرَّد أن شعر أنَّه أتقن وظيفته**، جلس «مور» مع قوائم زبائنه ومبيعاته، وتوصَّل إلى تحديد الأهداف التي تؤثِّر في عمله بالضبط، وجد أنَّ حوالي **عشرين بالمئة** من زبائنه يشكِّلون **ثمانين بالمئة** من مبيعاته، كذلك أدرك أنَّه يقضي أوقاتا متساوية مع كلِّ زبائنه، بصرف النظر عن الكمية المشتراة.

ما فعله «مور» بعد ذلك هو أنَّه أعاد 36 من أقلِّ زبائنه نشاطا إلى الشركة، وركَّز على نسبة **العشرين في المئة** الأفضل من زبائنه، أصبحت قاعدة 20/80 معادلة سحرية، ماذا حصل؟

استطاع أن يصل إلى هدفه وهو 1000 دولار في الشهر، منذ السنة الأولى، وتجاوزه في السنة التالية، وواصل نجاحه ليصبح أكثر البائعين إنتاجا على الشاطئ الغربي، أصبح «مور» رجلا غنيا، ولم يتخلَّ عن قاعدته، وفي النهاية أصبح رئيس مجلس إدارة شركة «كيلي ـ مور» للدهانات[1]. "

ويمكن لأيِّ إنسان أن يطبِّق هذه القاعدة على **طريقة استخدامه للوقت**، فيلغي 80 % من الأعمال (أو الأهداف) التي لا تحقِّق له سوى 20 % من النتائج، سواء أكانت مادية أم معنوية، وهذا بعينه طريقة عملية للبحث عن الكيف على حساب الكمِّ[2].

وثمَّة قوانين أخرى مفيدة ودقيقة في مجال **الأولويات**، نذكر منها:

(1) جريسمان: **فن إدارة الوقت**؛ ص35-36.

(2) نحيل إلى إحدى الأولويات في فقه الأوليات، وهي «أولوية الكيف على الكمِّ» يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «من الأولويات المهمَّة شرعا: تقديم الكيف والنوع على الكم والحجم، فليست العبرة بالكثرة في العدد، ولا بالضخامة في الحجم، إنما المدار على النوعية والكيفية» انظر ـ **في فقه الأولويات**، ص34.

■ **1. قانون «باركينسون»** (*Parkinson's Law*)[1]: ومفاده «أنَّ العمل يمكن امتداده ليملأ الوقت المتوفِّر لإنجازه»، ولقد شرح هذا القانون في كتاب له يحمل هذا العنوان[2].

وتحديد الأوليات في أيِّ عمل كان، يوقف هذا الامتداد، ويوفِّر الوقت، ويقلِّل الجهد. ذلك أنَّ ضبط **الأولويات** يجعل نهاية العمل هي نهاية الوقت اللَّازم لذلك العمل، وليس العكس، أي أن يكون نهاية الوقت المقترح هو المؤذن بنهاية العمل، ويمكن فهم هذا القانون بتمثيل العمل بإسفنجة والوقت بكميَّة من الماء، والغالب في تلك الإسفنجة شرب ما يقدَّم لها من السائل، حتى ولو كان الحجم الكافي أقلَّ من ذلك.

■ **2. قانون «ليكليسياس»** ومفاده أنَّه «يوجد وقت لكلِّ، ووقت لكلِّ شيء»، واستيعابه يعني أن يركِّز الإنسان أو الإداري على **الأولويات**، حتى يتمكَّن من أداء كلِّ شيء مما له أهمية في حياته أو في عمله. والتذرُّعُ بنقص الوقت ليس حجَّة، بل هو هروب من التنظيم والدقَّة وإدارة الوقت إدارة حكيمة.

■ **3. قانون «كارلسون»**، يعني أنَّ «عملا متواصلا يأخذ أقلَّ من الوقت من نفس العمل في فترات متقطِّعة»، والعمل وفق **الأولويات** يضمن في كلِّ يوم مواصلة ما ينبغي مواصلته، وعدم الاستجابة لمصايد النشاط التي تجعل من الأعمال قطعا غير متناهية ولا مثمرة.

(1) Cruella et B., p.41.

هشام طالب: **تنظيم الوقت**؛ ضمن كتاب **الإنسان المعاصر**، كتاب دوري يصدر من مركز البيان الثقافي، بيروت؛ الكتاب الأول، (شتاء 1415هـ/1995م)؛ ص117.

(2) بدوي: **معجم مصطلحات العمل**؛ ص107.

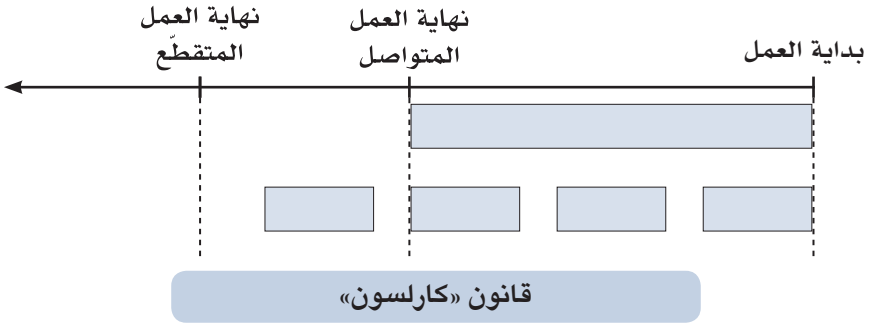

4. الأولويات والتأجيل:

يعبِّر المؤلِّفون في إدارة الوقت عن التأجيل[1] بعدَّة ألفاظ مترادفة منها: التسويف[2]، والتأخير[3]، والمماطلة[4].

ويعرَّف التأجيل من مدخل **الأولويات**، بأنَّه: «القيام بمهامَّ ذات **أولويات** منخفضة، بدلا من تلك ذات **الأولوية** العالية»[5]، وهو باختصار: الاختلال في ميزان **الأولويات**.

وترجع أسباب التأجيل إلى عدَّة أمور، توسَّع الكتَّاب فيها وفي سبل معالجتها، وسنكتفي بذكرها بعناوينها دون التفصيل، فهي:

1. عدم السرور والارتياح.

(1) والغالب هو استعمال هذا المصطلح، وانظر ـ ليستر: **إدارة الوقت، المرشد الكامل للمديرين**؛ ص122. بولدوين: **فنُّ التأجيل**؛ ص483. كولمان جين لندا، ونري، فرجينيا، كافاناه: **أساليب ناجحة لإدارة الوقت في المؤسسات الصغيرة**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال، تصدر عن الإدارة العامة للبحوث؛ محرر السلسلة: دايل تيمب؛ تر. د. وليد عبد اللطيف هوانة، مر. د. سعود بن محمد النمر؛ معهد الإدارة العامة، السعودية، 1411هـ/1991م؛ ص502...

(2) ماكينزي: **مصيدة الوقت**؛ ص206-218.

(3) فردربر، ج. تشارلز: **الوقت معضلة المدير التنفيذي**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال؛ ص75.

(4) جريسمان: **فن إدارة الوقت**؛ ص173.

(5) دوجلاس، إ. ميريل: **كيف تتغلَّب على التأجيل**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال؛ ص441.

2. صعوبة المشروع[1].

3. التردُّد[2].

هذا ما ذهب إليه «دوغلاس» أمَّا «فراند» فيقول: «تعود أسباب التأجيل إلى عدد كبير من الدوافع (...) وهذه بعض الدوافع الشائعة، كما يراها الخبراء[3]:

1. عدم الثقة بالذات.

2. قلَّة تحمُّل الإحباط.

3. محاولة الوصول للكمال»[4].

ويضيف «ماكينزي» إلى الأسباب المذكورة:

1. الكسل الذي يشبه الأعشاب سريعة النمو[5].

2. مشاعر الغضب، أو العداء تجاه الغير[6].

ويضيف «ليستر» من جهته:

1. حماية الصورة الذاتية.

2. انتظار الوقت الملائم[7].

---

(1) نفس المرجع؛ ص447.

(2) دوجلاس، إ. ميريل: **نفس المرجع**؛ ص451.

(3) فراند، ويليام: **ضع حدًّا للتأجيل**؛ سلسلة: فن وعلم إدارة الأعمال، تصدر عن الإدارة العامة للبحوث؛ محرر السلسلة: دايل تيمب؛ تر. د. وليد عبد اللطيف هوانة، مر. د. سعود بن محمد النمر؛ معهد الإدارة العامة، السعودية، 1411هـ/1991م؛ ص458.

(4) **نفس المرجع**؛ ص459.

(5) ماكينزي: **مصيدة الوقت**؛ ص207.

(6) **نفس المرجع**؛ ص208.

(7) ليستر: **إدارة الوقت، المرشد الكامل للمديرين**؛ ص 123. ويسميه أبو شيخة «الوقت المتاح»، **إدارة الوقت**؛ ص103.

3. الجهل بحقيقة الذات[1].

ويمكن أن ندرج ضمن هذه القوائم بعض الأسباب التي نلاحظها، وهي:

1. كثرة الأعمال وتشابكها.
2. العادة التي ينشَّأ عليها.
3. انعدام البرنامج الزمني.
4. العواطف والاعتبارات العارضة.

وحين يضع أيُّ إنسان قائمة للأعمال التي ينجزها في يومه، ثم لا يرتِّبها حسب **الأولوية**، فإنَّه غالبا ما يميل إلى أداء المهام غير الرئيسة، ولكنَّه بفعل حاجته الملحَّة إلى إتمام الأعمال الضرورية يتركها للموعد النهائيِّ، بل إنَّ الكثير من الناس يعترفون أنَّهم قد صاروا مدمنين على «الموعد النهائي»[2].

يستشهد «يوجين» بأبيات للشاعر الألماني «جوته» جاء فيها:

ما تستطيع أن تعمله، أو تحلم بأن تعمله، ابدأ به.

إنَّ الجرأة تحتوي على العبقرية، والقوة والسحر.

فقط ابدأ ويسخن العقل.

ابدأه، وسوف يكتمل العمل.

وإذا ساغ لي أن أذكر تجربة ذاتية ـ وإدارة الوقت كثيرا ما تتعامل مع التجارب الذاتية ـ فإنَّ عبارة وردت في كتاب «جريسمان» كانت السبب في تفرُّغي للدكتوراه، بعد أن كنت مشتتا بين عدَّة أهداف، ولم أستطع تحديد **الأولويات**، ولا أن أعرف حتى الفائدة الكبيرة لتحديد **الأولويات**. فلمَّا قرأت هذه العبارة كتبتها في الصفحة الخارجية من مذكِّرتي اليومية، وعملت وفقها، وهي:

(1) ليستر: **نفس المرجع**؛ ص123.

(2) وانظر ـ أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص102.

«إذا كنت طالب دراسات عليا، فاجلس، وأنه الأطروحة، لا تحاول أن تكتب أعظم أطروحة كتبت عن الموضوع على الإطلاق، فقط اعمل أفضل ما يمكنك عمله، وابدأ به الآن»[1] فبدأت وقد كنت من قبل أسوِّف وأؤجِّل، وحدَّدت هدفا واحدا هو: إنجاز الدكتوراه؛ وهكذا استفدت من هذه القاعدة عملا، قبل أن أستفيد منها علما.

5. الطرق العملية لبرمجة الأولويات:

يصعب أن نحصر كلَّ الطرق العملية التي تساعد المبرمج لوقته في التعامل مع **الأولويات**، ولقد أبدع في تفاصيلها وتطبيقاتها الباحثون في إدارة الوقت، وبخاصَّة الأمريكيين مثل: «ماكينزي»، و«جريسمان»، و«كوفي»، و«ميريل»، و«ليستر».. ذلك أنَّ الفكر الأمريكيَّ ـ كما هو معروف ـ فكر عمليٌّ، براجماتيٌّ[2]، بخلاف الفكر الفرنسيِّ النزَّاع إلى التعقيد.

ومن جملة الطرق التي رصدناها في هذه المصادر:

أ. طريقة الأشياء الستة الأولى التي يجب أن أعملها غدا[3].

ب. طريقة «أ ـ ب ـ ج» (A-B-C)، أو 1 ـ 2 ـ 3[4].

ج. طريقة المسارات (Diagramme).

د. طريقة المجالات الرئيسة[5].

هـ. طريقة الأدوار: المادية، والاجتماعية، والعقلية، والروحية[6].

(1) جريسمان: **فن إدارة الوقت**؛ ص176.

(2) وانظر ـ Hall, p.129-145.

(3) جريسمان: **فن إدارة الوقت**؛ ص37-38.

(4) Bhatia, ***Managing***, p.15. Hindl, ***Gérer***, p.20.

(5) لاين كريس: **التغلب على الوقت لتحقيق الأهداف**؛ ص353.

(6) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص111 وما بعدها.

وسنعرض بإيجاز هذه الطرق الأربع، مبتدئين بطريقة الأشياء الستة الأولى.

■ (أ) • طريقة الأشياء الستة الأولى:

يقول «جريسمان»: «تأكَّد من واجبات يومك مدوَّنة قبل أن يغيب الضوء»[1]، وهذا بالطبع يساعد على إراحة العقل طول الليل من رسالة مقلقة، هي: لا تنسَ، لا تنسَ... ويترك المجال والفرصة سانحة للتفكير في الحلِّ لا في الشيء ذاته، ويسهم في الالتزام.

ولقد نجحت هذه الطريقة في زيادة الإنتاج لشركة الفولاذ، التي كان يديرها «شواب»، وكذا لشركة «ماري كاي» لمستحضرات التجميل، حتى إنَّ هذه الشركة التي لديها 200000 مندوب مبيعات، تطبع الملايين من دفاتر الملاحظات الزهرية اللون، على رأس كلِّ ورقة توجد الكلمات: «**الأشياء الستَّة الأكثر أهمية التي يجب أن أعملها غدا**».

فهذه الطريقة باختصار تقضي بأن يجلس الإنسان ـ أو العامل ـ في آخر اليوم، ويضع جدولا به أهمُّ الأشياء التي سينجزها غدا، ويبدأ بها ضرورة.

■ (ب) • طريقة 1 ـ 2 ـ 3. أو «أ ـ ب ـ ج» (A-B-C).

لو رجعنا إلى مصفوفة الهامِّ والعاجل، والتي ترسم على الشكل[2] الآتي:

	مستعجل	غير مستعجل
هام	1	2
غير هام	3	4

مصفوفة الهام والعاجل

فإنَّ الخانة رقم (1) هي خانة (هامٌّ، مستعجل) تمثِّل الأولوية رقم (1).

(1) جريسمان: **فن إدارة الوقت**؛ ص37.

(2) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص46. أبو شيخة: **إدارة الوقت**؛ ص88.

والخانة رقم (2) هي خانة (هامٌّ، غير مستعجل) تمثِّل الأولوية رقم (2).

والخانة رقم (3) هي خانة (غير هامٍّ، مستعجل) تمثِّل الأولوية رقم (3).

والخانة رقم (4) هي خانة (غير هامٍّ، غير مستعجل) تمثِّل الأولوية رقم (4)[1].

فإذا كان للمبرمج ـ مثلا ـ أن يُعِدَّ برنامجه الأسبوعي، فالواجب عليه أن يضعه وفق هذه **الأولويات**، ويرسم الجدولين الآتيين:

الأهداف (ما أنوي تحقيقه مع نهاية الأسبوع التالي)
1-
2-
3-
4-
5-
6-

قائمة الأهداف وفق طريقة 1-2-3

ثم يرسم الأنشطة، على النحو الآتي:

الأنشطة المطلوبة لتحقيق الأهداف	الأولوية	الوقت المطلوب	اليوم
1-			
2-			
3-			
4-			
5-			
6-			

جدول الأنشطة وفق طريقة 1-2-3

(1) ليستر: **إدارة الوقت، المرشد الكامل للمديرين**؛ ص48. أبو شيخة: نفسه.

ويلغي كلٌّ من «كرويلا وبنايو» و«باتيا» خانة من هذه الخانات، ولذا يسمونها طريقة (A-B-C)، وهي على التوالي:

A- هام، غير مستعجل

B- هام، مستعجل

C- غير هام، غير مستعجل

■ (ج) • طريقة المجالات الرئيسة:

اقترح هذه الطريقة مدير المؤسسة الدولية لإدارة الوقت «كريس لاين» وهي أكثر تطورا من الطرق السابقة، وقد تفادت الكثير من المشاكل التي تنجم جراء تطبيقها، لأنها تتصف بالقسوة، ويقال عن تلك الطرق التقليدية إنها كارتيزية (Cartesiennes)، ولا تُدخل البعد الإنساني في الحساب.

ويعرِّف المجالات الرئيسية بأنها «تلك الأجزاء في عملك وفي حياتك الشخصية، التي تحتاج إلى التركيز عليها، حتى تحقِّق أهدافك»[1].

ويرسمها على النحو الآتي[2]:

وهذه المجالات تعمل على ضبط الأهداف، وتوزيعها بطريقة عادلة، فكتابة جملة من المجالات تحت خانة «**أهداف العمل**»، وجملة أخرى تحت خانة «**مجالات الحياة**»، يسمح باعتبارها جميعا حين وضع البرنامج. أمَّا عند عدم كتابتها ـ وهو حال الطرق الكلاسيكية ـ فيعرِّض المبرمج إلى إغفال جوانب هامَّة من حياته.

■ (د) • طريقة الأدوار

وهي طريقة قنَّن لها «كوفي وميريل»، وتنطلق من نفس المبدأ الذي تنطلق

(1) لاين كريس: **التغلب على الوقت لتحقيق الأهداف**؛ ص353.

(2) **نفس المرجع**؛ ص354.

منه طريق المجالات، «فهناك حاجات أساسية هامَّة في حياة الإنسان، وهذه الحاجات إن لم يشبعها تصبح الحياة فارغة وناقصة»[1].

فتقسِّم الحاجات إلى: حاجات مادية، وحاجات اجتماعية، وحاجات عقلية، وحاجات روحية.

فيعمل المبرمج على وضع أهدافه بناء على هذه الحاجات، التي تقوم بدور الموجِّه، ضامنة نوعا من التوازن بين أدوار الحياة، دون طغيان جانب على حساب جانب آخر.

وقريبا من هذه الطريقة طريقة «روبنز»[2] التي تقوم على ما أسماه بالمواقع، عوض المجالات الرئيسة عند «لاين»، والحاجات عند «كوفي وميريل»، وهذه المواقع حسب تقديره هي:

1. أهداف النمو الشخصي.
2. أهداف العمل (المسار الوظيفي، الأهداف الاقتصادية...).
3. أهداف المغامرة واللعب.
4. أهداف المساهمة في مساعدة الآخرين.

وللوصول إلى تحقيق هذه الأهداف يقوم المبرمج بانتقاء أولى الأهداف من كلِّ موقع، ليصل أخيرا إلى معرفة أهدافه العامَّة.

بهذا العرض نكون قد تبيَّنَّا مدى الدقَّة والتنوُّع في التعامل مع **الأولويات** في المصادر الغربية، حتى إنَّ مثل هذه الجداول أدرجت في حياة الإنسان الغربيِّ، وصارت تشغل جزءا من يومه، وأسبوعه، وشهره، وسنته، وعمره... ولم تبق رهن التنظير والتدليل.

فماذا عن المصادر والمراجع الإسلامية؟ وماذا عن واقع الإنسان المسلم

(1) كوفي وميريل: **إدارة الأولويات**؛ ص57.

(2) روبنز: **أيقظ قواك الخفية**؛ ص341.

تجاه **الأولويات؟**

هذا ما سيجيب عنه المبحث الموالي، الذي يعالج **الأولويات** كأصل من أصول البرمجة الزمنية، من خلال الفكر الإسلامي.

المبحث الثاني

الأولويات من خلال الفكر الإسلامي

لا يقتصر الحديث عن تحديد **الأولويات** على مجال البرمجة الزمنية فحسب، بل إنَّه صار مرتبطا بالعديد من العلوم والفنون، فهو إجراء عمليٌّ، وخطوة منهجيَّة، قبل أن يكون معارف ومعلومات معيَّنة.

والبحث عن **الأولويات**، بعامَّة في الفكر الأسلامي، يقود إلى جملة من العلوم منها: علم العقيدة، وعلم الفقه وأصوله، وعلم الأخلاق وروافده... مما يرشِّح هذه الدراسة ـ أو الدراسات ـ إلى أن تتحوَّل في المستقبل القريب إلى علم[1] قائم بذاته، له وسائله وآلياته، ويمتلك مناهجه ومصطلحاته.

يقول الدكتور العلواني: «ولذلك فإنَّ من **فقه الأولويات**، **وفكر الأولويات**، أن نؤصِّل لِما يمكن تسميته **بعلم الأولويات**، إن صحَّ التعبير. فإنَّ إدراك **الأولويات** لم يعد ممكنا من خلال مدخل معرفيٍّ واحد، أو تخصُّص واحد، بل لا بدَّ من مقاربته من مداخل عديدة، وتخصُّصات مختلفة»[2].

ولعلَّ هذا الفصل هو مقاربة **للأولويات** من مدخل زمنيٍّ، ذلك أنَّه بناء على

(1) يوصف العلم بأنَّه «جهد إنساني عقليٌّ منظَّم، وفق منهج محدَّد في البحث، يشتمل على خطوات وطرائق محدَّدة، ويؤدِّي إلى معرفة عن الكون والنفس والمجتمع، يمكن توظيفها في تطوير أنماط الحياة وحلِّ مشكلاتها» انظر ـ عودة، أحمد سليمان، وملكاوي، فتحي حسن : **أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية، عناصر البحث ومناهجه والتحليل الإحصائي لبياناته**؛ مركز بيضون للكمبيوتر، جامعة اليرموك، الأردن، ط2: 1413هـ/1992م؛ ص5.

(2) الوكيلي: **فقه الأولويات، دراسة في الضوابط**؛ مقدَّمة الدكتور العلوني، ص. ر.

مطالعات متواصلة، لم نهتد إلى أيِّ بحث أو رسالة، أو حتى فقرة صريحة تنبِّه إلى إسقاط **الأولويات** كما هي في الفكر الإسلاميِّ على مجال إدارة الوقت، أو الحكم على أولويات إدارة الوقت قياسا على ضوابط **الأولويات** في الفقه والفكر الإسلاميين.

ومن الغريب حقاً أن تظهر في أواخر القرن الماضي ثلاثة كتب، من مدخلين مختلفين تماما، كلُّها تعنى **بالأولويات** أساسا، وهي حسب ترتيب ظهورها:

1. إدارة **الأولويات: الأهمُّ أوَّلا**، لـ «كوفي ستيفن ورجير ميريل»، سنة 1993م.
2. فقه **الأولويات**، دراسة في الضوابط، لمحمد الوكيلي، سنة 1997م.
3. في فقه **الأولويات**، للدكتور يوسف القرضاوي[1]، سنة 1999م.

أمَّا الكتاب الأوَّل فيندرج ضمن كتب إدارة الوقت، وهو يستمدُّ من الفكر الغربيِّ ركائزه وأسسه، وأمَّا الكتابان الثاني والثالث فهما من عمق الفكر[2] ـ بل الفقه[3] ـ الإسلاميِّ، منهجا وموضوعا.

من هنا تأتي المفارقة الهامَّة والمثيرة:

فمن جهة، تبلور عبر تاريخ الفكر الإسلاميِّ اهتمام **بالأولويات**، ظهرت

(1) القرضاوي، يوسف: **في فقه الأولويات، دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنَّة**؛ مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1: 1420هـ/1999م.

(2) عرَّفنا الفكر الإسلامي في الفصل الأول من هذا البحث، بأنَّه: «المحاولات العقلية لفهم الإسلام وشرحه من مصادره الأصلية (القرآن الكريم، والسنَّة الصحيحة)، سعيا للانسجام مع كلِّ ما خلق الله، في تسليمه واستسلامه التامِّ لله» وانظر ـ ص23.

(3) أمَّا الفقه فيعرَّف لغة بأنَّه: العلم، والفهم. وأمَّا اصطلاحا فهو: «العلم بالأحكام الشرعية العملية، المستنبطة من أدلَّتها التفصيلية» مع اختلاف في التعاريف بين المذاهب والفقهاء واللغويين. الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الشافعي (ت. 794هـ/1391م): **البحر المحيط**؛ (الأصلية: دار الكتبي) طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ج1/ ص33-34.

إرهاصاته مع «فقه الموازنات»، و«فقه المقاصد»[1]، ثم انتهى بإنشاء «**فقه الأولويات**»، متمثِّلا في المرجعين المذكورين[2].

ومن جهة ثانية، عرف الفكر الغربيُّ اهتماما خاصاً **بالأولويات**، انتهى بإبراز مجال دقيق هو: إدارة **الأولويات**، متمثِّلا في الكتاب الأوَّل.

غير أنَّ الإفادة من «**فقه الأولويات**» ومن «**إدارة الأولويات**» سويًّا، لم تتحقَّق بعد، بل إنَّه لم يفكَّر فيها مجرَّد التفكير، وذلك بسبب القطيعة والهوَّة التي تفصل بين العالم الإسلاميِّ والعالم الغربيِّ، إلى حدِّ اليوم. وأخطر من ذلك ما يعرف بالمقولبات «*Stereotypes*» التي تحكم على مثل هذا الاتصال بين العلوم بالفشل، من أوَّل وهلة، إلَّا ما شذَّ.

ففي مقاربتنا هذه سنحاول ـ مجرَّد محاولة ـ أن نشرع في الاستفادة من «**فقه الأولويات**» و«**إدارة الأولويات**» للبحث في **الأولويات**، وهذا الجهد التأصيليُّ يمرُّ بخطوات منهجية أساسية:

فبيِّنٌ أنَّ الحديث عن **الأولويات** في الفكر الغربيِّ قد مرَّ بنا في المبحث الأوَّل من هذا الفصل، ويبقى أن نلج مباشرة إلى الخطوة التالية، وهي:

- عرض **الأولويات** في الدراسات الزمنية الغربية.
- عرض **الأولويات** في الدراسات الزمنية الإسلامية.
- عرض لفقه **الأولويات**.
- محاولة **للتأصيل**.

(1) انظر ـ القرضاوي: **في فقه الأولويات**؛ ص27-40.

(2) يسجَّل هنا للأسف، أنَّ الدكتور القرضاوي لم يطلع على كتاب الوكيلي، فاعتبر عمله أول جهد مستقل في هذا المجال الجديد (ص5-40)، كما أنَّ الوكيلي يقرِّر بأنَّ هذا الموضوع «لم يفرد بالدراسة من قبل» (ص4) رغم كون القرضاوي هو الممهِّد له في العديد من بحوثه ودراساته.
ويا حبذا لو أن الأستاذ الوكيلي اتصل بالشيخ القرضاوي، أو أرسل إليه نسخة من بحثه بعد طبعه، إذن لتفادينا الكثير من الهدر في الجهود والطاقات.

أولا الأولويات في البرمجة الزمنية، من خلال الدراسات الإسلامية:

سبق وأن عرَّفنا تحديد **الأولويات** بأنَّه «**تقديم عمل على عمل في البرنامج الزمنيِّ، بناء على الأهداف المسطَّرة، والغايات المحدَّدة**»[1]، وقد يعني تقديمَ هدف على هدف، غير أنَّ الغايات لا تدخل في هذا الإجراء، فهي ثابتة لا تتغير، ومن طبيعة **الأولويات** أنَّها تتعامل مع المتغيِّر والمتزمِّن.

من خلال هذا التعريف نضبط قاعدةً للحكم على مرجع ما: هل اعتنى **بالأولويات**، أم لا؟ وما هي الإيجابيات والسلبيات؟

أمَّا القرضاوي فينبِّه تحت عنوان «تنظيم الوقت» إلى أنَّه «ينبغي للإنسان المؤمن أن ينظِّم وقته بين الواجبات والأعمال المختلفة، دينية كانت أم دنيوية، حتى لا يطغى بعضها على بعض، ولا يطغى غير المهمِّ على المهمِّ، ولا المهمُّ على الأهمِّ، ولا غير الموقوت على الموقوت. فما كان مطلوبا بصفة عاجلة يجب أن يبادر به، ويؤخَّر ما ليس له صفة العجلة، وما كان له وقت محدَّد يجب أن يُعمل في وقته»[2].

ويلاحظ إذن أنَّه أشار إلى أهمية تحديد **الأولويات**، ووظَّف مصطلحات تستعمل كذلك في علم إدارة الوقت، وهي: المهمُّ، والأهمُّ، والموقوت، والعجلة... غير أنَّه لم يوظِّف مصطلح **الأولوية**، ولم يتوسَّع أكثر في مقاييس معرفة الأهمِّ، ولا في طرق إنزالها في البرنامج اليوميِّ للمسلم، ولا في علاقتها بعادات زمنية مثل: الطوارئ[3]، والتأجيل[4]... ولا غرو، فالمنحى الذي انتهجه المؤلِّف هو الأسلوب الدعويُّ، الذي من أجله ألَّف كتابه.

وأمَّا أبو غدَّة فلا نقرأ له كتابة واضحة في **الأولويات**، ولقد تحدَّث عن «الوقت

(1) انظر أعلاه ـ ص130.

(2) القرضاوي: **الوقت في حياة المسلم**؛ ص18-19.

(3) انظر أعلاه ـ ص142.

(4) انظر أعلاه ـ ص150.

المناسب»، الذي هو عنوان في «إدارة الوقت»، ولكنَّه لم يتعرَّض **للأولويات**. فهو يصوغ هذا العنوان: «حسن توزيع عمل على ما يناسبه من الأوقات»، ويقول ضمنه: «ومما يحسن لفت النظر إليه، في شأن الزمن، أنَّ العمل العلميَّ ينزَّل منزلته من **الوقت الملائم له**، فمن الأعمال العلمية ما يصلح له كلُّ وقت وذهن، لخفَّته ويسر القيام به (...) ومن الأعمال العلمية ما لا يكتمل حصوله على وجهه الأتمِّ، إلَّا في الأوقات التي تصفو فيها الأذهان، وتنشط فيها القرائح»[1]. فبهذه الفقرة اقترب المؤلِّف من **الأولويات**، وكاد يذكرها، لكنَّه وقف عند هذا الحدِّ ولم يزد.

ويدرج عبد الستار نوير قاعدة «الاشتغال بأفضل الأعمال» في إطار القواعد العلمية للانتفاع بالوقت، والأفضلية هنا تعني **الأولوية**، ويفسِّر هذا المعنى في قوله: «ينبغي للعاقل أن يؤثر الاشتغال بأفضل الأعمال، وأهمِّها في حقِّه، بحسب وقته وظرفه، وأكثرها ملاءمة للمنهج والأهداف القريبة والبعيدة، التي رسمها لنفسه، فإنَّ هذا يعطيه عائدا أفضل بكثير مما لو أنفق الوقت في عمل دون ذلك»[2].

وهنا تبرز ضرورة «الملاءمة للمنهج والأهداف» وهو شرط أساس في بناء **الأولويات**، وتبرز «النتيجة المرجوَّة» كذلك في قوله: «يعطيه عائدا أفضل». ذلك أنَّ الأعمال ليست في مرتبة واحدة، بل «إنَّها تتفاوت تفاوتا كبيرًا في شرفها ونفعها»[3].

ويضيف لمفهوم المهمِّ والأهمِّ مثالا واضحا، يقارن فيه بين وظيفين أحدهما هامٌّ والآخر أهمُّ، والنتيجة تكون حتما مختلفة، فيقول: «ولنا أن نعتبر في ذلك بصائغ الذهب والعطَّار، فإنَّ الأوَّل قد يربح في صفقة واحدة مع الراحة أكثر مما يربحه الثاني في أيام كثيرة، مع التعب والإرهاق»[4] وكذلك يقال عن الأعمال

(1) أبو غدَّة: **قيمة الزمن عند العلماء**؛ ص100-101.

(2) نوير: **الوقت هو الحياة**؛ ص136.

(3) نوير: **الوقت هو الحياة**؛ ص136.

(4) **نفسه**.

بمختلف أنواعها، فمنها الهامُّ ومنها الأهمُّ.

ثم يستدلُّ نوير بآيات وأحاديث ونصوص تراثية، في أفضلية الأعمال، ويشير إلى أنَّ البرنامج اليوميَّ يساعد على معرفة الأفضل. غير أنَّه عوض أن يبيِّن المنهج والطريقة العملية، عمد إلى تعليق القضية في مستوى يبعث على الفشل من أوَّل وهلة، وذلك بقوله: «ومهما يكن فتعيين الأفضل من الأعمال للشخص نفسه، أو لغيره، أمرٌ بالغ الدقَّة، ويتطلَّب فقها عميقا في الدين، وبصرا قويا بالنفس وبالحياة، وقد يقتضي مع ذلك استفتاء أو مشاورة أهل العلم والخبرة الراسخين»[1].

فعوض أن يدفع بهذه الممارسة ـ تحديد **الألويات** في البرنامج اليوميِّ ـ إلى إمكانية التكوين، ويقترح طرقا ومناهج ووسائل تمكِّن كلَّ إنسان من العمل وفقها، انساق وراء الأسلوب المغلَق، والطرح المثالي المعجِز. هذا الأسلوب الذي يعني أنَّه ما لم يتوفَّر راسخون في العلم، فسيبقى المسلم ينتظر، ولا يستطيع فعل أيِّ شيء، ولا برمجة أيِّ عمل من أعماله اليومية، بل وحتى معرفة **أولوياته** المتجدِّدة والمتطوِّرة.

وبنفس هذا الطرح المتميِّز في المحتوى، والمحتشم في المنهج والكيفية، يتعرَّض الدكتور نوير لهذا الموضوع تحت عنوان «النظام اليومي» مذكِّرا أنَّ هذا البرنامج اليوميَّ «هو الذي يعرِّف المرء بأفضل الأعمال»[2] ثم يستشهد بنصٍّ للدكتور محمد عبد الله دراز، وبآخر للسيد سابق.

ويعدِّد رضا علوي في كتابه «كيف تستثمر أوقاتك؟» أربع قواعد هامَّة في تنظيم الأوقات والأعمال، وهي:

1. برمجة الأعمال[3].

(1) **نفس المرجع**؛ ص138.

(2) **نفس المرجع**؛ ص108.

(3) رضا علوي: **كيف تستثمر أوقاتك**؛ ص152.

2. لا تؤجِّل عمل اليوم إلى الغد[1].

3. الأهمُّ فالمهمّ.

4. اختيار الوقت المناسب.

ويتعرَّض **للأولويات** ضمن القاعدتين الثانية والثالثة، ففي الثانية التي تعنى بالتسويف والتأجيل، ذكر من أسباب «تأجيل عمل اليوم إلى الغد (...) الازدحام الذهنيَّ بالأعمال لدرجة لا يُدرى معها أي عمل يقام به، والاستهانة بالعمل وقيمته» أي فقدان ميزان **الأولويات**.

أمَّا القاعدة الثالثة، فيبدأ في تحليلها بمقولة للإمام علي كرَّم الله وجهه، وهي: «من اشتغل بغير المهمِّ ضيَّع الأهمَّ»، ثم ذكر أنَّ هذه القاعدة تدعى بـ«قاعدة سلِّم **الأولويات**»، ويصنِّف الأعمال إلى ثلاثة أصناف، هي:

1. عمل أكثر ضرورة.

2. وعمل ضروري.

3. وعمل أقل ضرورة

ومن حيث الأهمية يصنِّفها إلى:

1. أهم.

2. ومهم.

3. وعادي.

ثم يقول: «وما بين كلِّ مستويين من الأعمال هناك أيضا درجات»[2].

ولا ينسى المؤلِّف أن ينوِّه بالفائدة المرجوَّة من خلال مراعاة هذه القاعدة، فبها «يتمكَّن المرء من التحكُّم في أوقاته، وتنظيم أعماله، وأدائها بحكمة

(1) **نفس المرجع**؛ ص158.

(2) رضا علوي: **كيف تستثمر أوقاتك**؛ ص161.

ونجاح، بينما الخطأ أن نجد قسما من الناس لا يجيد فنَّ استعمال هذه القاعدة (...) فتُصاب أعماله بالارتباك، وربَّما بالشلل والعطل».

وبعدها يعدِّد أربعة أمثلة من عدم مراعاة **الأولويات**، ويركِّز بخاصَّة على اشتغال المرء «بأداء المستحبَّات على حساب الواجبات، كأن يسهر الليل راكعا ساجدا لله، وينام، وتفوته صلاة الفجر الواجبة»، ويعود مرَّة أخرى إلى الإمام عليٍّ رضي الله عنه لينقل عنه قوله: «إذا أضرَّت النوافل بالفرائض فاتركوها»[1]، ويسوق قصَّة واقعية عن «رجل آثر زيارة قبر الرسول الأعظم ﷺ على تمريض وإيناس صاحبه المريض (...) فقال له الإمام الصادق عليه السلام[2]: بقاؤك مع صديقك تمرضه ويؤنس بك، **أفضل** عند الله سبحانه وتعالى من زيارتك لقبر رسول الله ﷺ، مع أنَّ ثواب زيارة الرسول **عظيم** وكبير»[3].

فنلاحظ من خلال ما تقدَّم أنَّ رضا علوي اعتنى أكثر من غيره **بالأولويات**، واستطاع أن يربطها بالتسويف والتأجيل، كما تمكَّن من تصنيف الأعمال إلى ثلاث درجات، وضبط فائدة مراعاتها، ثم ساق أمثلة للذي يفتقد هذا السلَّم... وفي جميع ذلك وظَّف مصطلحات زمنية، واستعمل أسلوبا واضحا، وساق أدلَّة من مقولات الإمام عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هي من عمق إدارة الوقت.

وأهمُّ من ذلك إشارة المؤلِّف إلى الواجب والمستحبِّ، في مقام البرمجة، وهذا بعينه الخطوة الأولى نحو التأصيل، وإن لم يتوسَّع أكثر، ولم يحدِّد معالم هذا الربط بين **الأولويات** في إدارة الوقت، و**الأولويات** في الفقه... فبقي الجهد

(1) **نفسه**.

(2) هو الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو عبد الله المدني الصادق (ت. 148هـ/760م): تابعي روى الحديث، ودعا إلى التدوين، وتخرَّج على يديه الكثير من العلماء الأعلام، منهم الإمامان أبو حنيفة ومالك. سمي بالصادق لأنَّه لم يعرف عنه الكذب أبدا. إليه ينسب المذهب الجعفري، وهو سادس الأئمة الشيعة الإثنى عشرية. ترجم له أغلب المؤلِّفين في الرجال، انظر مثلا ـ السيوطي: **طبقات الحفَّاظ**؛ ج1/ص79. ابن العماد العَكري: **شذرات الذهب**؛ ج1/ص235.

(3) رضا علوي: **نفس المرجع**؛ ص162.

في مستوى الإشارة والتلميح، بعيدا عن التقنين والتصريح.

هذا عن رضا علوي، أمَّا الخالديُّ فقد وضع عنوانين في موضوع **الأولويات**، هما: «ترتيب **الأولويات**»[1]، و«أسس في ترتيب **الأولويات**»[2]. وكان غاية في الوضوح حين بيَّن أهمية ترتيب **الأولويات**، فقال: «على صاحب العلم أن يحسن النظر إلى العلم والتحصيل، وأن يحسن ترتيب **الأولويات**، فلا تختلط عليه الأمور، ولا تلتبس عليه الحقائق، لا يقدِّم المهمَّ على الأهمِّ، ولا يقدِّم الفرع على الأصل، ولا يتشاغل بالهامشيات والشكليات عن الأصول والأساسيات»[3].

ويزيد المؤلِّف توضيحا أكثر في الموضوع، بعرضه لستِّ خطوات تعين على ترتيب **الأولويات**، وهي:

1. البدء بالأهمِّ فالأهمِّ، وتقديم الأهمِّ على المهمِّ.
2. البدء بالأصول الأساسية في حقول وميادين العلم الشرعي.
3. تقديم الواجبات على السنن والنوافل.
4. الانطلاق من الأصلين الأساسيين: القرآن والسنة.
5. توطين النفس على الإقلال من مما هو مباح، وترك التوافه.
6. التنوع النافع في الزاد العلميِّ، وحسن ترتيب الفقرات العلمية[4].

فهذه الخطوات بعضها عمليٌّ والبعض الآخر فكريٌّ، وهي تحمل إشارة إلى فقه **الأولويات**، دون التصريح المباشر.

ومع ذلك يُعْرَف للخالديِّ ولرضا علوي قبله فضلُ السبق في هذا المنحى الأولويِّ، والاثنان يُظهران قدرة على التعمُّق في هذا المجال، مجال **الأولويات**

(1) الخالدي: **الخطَّة البرَّاقة**؛ ص104.

(2) **نفس المرجع**؛ ص105.

(3) **نفس المرجع**؛ ص104.

(4) **نفس المرجع**؛ ص105 (بتصرف).

وتأصيلها.

ويعنون ياسين العاملي أحدَ فصول بحثه بـ«قيمة الزمن عند الإنسان»، فيدرج ضمنه فقرة عن تنظيم الوقت، والمراد به «الاستفادة التامَّة من الوقت المتاح، من أجل القيام بالعمل»[1]، وهذا يستلزم عدَّة خطوات، ذكر منها:

- تقسيم الوقت حسب **الأولوية** في العمل اليومي.
- ترك وقت للراحة والهواية الحرة وللعائلة، وهنا ينبغي تذكُّر القاعدة التي أطلق عليها «مبدأ باريتو» وهي «أنَّ إعطاء 20 % من النشاط الحيويِّ وبكفاءة، يحقِّق 80 % من النتائج»[2].

ولا يُخفي العاملي اعتماده في هذه المعلومات على مرجع واحد متخصِّص في إدارة الوقت، هو: «الدليل المساند في فنِّ **إدارة الوقت**»، إعداد مركز نماء للدراسات الإنسانية، تهذيب ومراجعة الدكتور محمد أكرم عدلوني. ولذا فإنَّ ما جاء به العامليُّ لا يعدو أن يكون استفادة بسيطة من **إدارة الوقت**، ولا يمكن إدراجه ضمن الأعمال التأصيلية.

ويشفع للعامليِّ أنَّه استدرك بفقرات استقاها من كتابه «الخطوات العامَّة لبنية الفرد المسلم» ذكَّر فيها بما يسمَّى بـ«الوظائف» وهي شبيهة بالأدوار كما عرضها «كوفي وميريل»[3]، إذ على الرجل أن «لا ينسى أنَّ له وظائف عدَّة (...) فهو من جهة ربُّ الأسرة (...) وهو زوج وهو صديق (...) وهو المضيِّف لزواره (...) وهو الجار (...) وهو ابن الوطن (...) وهو من جهةٍ عبد لله، وهي من أدقِّ الوظائف (...) والرجل الناجح هو الذي نظَّم حياته، وكان على قدر كلِّ موقع، فلم يقدِّم وظيفة على حساب أخرى»[4]، وبنفس هذا التفصيل في وظائف الرجل،

(1) العاملي: **الوقت هو الحياة**؛ ص99.

(2) **نفس المرجع**؛ ص100.

(3) انظر أعلاه ـ ص199.

(4) العاملي: **نفس المرجع**؛ ص100-103.

فصَّل وظائف المرأة، وهي: زوجة صالحة، ومديرة البيت، ومربية، وطبيبة نفسانية، وابنة الوطن، والعابدة لله... إلخ[1].

ولكن يبقى ذكر هذه الوظائف ـ على خلاف «كوفي» ـ مجرَّد سرد نظريٍّ يفتقد الجداول والتطبيقات، وتعدمه الأمثلة والنماذج من الواقع اليوميِّ للمسلم. وهذا ما يعيب الدراسات الإسلامية المعاصرة عموما، ذلك أنَّ أغلبها بقي رهين الوعظ والتوجيه، ولم يغادره إلى التطبيق العمليِّ[2].

ويكتفي غرايبة في دراسته المقارنة بين الفكر الإسلاميِّ والفكر الوضعيِّ، بالإشارة إلى امتلاك الفكر الغربيِّ لـ«ذخيرة هائلة من تقنيات وأساليب تنظيم الوقت (...) بينما لم يمتلك الفكر الإسلاميُّ مثل تلك الذخيرة»[3]. ولا شكَّ أنَّ من أبرز التقنيات التي يشير إليها، ما يُعرف بإدارة **الأولويات**.

وآخر الأعمال التي تحمل إشارات إلى **الأولويات** ـ من بين الدراسات الإسلامية ـ بحث اليبرودي، في التربية الإسلامية، فهو يصوغ عنوانا جاء فيه: «مراعاة التدرج وتقديم **الأولويات** في طلب العلم»[4]، ولا يخرج من دائرة التنويه بأهمية تحديد **الأولويات**، فمما جاء فيه: «ينبغي لطالب العلم، وهو يخطِّط وينظِّم وقته، أن يعي تماما **الأولويات** في طلب العلم، فيتدرَّج في تقديم الأهمِّ

(1) **نفس المرجع**؛ ص103-104.

(2) طالِع نفس هذا الحكم عند سويدان، عن موضوع «التغيير» الذي طوَّره الغرب، ليصبح علما قائما بذاته، وتطبيقات عملية في مجال الاقتصاد، وعلم النفس، وعلم الاجتماع... غير أنَّه لم يبرح الوعظ والإرشاد في الفكر الإسلامي المعاصر، رغم جذوره المتينة في المصادر الشرعية والتراث الإسلامي. سويدان، طارق : **كيف تغير نفسك**؛ قرص مدمج، وشريط فيديو.
وطالع الكرَّاسة العملية، سويدان، طارق: **كيف تغيِّر نفسك؟ التخطيط الاستراتيجي للذات**؛ شركة الإبداع الخليجي، السعودية؛ 1419هـ. فهي محاولة للخروج من هذا المأزق، ويأمل الباحث أن يتطوَّر التأهيل بيد مراكز متطورة، كما تطور فن التغيير والتفكير الاستراتيجي بيد الدكتور سويدان، ومراكز أخرى للإبداع.

(3) غرايبة: **أهمية الوقت**؛ ص43.

(4) اليبرودي: **قيمة الوقت**؛ ص75.

على المهمِّ في مخطَّطه، ليسلم من ضياع الأوقات».

بعد هذا العرض نأتي إلى تحديد الإيجابيات والسلبيات فيما مرَّ معنا من الدراسات الزمنية الإسلامية، وهذا في محور الأولويات طبعًا.

- **الإيجابيات والسلبيات:**

لا يمكن أن ننهي هذه القراءة التحليلية في الدراسات الإسلامية، قبل جرد جملة من الملاحظات السلبية، سواء على المراجع نفسها، أو على واقع المسلم المعاصر. أمَّا الإيجابيات فتتمثَّل في عمق الفكر الإسلاميِّ، وفي وضوح الرؤية التي يمنحها هذا الفكر، بناء على الأصول الثابتة من قرآن كريم وسنَّة صحيحة.

ومن **الإيجابيات** المسجَّلة كذلك للدراسات الإسلامية شروعها في الاهتمام بهذا الجانب: جانب **الأولويات**، مما أبرز إشارات مفيدة إلى ميزان الفقه في تحديد **الأولويات**، وأدخل مصطلحات جديدة مثل: الواجب، والمستحبِّ، والأصول، والفروع.. لأوَّل مرَّة في إدارة الوقت.

و**السلبيات** بعضها مشترك، وبعضها خاص بهذا الفصل. ومنها:

- لا توجد أيُّ دراسة أو بحث يجمع بين **الأولويات** في إدارة الوقت، و**الأولويات** في الفقه وأصوله.
- تعرَّضت المراجع والدراسات الإسلامية للأولويات **بطريقة مختصرة**، فلم تجد **الأولويات** عندها شكلا ومكانا بارزا.
- الغالب في المراجع **التنويه بالأهمية** وبالأثر الإيجابي لتحديد **الأولويات**، دون ضبط الجزئيات، وبناء التقنيات، في منهج واضح المعالم والخطوات.
- لا نطالع أيَّ خطوة عملية تطبيقية، يمكنها أن تساهم في **تعويد** الإنسان المسلم لتحديد **أولويات** برنامجه اليومي، لأنَّ المؤلَّفات تفتقد إلى الطرح المتخصِّص.
- **غياب الجداول** البيانية واضح وبيِّنٌ، فلم نطالع ولو جدولا زمنيا واحدا في

جميع هذه المراجع.

- لم تهتمَّ المراجع بالتمثيل بحياة وتجارب الناجحين، الذين وظَّفوا مبدأ **الأولويات** في برامجهم الزمنية.
- عدم التفريق بين **الأولويات** في الفكر والفقه، وبين **الأولويات** في الحياة اليومية.
- لم يتمَّ الربط بين عدم ممارسة **الأولويات**، وبين ضعف المسلمين اليوم، ولم يقترحوا حلولا يمكنها أن ترفع عنهم الضغط والتخلُّف، جرَّاء كثرة الأهداف وتشتُّتها، وجرَّاء العجز عن تنسيقها وترتيبها.
- أمَّا في واقع المسلمين ـ والواقع ضاغط على الفكر ـ فإنَّ مجرَّد تصوُّر موضوع **الأولويات**، حتى لدى المثقَّفين والعلماء، غيرُ وارد ولا مطبَّق في حياتهم اليومية، فلا نزال نعاني من ضغط الأعمال، ومن الاستجابة للطوارئ، ومن التسويف، ومن مراعاة الاعتبارات عوض **الأولويات**... إلخ.

لكلِّ ما تقدَّم يتعيَّن الاجتهاد في **تأصيل الأولويات**، ومن قبله **الغايات والأهداف**، وكذا خطوات أخرى في البرمجة الزمنية للمسلم، بغية الوصول إلى برمجة زمنية يمكن وصفها بأنها: إسلامية المبدأ، إسلامية المنتهى.

وفي هذا البحث إرهاصات، غير أنَّ العمل في حاجة إلى أعمال متكاملة متواصلة.

ثانيا الأولويات: بين فقه الأولويات وإدارة الأولويات

يعرِّف الوكيليُّ **الأولويات** بأنَّها «الأعمال الشرعية التي لها حقُّ التقديم على غيرها، عند الامتثال أو عند الإنجاز»[1]. ثم يقرِّر بأنَّ هذا المصطلح لم يعرِّفه أحد قبله.

أمَّا المصطلح المركَّب «**فقه الأولويات**» فقد عرَّفه القرضاوي بأنَّه «**وضع** كلِّ

(1) الوكيلي: **فقه الأولويات**؛ ص15.

شيء في مرتبته بالعدل من الأحكام والقيم و**الأعمال**، ثم يقدَّم **الأوْلى فالأوْلى، بناء على معايير شرعية صحيحة**، يهدي إليها نور الوحي ونور العقل ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾[النور: 35].

فلا يقدَّم غير المهمِّ على المهمِّ، ولا المهمُّ على الأهمِّ، ولا المرجوح على الراجح، ولا المفضول على الفاضل، أو الأفضل»[1].

ويحاول الوكيليُّ تحسين هذا التعريف، منتقدا على القرضاويِّ تطويله، وعدم مراعاته لضوابط التعريف، فيعرِّف فقه **الأولويات** بالتالي، على أنَّه: «**العلم** بالأحكام الشرعية التي لها حقُّ التقدُّم على غيرها، **بناءً على العلم** بمراتبها، وبالواقع الذي يتطلَّبها»[2].

ويبدو أنَّ تعريف القرضاوي كان أقرب إلى الطرح العمليِّ، فلقد تجاوز فيه صاحبُه مرحلة «العلم بالأحكام» إلى مرحلة «وضع الأشياء في مراتبها»، و«عدم تقديم المهمِّ على الأهمِّ»، و« المرجوح على الراجح»، و«المفضول على الفاضل». أي أنَّه أكثر ارتباطا **بالعمل والحركية**.

ولذا فإنَّنا نطمئنُّ في مجال بحثنا إلى تعريف القرضاوي، ونرجِّحه على تعريف الوكيلي.

أمَّا في مرحلة التأصيل الأُولى، والتي يحيل فيها الباحث إلى الآيات القرآنية، وإلى الأحاديث الشريفة، فإنَّ المتتبِّع لهذه النصوص الشرعية «يجد أنَّها قد وضعت أمامنا جملة معايير لبيان الأفضل والأوْلى والأحبِّ إلى الله، من الأعمال والقيم والتكاليف»[3].

وإذن فكان من الضروريِّ على الباحث في **الأولويات** من مدخل «إدارة

(1) القرضاوي: **في فقه الأولويات**؛ ص9.

(2) الوكيلي: **نفس المرجع**؛ ص16.

(3) القرضاوي: **في فقه الأولويات**؛ ص11.

الوقت» أن يرجع هو كذلك إلى النصوص القرآنية والحديثية[1]، ليعطي الموضوع بعدا أشمل وأحكم، وهذا ما لم يتِمَّ بعناية كافية في الدراسات الإسلامية التي عرضناها من قبل.

ومن الآيات القرآنية، نذكر قوله تعالى:

- ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴾[الأعراف: 145].
- ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[الإسراء: 53].
- ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ ﴾[الأحقاف: 16].
- ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[الملك: 2].

وأحسن العمل: «أخلص العمل وأصوبه»[2]، أو « أيُّكم أحسن عقلا، وأورع من محارم الله عز وجل، وأسرع في طاعة الله»[3].

ولا شكَّ أنَّ الاكتفاء بالواجب والفرض مجزٍ للإنسان المسلم، ولكنَّه مع ذلك مطالب «بالسعي نحو الأفضل والأكمل في كلِّ شيء، فهو مطالَب بمقتضاها باستفراغ جهده لتحقيق الأوْلى في عمله الدينيِّ والدنيويِّ معا»[4].

وأمَّا السنَّة النبوية فتسجِّل لنا العديد من الأحاديث التي جاءت فيها صيغ التفضيل: أفضل الأعمال، أحبُّ الأعمال إلى الله، خير دينكم، أفضل الجهاد... إلخ.

(1) انظر ـ الخطوة الثانية من خطوات التأصيل، أعلاه ـ ص22 .

(2) ابن القيم: **إعلام الموقعين**؛ ج2/ص124.

(3) ابن الجوزي: **زاد المسير**؛ ج4/ص79.

(4) الوكيلي: **فقه الأولويات**؛ ص49.

ففي صحيح مسلم: «**أفضل الأعمال أو العمل الصلاة لوقتها وبر الوالدين**»[1].

وحديث: «**الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال...**»[2]

أمَّا في سنن أبي داود فنقرأ أنَّ «**أفضل الأعمال الحبُّ في الله والبغض في الله**»[3].

وعن أحبِّ الأعمال نقرأ حديثا له علاقة وطيدة بالبرمجة، جاء فيه: «**عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النبي ﷺ كان يحتجر حصيرا بالليل، فيصلِّي عليه، ويبسطه بالنهار، فيجلس عليه، فجعل الناس يثوبون إلى النبي ﷺ فيصلُّون بصلاته، حتَّى كثُروا. فأقبل، فقال: يا أيها الناس، خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإنَّ الله لا يملُّ حتىَّ تملُّوا، وإنَّ أحبَّ الأعمال إلى الله ما دام وإن قلَّ**»[4].

وعند الإمام أحمد حديث: «**إنَّ خير دينكم أيسره، إنَّ خير دينكم أيسره**»[5].

---

(1) **رواه مسلم؛ كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال**؛ ج1/ص90، رقم 85؛ بسند: «حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الحسن بن عبيد الله عن أبي عمرو الشيباني عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: أفضل الأعمال...».

(2) **رواه مسلم؛ كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياه**؛ ج3/ص1501، رقم 1885؛ بسند: «حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن عبد الله بن أبي قتادة عن أبي قتادة أنه سمعه يحدث عن رسول الله ﷺ أنَّه قام فيهم فذكر لهم أنَّ الجهاد...»

(3) **رواه أبو داود؛ كتاب السنة، باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم**؛ ج4/ص198، رقم 4599؛ بسند: «حدثنا مسدد حدثنا خالد بن عبد الله حدثنا يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن رجل عن أبي ذر قال قال رسول الله ﷺ أفضل الأعمال...». إلاَّ أنَّ الألباني قال فيه: «حديث ضعيف»، وفي سنده يزيد بن أبي زياد، قال عنه ابن معين: «ليس بالقوي»، وقال ابن زرعة: «لين، يكتب حديثه ولا يحتجُّ به».

(4) **رواه البخاري؛ كتاب اللباس، باب الجلوس على الحصير ونحوه**؛ ج5/ص2201، رقم 5524؛ بسند: «حدثني محمد بن أبي بكر حدثنا معتمر عن عبيد الله عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة...».

(5) **رواه أحمد؛ مسند المكيين، حديث أعرابي**؛ ج1/ص350، رقم 15371؛ بسند: «حدثنا أبو سلمة الخزاعي قال أخبرنا أبو هلال عن حميد بن هلال العدوي سمعه منه عن أبي قتادة عن الأعرابي الذي سمع رسول الله ﷺ يقول...». وصححه الهيثمي في **مجمع الزوائد**، قال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح». ج1/ص61.

وروي عن أفضل الجهاد قول الرسول ﷺ: «**عن عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهادَ أفضلَ العمل، أفلا نجاهد؟ قال: لا، لكن أفضل الجهاد حجٌّ مبرور**»[1].

ولقد كان صحابة رسول الله ﷺ «حريصين كلَّ الحرص على أن يعرفوا الأوْلى من الأعمال، ليتقرَّبوا إلى الله تعالى به، ولهذا كثرت أسئلتهم عن أفضل العمل، وعن أحبِّ الأعمال إلى الله تعالى»[2].

ومن بين هذه الأحاديث التي نبَّهت إلى **الأولويات** ابتداء، أو بعد سؤال، نذكر للتمثيل:

- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ سئل: «**أيُّ العمل أفضل؟ فقال: إيمان بالله ورسوله. قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قيل: ثم ماذا؟ قال: حج مبرور**»[3].

- عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سألت النبي ﷺ: «**أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها. قلت: ثم أيٌّ؟ قال: ثمَّ برُّ الوالدين. قلت: ثمَّ أيٌّ؟ قال: ثمَّ الجهاد في سبيل الله. قال: حدَّثني بهنَّ ولو استزدته لزادني**»[4].

فهذه الآيات والأحاديث كأمثلة، تندرج فيما يمكن أن يستفيده علم الإدارة في

(1) **رواه البخاري؛ كتاب الحج، فضل الحج المبرور**؛ ج2/ص553، رقم 1448؛ بسند: «حدثنا عبد الرحمن بن المبارك حدثنا خالد أخبرنا حبيب بن أبي عمرة عن عائشة بنت طلحة».

(2) القرضاوي: **في فقه الأولويات**؛ ص10.

(3) **رواه البخاري؛ في كتاب الإيمان، باب من قال إنَّ الإيمان هو العمل**؛ ج1/ص18، رقم 26؛ بسند: «حدثنا أحمد بن يونس، وموسى بن إسماعيل، قالا: حدثنا إبراهيم بن سعد، قال: حدثنا ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ سئل...».

(4) **رواه مسلم؛ كتاب الإيمان، باب بيان أنَّ الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال**؛ ج1/ص90، رقم 85؛ بسند: «حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن الوليد بن العيزار، أنَّه سمع أبا عمرو الشيباني قال: حدثني صاحب هذه الدار وأشار إلى دار عبد الله، قال: سألت رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمال...».

تعامله مع **الأولويات**، من الفكر الإسلاميِّ، وبدونها تبقى إدارة **الأولويات** رهينة الطرح الغربيِّ الإنسانيِّ الضيق، ولا تأخذ بعدا شرعيا شموليا واسعا.

أمَّا إذا حاولنا أن ننقِّب عن العلاقة بين **الأولويات** كما عُرضت في الدراسة الزمنية، و**الأولويات** كما ضبطت في فقه **الأولويات**، فيبدو لنا أنَّ هذه العلاقة هي علاقة احتواء من جهة التعريف والموضوع، وهي علاقة تقاطع من جهة المنهج.

فإذا نظرنا إلى **الأولويات** من حيث التعريف والموضوع، فإنَّها في البرمجة الزمنية يمكن أن تندرج ضمن فقه **الأولويات**، في جانبه العمليِّ التطبيقيِّ اليوميِّ.

فمن حيث التعريف:

يلاحظ أنَّ تعريف القرضاوي الذي جاء فيه أنَّ فقه **الأولويات** يعني «**وضعَ** كلِّ شيء في مرتبته بالعدل من الأحكام والقيم و**الأعمال**، ثم يقدَّم **الأوْلى فالأوْلى**، بناء على معايير شرعية صحيحة (...) فلا يقدَّم غير المهمِّ على المهمِّ، ولا المهمِّ على الأهمِّ، ولا المرجوح على الراجح، ولا المفضول على الفاضل، أو الأفضل»[1]، يمكنه أن يحتوي التعريفَ الذي صغناه في بداية هذا الفصل، والذي يعني من تحديد **الأولويات** «**تقديمَ عمل على عمل في البرنامج الزمنيِّ، بناء على الأهداف المسطَّرة، والغايات المحدَّدة**»[2].

ويأتي الفرق من كون التعريف الأوَّل يشمل «الأحكام، والقيم، والأعمال»، أمَّا الثاني فيُعنى فقط «بالأعمال»، وقد يعنى كذلك بـ«الأهداف».

أمَّا الاختلاف الثاني فيكمن في أنَّ ممارسة **الأولويات** كما في فقه **الأولويات** تبنى على «معايير شرعية صحيحة»، أمَّا كما عرضناها في البرمجة الزمنية، فإنها تنبى على «الأهداف المسطَّرة، والغايات المحدَّدة»، ولا يخفى أنَّ الغايات هي «**معانٍ، غير متزمِّنة، متجاوزة، متعالية، مهيمِنة، وهي التي تحدِّد اتجاه الحياة**»، بل هي: «**وجهة الحياة**»، فما هي إلَّا المبادئ المستمِدَّة حقيقتها من القرآن

(1) القرضاوي: **في فقه الأولويات**؛ ص9.

(2) انظر أعلاه ـ ص172.

الكريم والسنة الشريفة، أي أنها بنيت على «معايير شرعية صحيحة»، فينتفي هذا الاختلاف الموهوم ابتداء.

ومن حيث الموضوع:

توصَّل علم «فقه **الأولويات**» إلى صياغة جملة من **الأولويات** «التي جاء بها الشرع، وقامت عليها الأدلَّة، عسى أن تقوم بدورها في تقويم الفكر، وتسديد المنهج (...) وحتى يهتدي بها العاملون في الساحة الإسلامية والمنظِّرون لهم»[1]، وتوصَّلت إدارة **الأولويات** كذلك إلى صياغة بعض القواعد، التي تقوم على التجربة والخبرة، وعلى المشاهدة والمعاينة.

من هنا احتاجت الإدارة إلى قواعد أكثر ضبطا، وإلى قوانين أبعد غورا، وأكثر فهما لحقيقة الإنسان، غرائزِه وعقلِه، وآمالِه وآلامِه، وخيرِه وشرِّه... وما دام الإنسان في إدارة الوقت هو الدارس وهو المدروس في آن واحد، فإنَّه يصعب أن يصل إلى هذا المستوى من الموضوعية، ولذا احتاجت إدارة الوقت، والبرمجة الزمنية بالذات، إلى هذه القوانين لتكون سندا لها، ولا تبقى حكرا على فقه **الأولويات**، وتكون منطلقا لكلِّ مسلم يسعى لتنظيم وقته، لا ضوابط تخصُّ الفقهاء في فتاويهم فقط.

ومن القواعد التي أحصيناها، والتي تعني الجانب العمليَّ[2]، ما يلي:

- **أولوية** الكيف على الكمِّ[3].
- **أولوية** العلم على العمل[4].

(1) القرضاوي: **نفس المرجع**؛ ص5.

(2) باعتبار أنَّ بعض القواعد تخص الفكر، وبعضها الآخر الفقه والفتوى، ومن الأولويات ما يعنى بالتراث، ومنها ما يوجه الحركات الإصلاحية... ومن هذه الأولويات ما يوجه العمل ويرشده، فهذه التي نعنيها.

(3) القرضاوي: **نفس المرجع**؛ ص43.

(4) **نفس المرجع**؛ ص59. الوكيلي: **فقه الأولويات**؛ ص107.

- **أولوية** العمل الدائم على العمل المنقطع[1].
- **أولوية** العمل المتعدِّي النفع على القاصر.
- **أولوية** العمل الأطول نفعا والأبقى أثرا[2].
- **أولوية** عمل القلب على عمل الجوارح[3].
- **أولوية** الفرائض على السنن والنوافل.
- **أولوية** الواجب المضيَّق على الواجب الموسَّع.
- **أولوية** حقوق العباد على حقِّ الله المجرَّد... إلخ.

ومن حيث المنهج[4]:

إذا نظرنا إلى **الأولويات** من حيث المنهج، فإنَّ فروقا جذرية تظهر، مما يختزل العلاقة بين الإدارة ـ أي الطرح الغربي ـ والفقه ـ أي الطرح الإسلاميِّ ـ إلى علاقة تقاطع في نقاط قليلة، وجُلُّ الجوانب والمجالات الأخرى مختلفة تماما.

ومن هذه الفروق، نذكر:

- أنَّ علم الإدارة حوَّل **الأولويات** إلى ممارسة عملية يومية دقيقة، أمَّا الفقه

(1) القرضاوي: **نفس المرجع**؛ ص105.

(2) القرضاوي: **في فقه الأولويات**؛ ص111.

(3) **نفس المرجع**؛ ص115. الوكيلي: **فقه الأولويات**؛ ص106.

(4) **المنهج أو المنهجية**: لها بعد شكلي إجرائي عملي، وبعد أعمق يعرّف بأنَّه «طريقة في التفكير، تتضمّن التصوُّر والتخطيط المسبق، والرؤية الكلية للعناصر». وانظر ـ ملكاوي، فتحي حسن: **المنهجية الإسلامية في البحث والتفكير**؛ محاضرة في الدورة التكوينية الإقليمية، حول البحث التربوي وتطبيقاته في الدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن، نيسان 2001، تنظيم: جامعة اليرموك، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي؛ ص4-5.
وباعتماد هذا المفهوم العميق للمنهج، يسوغ لنا أن نقول عن القرآن الكريم إنَّه «يتضمَّن بشكل لا يرقى إليه شك أصول المبادئ المنهجية العلمية، في البحث والتفكير» عودة وملكاوي: **أساسيات البحث العلمي**؛ ص9.

فجعل منها قواعد عميقة وشاملة.

- الفقه اعتنى أكثر بالتأصيل، أي الانطلاق من القرآن الكريم والسنة الشريفة، ومن التراثِ الإسلامي أحيانا، أمَّا الإدارة فمنطلقها الأساس هو الواقع، والملاحظة، والتجربة، وهدفها الأوَّل هو تغيير وتحسين ذلك الواقع.

- إذا كانت **الأولويات**، كما هي في الإدارة، رفدا للإنسان الغربيِّ في تطوُّره العلمي والتكنولوجي، وضابطا وموجِّها لبرنامجه الزمني في مختلف مستوياته، فإنَّها في الفقه لا تزال موضوعا يدرسه المهتمُّون بالعلوم الشرعية دون غيرهم من طلبة العلم، وأمَّا عامَّة الناس فهي أبعد ما تكون عن معرفتها، بله تطبيقها والعمل بها في البرمجة والتخطيط، في حالات الحركة والسكون، والفقر والغنى، والانتصار والانهزام، والعلم والعمل... إلخ.

- أنَّ الإدارة اهتمَّت بالكمِّ، والمادَّة، والربح، والزيادة في المتعة، والإنقاص من الألم... إلخ. ولذا فإنَّ النماذج الواقعية التي يحال إليها في فائدة **الأولويات**، هي نماذج تتحدَّث عن الأرقام، وعن الدولار، وعن الشهرة، والتوسُّع... أمَّا فقه **الأولويات** فقد اهتمَّ أكثر بالكيف، وبالروح، والأخلاق، وبالنفع الأخرويِّ الدائم، «وإذا كان امتداد النفع واتساع دائرته مكانا، مطلوبا ومفضَّلا عند الله ورسوله، فكذلك امتداده وبقاؤه زمانا، فكلَّما كان النفع به أطول زمنا، كان أفضل وأحبَّ إلى الله تعالى»[1].

- تفتقد **الأولويات** في الطرح الغربيِّ إلى وجهة واضحة وموحَّدة بين بني البشر، ويغلب عليها الذوق والتقدير البشريُّ الغربيُّ، بخلاف فقه **الأولويات** الذي يملك الوجهة، ويتَّصف بالشموليَّة وبالإنسانيَّة والسعة.. ذلك أنَّه مستمِدٌّ من الوحي أسسَه وضوابطه ومنهجه، والحقُّ أنَّه في غياب هذا المنهج يقع «خلط شديد بين ما هو ثابت وما هو متغيِّر، فكثير من المتغيِّرات حوَّلها

(1) القرضاوي: **في فقه الأولويات**؛ ص111.

طول الأمد والذيوع وكثرة التعاطي والمتعاطين ثوابت، وكثير من الثوابت حوِّلت إلى متغيِّرات، بدوافع وأسباب مماثلة»[1].

ثالثا المدخل العمليُّ للأولويات من خلال الفكر الإسلامي:

سبق وأن بينَّا في المبحث السابق أنَّ الفكر الغربيَّ صاغ جملة من الطرق للتعامل اليوميِّ مع **الأولويات**. وتوصَّلنا إلى أنَّ من السلبيات المسجَّلة على الفكر الإسلاميِّ المعاصر عجزه عن تبسيط البرمجة الزمنية وتطبيقها عموما، وللأولويات بصفة خاصَّة، ممَّا أحالها إلى علم تعنى به خاصَّة الخاصَّة من المشتغلين بالفقه وأصوله، دون غيرهم من الدارسين في المجالات الأخرى، ومن باب أولى عامَّة المسلمين بمختلف شرائحهم.

ومحاولة منَّا لاقتراح طريقة عمليَّة للتعامل مع الأولويات في وضع البرنامج الزمني للإنسان المسلم، نحيل بدايةً إلى فصل «الأهداف والغايات»، حيث صغنا جملة من المداخل التأصيلية، قصد توظيفها كـ«سند» للمبرمج، حتى لا ينطلق من بياض وفراغ، وهذه المداخل هي:

1. المدخل القرآني[2].
2. المدخل العقدي[3].
3. المدخل الأصولي[4].

ومواصلة لهذه الخطوة التأصيلية، المنبثقة من روح الفكر الإسلامي، المستمدَّة من القرآن الكريم والسنَّة الشريفة أسسها، والساعية إلى الاستفادة ممَّا توصَّل إليه الغرب في توجُّهه العمليِّ الدقيق، من خلال الطرق العملية المبتكرة

(1) الوكيلي: **فقه الأولويات**، تقديم العلواني؛ ص. ث.

(2) انظر أعلاه ـ ص101.

(3) انظر أعلاه ـ ص104.

(4) انظر أعلاه ـ ص107.

في علم إدارة الوقت.. مواصلةً لهذه الخطوة نقترح أن يعمل المسلم المعاصر في صياغته لبرنامجه الزمني وفق مراحل هي:

(أ) • إنزال المرتكزات، الدائمة والثابتة:

هذه المرتكزات المتمثِّلة في الأعمال الواجبة خلال اليوم، أو خلال المرحلة المراد تخطيطها، فلا ينطلق المبرمج من ورقة بيضاء، مدوَّن فيها الساعات والدقائق، ولكن عليه أن يبدأ من أرضية سجِّل فيها:

- **الصلوات الخمس**: المفروضة في وقتها ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾[النساء: 103]. والصلاة هي البوصلة الحقيقية للمسلم، إذا ضبطها ضبط إيقاع حياته، وإذا ضيَّعها فقد الميزان واختلَّت حركاته وسكناته.
- **أداء كلِّ الواجبات**: بالمعنى الشرعي للواجب[1]، مثل: رعاية الوالدين، أو زيارة مريض، أو صلة رحم.
- **المواعيد المسبقة**: باعتبار أنَّ من علامات المؤمن الحقِّ أنَّه إذا وعد وفى، والذي لا يفي بمواعيده فيه صفة من صفات المنافقين، والحضارة لا تبنى على النفاق، ففي حديث رواه البخاري يقول الرسول ﷺ: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**»[2]. ويُدرج ضمن المواعيد المسبقة وظيف الإنسان، سواء أكان طالب علم، أم موظَّفا في شركة، أم إطارا في وزارة، أم ربَّة بيت... كلُّ هذا يعدُّ من قبيل الواجبات الشرعية.

(1) انظر في تعريف الواجب ـ الغزالي، حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الشافعي (ت. 505هـ/1111هـ): **المستصفى في علم الأصول**؛ (الأصلية دار الكتب العلمية)؛ طبعة جامع الفقه، شركة حرف، الإمارات العربية المتحدة؛ 1999م؛ ص52-53. الزركشي: **البحر المحيط**؛ ج1/ ص233

(2) **رواه البخاري؛ كتاب الإيمان، باب علامة المنافق**؛ ج1/ص21، رقم 33؛ بسند: «حدثنا سليمان أبو الربيع قال حدثنا إسماعيل بن جعفر قال حدثنا نافع بن مالك بن أبي عامر أبو سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: آية المنافق ثلاث...».

- **الورد اليوميّ**: من تلاوة قسط من القرآن الكريم، أو صلاة عدد من الركعات، أو أداء ذكر معيَّن[1]...

فيحصل للمسلم المبرمج بالتالي منطلق متين، وأساس صحيح، يرسمه ـ في حال البرمجة اليومية ـ على الشكل الآتي:

4:30(*)	**صلاة الفجر جماعة.**
4:40	**تلاوة ورد من القرآن، باعتباره التزاما.**
	البكر، منطقة حرَّة.
8:00	**الوظيف (وهو واجب شرعا لأنه التزام وموعد).**
	الضحى، منطقة مقسَّمة بين الوظيف والعمل الحر، حسب نوع الوظيف.
13:20	**صلاة الظهر جماعة.**
	القيلولة.
16:40	**صلاة العصر جماعة.**
17:00	**زيارة الوالدين، والقيام بحقهما (مثلا).**
	منطقة حرَّة.
19:50	**صلاة المغرب جماعة.**
	منطقة حرَّة.
20:50	**صلاة العِشاء جماعة.**
	منطقة حرَّة.
22:00	**النوم والنوافل.**

البرنامج اليومي للمسلم، المنطلق والأساس

فيمثِّل ما رسم باللون الأسود الداكن محطَّات لا تتغيَّر ولا تتبدَّل في المحتوى، وإنَّما الذي يتغيَّر هو وقتها، ما بين فصل وفصل، وما بين يوم وآخر، وهذا التغيُّر لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى، ونؤكِّد أنَّ **الصلاة والساعة** هما الموجِّهان

(*) هذا التوقيت كمثال ليوم من أيام الصيف، في الجزائر.

(1) قد يكون الورد اليومي نذرا، فيتأكَّد وجوب الوفاء به أكثر.

للبرنامج الزمنيِّ للمسلم، لا الساعة الحائطيَّة وحدها، شأن البرنامج الزمنيِّ في الغرب. ولهذا التغيُّر أثره في رفع الرتابة (الروتين)، وموافقة الساعة الداخلية للإنسان، وهذا بعينه مجال خصب للدراسة والبحث.

(ب) • صياغة الأولويات:

الأولويات تتعامل في الأساس مع كلِّ ما هو متغيِّر من الأعمال والأهداف، وهي في الترتيب دون الواجبات والفروض، بل هي في الغالب من المعاملات لا من العبادات. ويجب أن نفرِّق بوضوح بين المصطلحات، وإلَّا وقع المسلم المبرمِج في دوَّامة تمنعه من التطوُّر والزيادة والنماء، باسم الالتزام بأحكام الدين، وهذا التصرُّف جناية صريحة على الدين، واختزال له في مجال دون آخر.

ولذا يقوم المبرمج بإدراج هذه **الأولويات في المناطق الحرَّة**، والحرص على أن لا تتداخل مع واجب من الواجبات، وتكون هذه الأولويات حسب تخصُّص المبرمج، ساعية لجعله رائدا فيما هو فيه، ومن أخطر البدع المحدثة في الحركات والتوجُّهات الإسلامية المعاصرة، عدم احترام التخصُّص، والعمل على تحويل الناس إلى طلَّاب للشريعة، بحيث يستغرق ذلك المناطق الحرَّة على حساب تمكُّنهم في اختصاصهم ووظيفهم.

كما أنَّ أساس هذه الأولويات ليس هو التخمين، أو تدافع الأعمال، أو اعتبار الأهمية والاستعجال فقط، بل الأساس هو مراعاة "**السند**"، ومحاولة ملاءمة الأولويات للبنود الواردة في هذا "**السند**"، وللتمكُّن من هذا يقترح إنجاز مجسَّد على شكل مكعَّب، يطلق عليه اسم "مكعَّب الأهداف والأولويات" وهو عبارة عن تجميع للجداول التي صيغت في مبحث الأولويات، بالإضافة إلى جداول أخرى مستقاة من إدارة الوقت، لأنَّ التكامل لا التناقض هو القاعدة في الفكر الإسلامي.

يكون هذا المكعَّب بمثابة وسيلة يدرَّب عليها المبرمج لوقته، وتعلَّم له أهمُّ الضوابط والمفاهيم الإسلامية في مراعاة هذه المداخل، سواء القرآنية، أو

العقدية، أو الأصولية، أو مدخل الأدوار... حتى يحصل له مِراس في اعتبارها واستعمالها، وهو أمر لا يحتاج لأكثر من برنامج تكويني، شأن البرامج التكوينية في إدارة الذات، أو إدارة الوقت... أو أيِّ مجال آخر.

وهنا أنبِّه إلى أنَّ البرنامج التطبيقي[1] يبعد العملية عن مستواها التعجيزيِّ التهويليِّ، ويقيها من النظرة التهوينية السطحية. وأيُّ محاولة لإرساء قواعد البرمجة الزمنية في المجتمع المسلم، إذا لم تأخذ بعين الاعتبار الجانب التطبيقي ولم تدرج هذه الممارسة الحضارية ضمن البرامج التربوية، فهي محاولة فاشلة، قد تؤثِّر على المشاعر ولكنَّها لا تحرك العقول والجوارح، وتبقى مجرَّد مقالات أو خطب أو مواعظ.

وإذا ما مثلنا للاستفادة من هذا المكعَّب، فإنَّ المبرمج إذا اختار في وضعه لبرنامجه الزمني المدخل العقدي مثلا، كان عليه أن يقوم بالخطوات الآتية:

أ. ينزل المرتكزات، حسب الطريقة التي ذكرناها.

ب. يلحق ببرنامجه الزمني الأولويات، مراعيا في ذلك أن يفي بكلِّ العلاقات، على أن تكون مرتبة حسب درجاتها:

- (**الأولوية رقم** 1) عمل أو هدف متعلِّق بعلاقة المبرمج مع **الله تعالى**.
- (**الأولوية رقم** 2) عمل أو هدف متعلِّق بعلاقة المبرمج مع **نفسه**.
- (**الأولوية رقم** 3) عمل أو هدف متعلِّق بعلاقة المبرمج مع **الآخرين**.
- (**الأولوية رقم** 4) عمل أو هدف متعلِّق بعلاقة الفرد مع **البيئة والمحيط**.

وقد تدرج أكثر من أولوية ضمن إحدى العلاقات، فتخصَّص أولويتان أو ثلاثة مثلا ضمن علاقة الفرد مع الآخرين... وهذا حسب المبرمج: قدراتِه، وعمره،

(1) أجريت عدَّة تكوينات في «إدارة الوقت من منطلق إسلاميٍّ»، مع محاولة إنزال المقترحات الجديدة على أرض الواقع؛ فوظِّفت عمق الفكر الإسلاميِّ، وبالذات المداخل القرآنية، والعقدية، والأصولية... كما استعنتُ بالتقنيات الغربية في وضع الجداول والتمرينات، وفي التمثيل بواقع الناجحين... فكانت الدورات بحمد الله مقدِّمة وثمرة لهذا البحث في آن واحد.

ووظيفه، ومسؤولياته، ومحيطه... ولكن على المبرمج أن لا يغفل أيَّ علاقة من العلاقات في اعتبار أولوياته، وإلَّا وقع في الخلل الذي وسم الفكرَ الغربيَّ في إغفاله للعلاقة مع الله تعالى، وللعلاقة مع الآخرين أحيانا...

ونفس الطريقة يمكن العمل وفقها مع المدخل القرآني، والأصولي، ومدخل «الأدوار».. وفي الإمكان الجمع بين مدخلين أو أكثر في وضع برنامج زمني معيَّن.

(ج) • في حالة التزاحم:

في حالة التزاحم أو التدافع بين عملين أو هدفين في وقت واحد، فإنَّ على المبرمج الرجوع إلى ضوابط المصلحة، والاستفادة من القواعد التي صاغها الفقهاء في فقه الأولويات.

فتُقدَّم ـ مثلا ـ المصالح الضرورية على الحاجية، والحاجية على التحسينية.

ويقدَّم حفظُ الدين على حفظ النفس، وحفظ النفس على حفظ العقل، وحفظ العقل على حفظ النسل، وأخيرا يأتي حفظ المال.

وهذا الترتيب يُتعلَّم **بممارسة علم المصالح**.

وبالإمكان الاستفادة **من فقه الأولويات**، فيقدَّم بالتالي الواجب المضيَّق على الواجب الموسَّع. ويقدَّم العمل المتعلِّق بحقوق العباد على العمل المتعلِّق بحقِّ الله مفردا.

وبهذا يكون لدى المسلم المعاصر ضابط يقيه من الإفراط، ويحميه من التفريط، فيهديه إلى برنامج زمنيٍّ متزن وبنَّاء، يمكِّنه من تفادي ما وقع فيه الغرب من الآلية، والنظرة الإنسانية الضيقة، والاضطراب المتكرِّر... ويمكِّنه كذلك من تخطِّي العجز والاضطراب، فيجعل منه إنسانا فعَّالا لا منفعلا، وعدلا لا كلًّا.

نتائج الفصل الثالث

انتهى هذا الفصل إلى العديد من النتائج التي تصبُّ في أصول البرمجة الزمنية، من نافذة **الأولويات**، منها:

1. تعريف الأولويات في الاصطلاح: **تقديم عمل على عمل في البرنامج الزمنيِّ، بناء على الأهداف المسطَّرة، والغايات المحدَّدة.**
2. تُجمِع الكتابات حول إدارة الوقت على **أهمية الأولويات، ومردُّ الأهمية** إلى كونها تعطي للمبرمج منهجا لـ: الحدِّ من الضغط، وضمانِ التوازن، والنجاةِ من مصيدة النشاط، وتحسينِ الأداء... إلخ.
3. ولكنَّ العمل وفق الأولويات يتَّسم بنوع من **الصعوبة**، لأسباب منها: تعدُّد الأهداف وتضاربها، وميل النفس إلى الأسهل والأقرب نفعا... إلخ.
4. تساعد الأولويات على **تخطِّي المتعة الآنية**، وتحقيق الأهداف المرجوَّة والمسطَّرة، وبدونها يصعب ذلك.
5. حتى لا يترك المبرمج **الطوارئ** تهيمن على حياته، فإنَّ أمثل طريقة هي أن يعمل على الالتزام بالأولويات التي يسطِّرها لمختلف جوانب وأزمنة حياته.
6. من أبرز القوانين العملية في مجال الأولويات **قاعدة باريتو**: 20/80، وهي قاعدة الأكثرية التافهة والقلَّة الهامَّة، وثمة قوانين أخرى لها مكانتها في إدارة الأولويات.
7. للقضاء على **التسويف والتأجيل** ينبغي ضبط الأولويات، والتركيز عليها.
8. أبدع الفكر الغربيُّ في مجال الأولويات جملة من **الطرق العملية**.
9. أمَّا في الفكر الإسلاميِّ، فتسجَّل **جملة من المداخل** من خلال علوم

مختلفة إلى الأولويات، مما يرشِّح هذه الدراسات إلى أن تتحوَّل في المستقبل إلى **علم قائم بذاته**.

10. بدأت **بواكير** الأبحاث المستقلَّة حول الأولويات، في الفكرين الإسلامي والغربي، مع نهايات القرن العشرين.

11. يبرز **فقه الأولويات** في الفكر الإسلاميِّ، كمنحى فكريٍّ مستقلٍّ، ينبغي العمل على إنزاله إلى الواقع، ومن جملة صيغ هذا الإنزال إنشاء مناهج تطبيقية في البرمجة الزمنية بناء على هذا الفقه.

12. وُجدت إشارات بعضها محتشم، والبعض الآخر مركَّز، إلى الأولويات في الدراسات الزمنية الإسلامية، **ولكن لم تؤلَّف أيُّ محاولة تأصيلية بحقٍّ**، ولم نطَّلع على أيِّ جهد لتطبيق فقه الأولويات في البرمجة الزمنية.

13. أغلب ما في هذه الأبحاث **إشادة بأهمية الأولويات**، مع غياب للجداول، وللطرق العملية للتمرن عليها، وعدم إسقاطها على واقع المسلم المعاصر..

14. يسعفنا فقه الأولويات في موضوع برمجة الأولويات، ويمنح لنا **خطوات بارزة في التأصيل**، ويظهر لنا من خلاله أنَّ النصوص القرآنية والحديثية اعتنت بالأولويات عناية كبيرة، وهي المنطلق للدارس المسلم في هذا السبيل.

15. **العلاقة** بين فقه الأولويات وإدارة الأولويات هي: علاقة احتواء من جهة التعريف والموضوع، وهي علاقة تقاطع من جهة المنهج.

16. **بقدر ما تتَّجه «إدارة الأولويات» في الغرب إلى الواقع، وتفقد الروح والغاية، بقدر ما تبرز قوَّة «فقه الأولويات» عند المسلمين في أصولها، ويبدو ضعفها في إنزالها على الواقع كمنحى عمليٍّ تطبيقيٍّ.**

الخاتمة

1. بيَّنا أنَّ **الأزمنة المهيمنة** هي المنطلق الذي تُبنى عليه البرمجة الزمنية في الفكر الغربي، فقد عرَّفناها، وأوردنا خصائصها، ومراحلها، وتاريخها، ومستقبلها... ثم خلُصنا إلى حتمية **زمن رابع** في الفكر الغربيِّ، يرفع أزمة الاختلال في ميزان التماثل بين القيم والأزمنة.
2. وبتتبُّع المصادر الأساسية علمنا أنَّ **الفكر الإسلامي لا يعرف أزمنة مهيمنة** إلَّا حين يقع زيغ في الفكر، وانحراف في السلوك.
3. عرضنا **المبادرات التصحيحية** في البحوث الإسلامية، بإيجابياتها وسلبياتها، مع الاعتراف لها بحقِّ السبق..
4. ثم اقترحنا بديلًا للأزمنة المهيمنة، أسميناه: **الزمن الصبغة**، وهو: **زمن العبادة، عندما تعني العبادة أشمل معانيها ومدلولاتها**. فضبطنا خصائصه، وعرضناه في معادلة تقرِّبه من الفهم والاستيعاب، واستخرجنا بعد ذلك مظاهر الزمن الصبغة من النصوص الشرعية: القرآن والسنَّة.
5. تتبع البحث مصطلحي **الأهداف والغايات** في اللغة والاصطلاح، ثم صاغ لها تعريفا مناسبًا لمجال البحث، وأشار إلى المحاولات التأصيلية في العلوم الأخرى...
6. أرَّخ البحث **للأهداف والغايات** في الفكر الغربيِّ، وحلَّل **أهميتها، والإيجابيات والسلبيات** المسجَّلة على الفكر الغربيِّ في هذا المجال.
7. في المنحى التأصيليِّ اقترح البحث «**سندا**» يدرَّب عليه المسلم، ويكون منطلقا في تحديد **أهدافه**، من مداخل عديدة، منها: **المدخل القرآنيُّ، والعقديُّ، والأصوليُّ**.
8. توصَّلنا إلى أنَّ الفكر الإسلاميَّ ميَّزه **وضوح في الغايات، ووحدة في**

مصدرها.. والغاية الكبرى هي: **رضوان الله تعالى**. دونها غايات هي بمثابة مراحل.

9. من المقرَّر أنَّ **قوَّة الفكر الغربيِّ ـ في مجال البرمجة الزمنية ـ تكمن في الأهداف، وضعفه يبرز في الغايات، أمَّا الفكر الإسلاميِّ فقوَّته في غاياته، أمَّا ضعفه فكرا وواقعا فيتمثَّل في الأهداف.**

10. عرَّف الباحث **الأولويات**، لغة واصطلاحا.

11. **ثم** عرض **أهميتها في الفكر الغربيِّ، ومردَّ الأهمية**، و**صعوبة التزامها**؛ والعلاقة بينها وبين **المتعة، والطوارئ، والتسويف والتأجيل**، و**الطرقَ العملية** في تفعيلها.

12. في الفكر الإسلاميِّ، تسجَّل **جملة من المداخل** من خلال علوم مختلفة إلى **الأولويات**، مما يرشِّح هذه الدراسات إلى أن تتحوَّل في المستقبل إلى **علم قائم بذاته**.

13. يسجَّل على الأولويات في الدراسات الزمنية الإسلامية جملة من **الإيجابيات والسلبيات، وواضح أنَّه لم تؤلَّف أيُّ محاولات تأصيلية بحقٍّ**، ولم نطَّلع على أيِّ جهد متكامل لتطبيق **فقه الأولويات** في البرمجة الزمنية.

14. يسعفنا **فقه الأولويات** في موضوع برمجة الأولويات، ويمنح لنا **خطوات بارزة في التأصيل**، ويظهر لنا من خلاله أنَّ النصوص القرآنية والحديثية اعتنت بالأولويات عناية كبيرة، وهي المنطلق للدارس المسلم في هذا السبيل.

15. **بيَّن البحث العلاقة** بين فقه الأولويات وإدارة الأولويات.

16. **بقدر ما تتَّجه «إدارة الأولويات» في الغرب إلى الواقع، وتفقد الروح والغاية، بقدر ما تبرز قوَّة «فقه الأولويات» عند المسلمين في أصولها، ويبدو ضعفها في إنزالها على أرض الواقع كمنحى عمليٍّ تطبيقيٍّ.**

17. اقترحنا في سبيل التأصيل، ما يلي:

- إنزال **المرتكزات الدائمة والثابتة** إلى البرنامج اليوميِّ.
- **صياغة الأولويات**، بناء على **مكعَّب الأهداف والأولويات**.
- في حال التزاحم يرجع إلى **ضوابط المصلحة**، ويستفاد من **القواعد التي صاغها الفقهاء في فقه الأولويات**.

18. حاولنا أن نقترح **أرضية للبرنامج اليوميِّ** في الفكر الإسلاميِّ، تَعتبر الثوابت ولا تتنكَّر للمتغيرات.

19. العمل على بناء أسس **علم قائم بذاته**، واضح المعالم، بيِّن المنهج، يعنى بالبرمجة الزمنية كما ضبطناها في هذا البحث.

20. يبرز **فقه الأولويات** في الفكر الإسلاميِّ، كمنحى فكريٍّ مستقلٍّ، ينبغي العمل على إنزاله إلى الواقع، ومن جملة صيغ هذا الإنزال إنشاء مناهج تطبيقية في البرمجة الزمنية بناء على هذا الفقه.

وينتهي البحث ولكن لا تتم الإجابة على أسئلة العلاقة بين «الزمن» باعتباره وعاء للحضارة، و«الإنسان» باعتباره محركا للتاريخ؛ ذلك أنَّ الثمرة العلمية هي مجرد مقدمة للإنزال العملي؛ وما لم يتم تفعيل ما جاء به البحث تربويا وثقافيا، ضمن الحركة اليومية للإنسان المعاصر؛ فإنَّ البحث لم يكتمل بعد، ولم تنته مهمة الباحث عند هذا الحدِّ؛ فتبقى ضرورة العمل على مواصلة بناء «علم البرمجة الزمنية»، هي المحور وهي المبتغى، حتى نخرج من ضغط الأمواج وقيدها، إلى تحريكٍ ولو بطيء للأمواج بإرادة حرَّة واعية، بما يمكن أن نطلق عليه اسم «نقطة الانعطاف».

فإذا وقف هذا الجهد على «نقطة الانعطاف» فقد حقق بعضا مما ينتظر منه، وعلى الله قصد السبيل.

المحتويات

مقدمة 5

الفصل الأول

الأزمنة المهيمنة، والزمن الصِّبغة 11

المبحث الأول: الأزمنة المهيمنة في الفكر الغربي 13

أوَّلا • إبعاد الدين (منشأ الأزمنة المهيمِنة) 13

ثانيا • الأزمنة المهيمِنة في الفكر الغربيِّ 16

ثالثا • نموذجان من الأزمنة المهيمنة في العلوم 24

رابعا • الأزمنة المهيمِنة، وحتمية الزمن الرابع 27

المبحث الثاني: الزمن الصبغة في الفكر الإسلامي 29

أولا • الأزمنة المهيمِنة في التاريخ الإسلامي (الانحراف) 30

ثانيا • بعض مبادرات التصحيح 43

ثالثا • الزمن الصبغة (محاولة تأصيلية) 45

رابعا • مظاهر الزمن الصبغة 50

نتائج الفصل الأول 55

الفصل الثاني

الأهداف والغايات في البرمجة الزمنية 57

المبحث الأول: في التعريف والمنهج 59

أولا • الأهداف والغايات لغة واصطلاحا 59

ثانيا • الأهداف والغايات في المحاولات التأصيلية (المنهج) 63

المبحث الثاني: الأهداف والغايات، من خلال الفكر الغربي 66

أوَّلا • الأهداف 72

ثانيا • الغايات 79

المبحث الثالث: الأهداف والغايات من خلال الفكر الإسلامي 92

أولا • الأهداف 92

• مداخل للتأصيل 100
1. المدخل القرآني 101
2. المدخل العقدي 104
3. المدخل الأصولي 107
ثانيا • الغايات 112
نتائج الفصل الثاني 121

الفصل الثالث

الأولويات في البرمجة الزمنية 125
الأولويات لغة واصطلاحا 127
المبحث الأول: الأولويات في البرمجة الزمنية، من خلال الفكر الغربي . . 131
أولا • مردُّ أهمية الأولويات في الفكر الغربي 131
ثانيا • صعوبة الالتزام بالأولويات (معايير) 137
ثالثا • ضبط الأولويات ومداخلها في الفكر الغربي 139
1. الأولويات والمتعة 139
2. الأولويات والطوارئ 142
3. قانون «باريتو» أو قاعدة 20/ 80 146
4. الأولويات والتأجيل 150
5. الطرق العملية لبرمجة الأولويات 153
المبحث الثاني: الأولويات في البرمجة الزمنية، من خلال الفكر الإسلامي. 159
أولا • الأولويات من خلال الدراسات الإسلامية. 162
ثانيا • الأولويات، بين فقه الأولويات وإدارة الأولويات 171
ثالثا • المدخل العمليُّ للأولويات 180
نتائج الفصل الثالث. 186
خاتمة. 188
المحتويات 191